الدكتور
إسماعيل السلفي

فتح القدير في ثوبه الجديد (7+8)

د. إسماعيل السَّلْفي

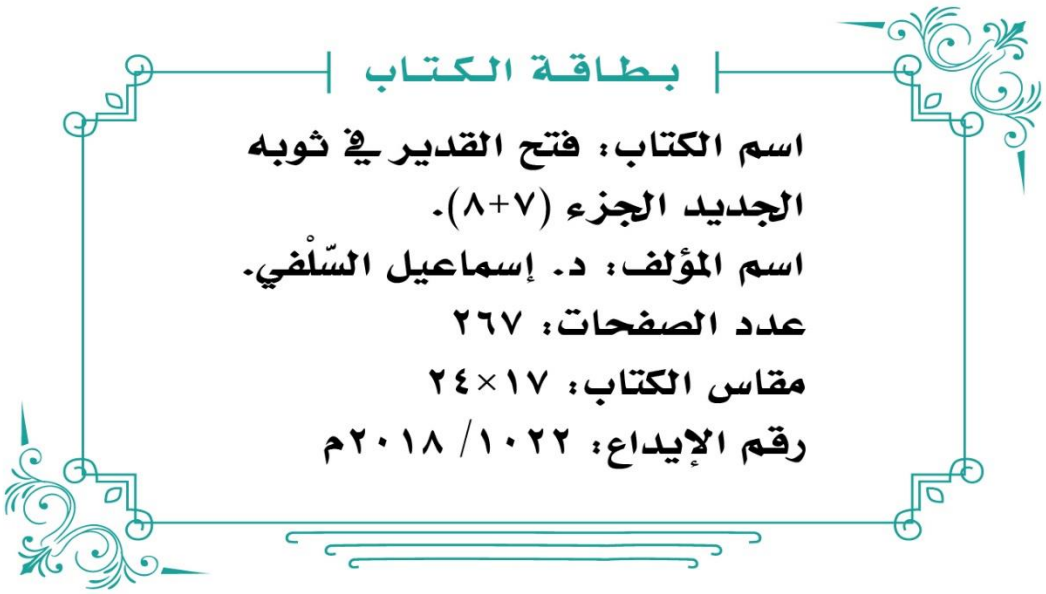

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب: فتح القدير في ثوبه الجديد الجزء (٧+٨).

اسم المؤلف: د. إسماعيل السّلْفي.

عدد الصفحات: ٢٦٧

مقاس الكتاب: ١٧×٢٤

رقم الإيداع: ١٠٢٢/ ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ربّنا تقبّل منّا، إنّك أنت السّميع العليم.

أما بعد

لقد قيض الله لكتابه العزيز علماء أتقياء، ومخلصين أوفياء، سهروا على خدمة القرآن العظيم، فكان منهم من سلك طريق الإيجاز، ومنهم من سلك طريق الإسهاب، ومنهم من اقتصر على التفسير بالمأثور، ومنهم من جمع بين (الرواية والدراية) ولقد كان العلامة، مُحمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ) من جهابذة المفسرين، وقد وضع تفسيرًا للكتاب الكريم سماه بـ (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير).

ولما كان تفسير العلامة الشوكاني رحمة الله فيه تفصيل لأمور قد يصعب فهمها على طلاب الجامعات، استعنتُ بالله وقمت بإخراجه في ثوب جديد؛ ليعم به النفع، بين طلاب الجامعة وغيرهم من محبي التفسير، ومع إخراجه في ثوبه الجديد إلَّا أن روح فتح القدير كما هي، بثوبه القشيب، وجماله الناصع.

عملي في كتاب فتح القدير في ثوبه الجديد:

١. كتبت مقدمة عن تدوين التفسير، وطبقاته، وأشهر المفسرين المعاصرين.
٢. قمتُ بكتابة عنوان للآية أو الآيات القرآنية؛ تسهيلًا لفهمها.
٣. قمت بنسخ الآيات القرآنية من مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.
٤. جعلتُ لكل آية تفسيرًا مستقلًا بها، أبدأ بغريبها إن وجد، ثمَّ أصح أسباب نزولها.
٥. أثبتُ القراءات المتعلقة بكل آية فيها قراءات، وجعلت لها لونًا غامقًا.

٦. نقلتُ أروع التأملات التربوية، والروحية والتدبرية من كتب التفسير الأخرى.
٧. حذفتُ الأسانيد المطولة واقتصرت على ذكر راوي الحديث من الصحابة.
٨. حذفتُ الخلافات اللغوية، وأثبت الخلافات الفقهية بما يتناسب مع مادة التفسير.
٩. جعلتُ تدبر القرآن في صيغة سؤال؛ لألفت نظر القارئ للمعنى المراد.
١٠. جعلتُ لكل سورة مقدمة شملت تاريخ نزولها، ومقاصدها، وسبب تسميتها، والتناسب بين تلك السورة والسورة التي قبلها.

ولا يفوتني وأنا أكتب هذه المقدمة الموجزة عن فتح القدير في ثوبه الجديد، أن أتوجه إلى الله الكريم الواهب الذي أعانني على ذلك، كما أتقدم بالثناء العاطر، لطلاب وطالبات –المستوى الرابع- في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية –فرع وادي حضرموت-

والله أسأل أن ينفع به المسلمين، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويبقيه ذخرًا لي يوم الدين﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء] وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اليمن السعيد/ حضرموت/ ٢٣ ربيع أول/ ١٤٣٩هـ. الموافق ١١ ديسمبر ٢٠١٧م.

د. إسماعيل محمد عبده السَّلفي
رئيس قسم القراءات. سابقًا
رئيس قسم القرآن وعلومه حاليًا

خطة سير مادة التفسير ـ قسم التفسير ـ مستوى رابع ـ الفصل الأول.

المحاضرة	الأسبوع	المخطط (برقم الآيات للسورة)	المنفذ	ملاحظات
١	الأسبوع ١	سورة المائدة (٨٢-٩٥)		
٢	الأسبوع ١	سورة المائدة (٩٦-١٠٨)		
٣	الأسبوع ٢	سورة المائدة ١٠٩-١٢٠		
٤	الأسبوع ٢	سورة الأنعام (١-١٨)		
٥	الأسبوع ٣	سورة الأنعام (١٩-٣٥)		
٦	الأسبوع ٣	سورة الأنعام (٣٦-٥٢)		
٧	الأسبوع ٤	سورة الأنعام (٥٣-٦٨)		
٨	الأسبوع ٤	سورة الأنعام (٦٩-٨١)		
	الأسبوع ٥	اختبار الشهر الأول		
٩	الأسبوع ٥	سورة الأنعام (٨٢-٩٤)		
١٠	الأسبوع ٦	سورة الأنعام ٩٥-١١٠		
١١	الأسبوع ٦	سورة الأنعام ١١١-١٢٤		
١٢	الأسبوع ٧	سورة الأنعام ١٢٥-١٣٧		
١٣	الأسبوع ٧	سورة الأنعام ١٣٨-١٤٦		
١٤	الأسبوع ٨	سورة الأنعام ١٤٧-١٥٧		
١٥	الأسبوع ٨	سورة الأنعام ١٥٨-١٦٥		
	الأسبوع ٩	اختبار الشهر الثاني		
١٦	الأسبوع ٩	سورة الأعراف (١-٢٢)		
١٧	الأسبوع ١٠	سورة الأعراف (٢٣-٣٧)		
١٨	الأسبوع ١٠	سورة الأعراف(٣٨-٥١)		
١٩	الأسبوع ١١	سورة الأعراف(٥٢-٦٧)		
٢٠	الأسبوع ١١	سورة الأعراف (٦٨-٨١)		
٢١	الأسبوع ١٢	سورة الأعراف (٨٢-٨٧)		
٢٢	الأسبوع ١٢	مراجعة شاملة للمقرر		

أهداف المقرر الدراسي

يتوقع من الطالب أو الطالبة بعد دارسة هذا المقرر أن:

١. يفهم معاني المفردات في السُّور المقررة.
٢. يُفسر آيات السور المقررة تفسيرًا إجماليًا.
٣. يتعرف على دقائق تفسير القرآن الكريم من النواحي الآتية: [العقيدة، والقصص، والعبادة، والتشريع، والتَّدبر].
٤. يوظف ما تعلَّمه من تفسير القرآن الكريم في مجالات التَّعليم والدَّعوة.
٥. يُحسن الاستشهاد بآيات القرآن في الموضوعات التي تُناسبها في الكتابة والتَّحدث.
٦. يُتقن مهارة تدريس تفسير القرآن الكريم بالطرق التربوية السَّليمة.
٧. يُعدل سلوكه بحيث يتناسب والتوجيه القرآني.

محتويات هذه المقرر هي الجزء السابع والثامن من القرآن الكريم.

تدوين علم التفسير وطبقاته

تدوين التفسير(١): بدأ التّدوين في أواخر عهد بني أمية وأوائل عهد العباسيين، وحَظِيَ الحديث بالنصيب الأوفى، وشمل تدوين الحديث أبوابًا متنوعة، وكان التَّفسير بابًا من هذه الأبواب، فلم يفرد له تأليف خاص يفسّر القرآن سورة سورة، وآية آية.

وقد اشتدت عناية جماعة من المفسِّرين بالتَّفسير المنسوب إلى النبيﷺ وأصحابه والتابعين، وفي مقدمة هؤلاء يزيد بن هارون السلميّ (ت:١١٧هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت:١٦٠هـ)، ووكيع بن الجراح (ت:١٩٧هـ)، وسفيان بن عيينة (ت:١٩٨هـ)، ولم يصل إلينا من تفاسيرهم شيء منظّم إلاَّ ما نُقِلَ هنا وهناك.

ثم جاء من بعد هؤلاء من أفرد التَّفسير بالتَّأليف، وجعله علمًا قائمًا بنفسه، ففسّر القرآن حسب ترتيب المصحف، وذلك كابن ماجة (ت:٢٧٣هـ)، وابن جرير الطّبريّ (ت:٣١٠هـ)، وأبي بكر بن المنذر النيسابوريّ (ت:٣١٨هـ)، وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ).

ثم جاء على إثر هؤلاء مَنْ تجاوز التَّفسير بالمأثور، واهتم كلّ واحد من المفسِّرين بحشو التَّفسير بما برز فيه من العلوم، فصاحب العلوم العقليّة كفخر الدين الرَّازي (ت:٦٠٦هـ) يعنى بأقوال الحكماء والفلاسفة، وصاحب الفقه كأحمد بن علي الرَّازي (أبو بكر الجصاص) (ت: ٣٧٠ هـ) يعنى بالفروع الفقهيّة، وصاحب التاريخ كأحمد بن محمد الثعلبيّ (ت: ٤٢٧٥هـ) يعنى بالقصص والأخبار، وصاحب البدعة كمحمد بن عبد الوهاب الجُبَّائيّ (ت: ٣٠٣ هـ) يُؤول كلام الله على مذهبه الفاسد، وصاحب التصوُّف كابن عربيّ (ت:٦٣٨ هـ) يستخرج المعاني الإشارية، وبذلك طغى التَّفسير بالرَّأْي على التَّفسير بالمأثور.

---

(١) المدخل إلى مناهج المفسرين د. حسب الرّسول العباس محمد (ص: ٧).

طبقات المفسِّرين:

الطبقة الأولى: طبقة الصحابةﷺ، واشتهر منهم في التفسير الخلفاءُ الأربعة، وابنُ مسعود، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعريّ، وعبد الله بن الزُّبير، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر، وغيرهم.

الطبقة الثانية: المفسِّرون من التابعين، هم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وعطاء، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن البصريّ، والضَّحَّاك، وأبو العالية، وغيرهم.

الطبقة الثالثة: هذه الطبقة صنَّفت التَّفاسير التي تجمع أقوال الصحابة والتابعين كسُفْيان بن عُيَينة، ووكيع بن الجَراح، وغيرهما.

الطبقة الرابعة: بدأت بجمع التَّفسير في مصنف واحد، من هؤلاء العلماء ابن جرير الطَّبري، وابن أبي حاتم، وابن ماجة، والحاكم، وغيرهم.

الطبقة الخامسة: طبقة صنَّفت التَّفاسير المشحونة بالفوائد المنقولة عن المتقدمين.

وقد ألَّف في التَّفسير طائفة من المتأخرين، اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فالتبس الصحيح بالعليل، وصار كلّ من سنح له قول يورده، ومن خطر بباله شيء يعتمده.

ثم جاء عصر النهضة: أهتم علماء التفسير في هذا العهد بالنَّواحي الاجتماعيّة، والأفكار المعاصرة، والمذاهب الحديثة، ومن هؤلاء: الشيخ/ محمد عبده، والشيخ/ محمد رشيد رضا، والشيخ/ مصطفى المراغي، والأستاذ سيِّد قطب، والشيخ محمد الأمين الشِّنقِيطِي.

بين يدي سورة المائدة

١. التعريف بسورة المائدة.

٢. تاريخ نزول السورة.

٣. سبب تسمية السورة.

٤. ظواهر تنفرد بها سورة المائدة.

٥. مقاصد سورة المائدة.

٦. المناسبة بين سورة النساء والمائدة.

١. **التعريف بسورة المائدة:** هي السُّورة الخامسة بحسب الرَّسم القرآني، وهي السّورة الرابعة من قسم الطِّوال، وآياتها مائة وعشرون وهي مدنيَّةٌ بإجماع[١]. واشتملت السورة على ١٦ نداءً وجهت للمؤمنين خاصة، وكل نداءٍ منها يُعدُّ قانونًا يُنَظِّم ناحيةً من نواحي الحياة عند المسلمين تختص بأنفسهم، وتختص بعلاقتهم بأهل الكتاب.

٢. **تاريخ نزول السورة:** نزلت سورة المائدة بعد سورة الفتح، وكان نزول سورة الفتح بعد صلح الحديبية في السنة ٦ هـ، فيكون نزول سورة المائدة فيما بين صُلح الحديبية وغزوة تبوك.

ونلحظ أن سورة المائدة من أواخر ما نزل من السور بالمدينة، فقد رُوي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن المائدة من آخر ما أنزل الله، فما وجدتُّم فيها من حلال فأحلُّوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرِّموه.

وسورة المائدة امتد نزول آياتها خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياة الرسولﷺ بالمدينة. فقد ابتدأ نزولها في ٧هـ، وفيها آية نزلت في حجة الوداع في العام العاشر من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري تفسير القرطبي، (٣٠/٦)، الأساس في التفسير لسعيد حوى (٣/ ١٢٩٣)، **ضابط المكي والمدني:** كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي. وكل ما نزل بعدها فهو مدني، ولو كان النبيﷺ وقت نزوله في بلد أخرى. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، برهان الدين (٨٠٩ -٨٨٥هـ). (١/ ١٦١).

الهجرة قبل وفاة النبيﷺ بتسعين يومًا وهي قول الله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾ سورة المائدة.

وفي كُتب التَّفسير أن سورة المائدة نهارية كلها أي: نزلت آياتها جميعها نهارًا، مدنية كلها إلَّا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴿٣﴾﴾ فإنها نزلت بعرفة، وهذا على قول من يقول أن ما نزل بمكة مكي.

وعدد آيات سورة المائدة: ١٢٠ آية، وعدد كلماتها: ٢٨٠٤ كلمات. آياتها، وترتيبها في نزول السور هو ١١٢.

٣. **سبب تسمية السورة بالمائدة:** سُمِّيت سورة المائدة بهذا الاسم؛ لأنَّها السُّورة الوحيدة التي تحدثت عن مائدة طلب الحواريون من عيسىعليه السلام أن يسألها ربه. وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾.

ومن أسماء سورة المائدة الاجتهادية: أنها تُسمى سورة العقود؛ لأنها افتتحت بطلب الإيفاء بالعقود، وسورة المنقذة؛ لأنها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب، وسورة الأحبار؛ لأنها اشتملت على ذكر الأحبار وهم علماء اليهود[١].

وقد تكلَّم العلماء على المائدة التي سألها الحواريون عيسى: هل نزلت أم لا؟

جمهور المفسرين منعقد على أنَّها نزلت بالفعل.

٤. **ظواهر تنفرد بها سورة المائدة:**

١. لم تتحدث السورة عن الشِّرك والمشركين؛ لأن الشرك وأهله صاروا في قهر.

٢. لم تتحدث السور عن القتال رغم كونها مدنية.

٣. ظهور تشريع المسلمين في خاصة أنفسهم، وفي معاملة من يخالطون، وبيان الحق في المزاعم التي كان يثيرها أهل الكتاب.

---

(١) معالم السور، فايز السريح (ص:٣٣).

٥. **مقاصد سورة المائدة:** هذه السورة كلها مختصة بعلم الأحكام الحلال والحرام والعقود بخاصة، حتى قصص الأنبياء وقصة ابني آدم التي فيها، لها صلة بالأحكام[١].

٦. **المناسبة بين سورة النساء والمائدة:**

١. ذُكرت سورة المائدة بعد سورة النساء؛ لأنها تشبهها في الطول، وفي الكلام على أهل الكتاب والمنافقين، وفي الكلام عن الأحكام العملية[٢].

٢. سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحة كالأنكحة، وضمنية كالوديعة، فناسب أن يُعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود[٣]. فكأنه قيل (في المائدة): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ١﴾ التي فرغ من ذكرها في سورة النساء.

٣. تكلمت سورتي (البقرة وال عمران)، في تقرير الأصول، من الوحدانية، والكتاب، والنبوة، وتكلمت سورتي (النساء والمائدة) في تقرير الفروع الحكمية.

٤. خُتمت المائدة بصفة القدرة، كما افتتحت النساء بذلك، فختام المائدة قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠﴾ المائدة:١٢٠. وأول النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ١﴾ وهو دليل القدرة.

٥. افتتحت النساء ببدء الخلق، وختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء، فكأنهما سورة واحدة، اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى.

٦. وقع في سورة النساء إجمال في الحُكم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ النساء: ١٠٥ فكانت نازلةٌ في قصة سارق سرق درعًا، وفصلت سورة المائدة أحكام السراق والخائنين.

---

(١) مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص: ١١).
(٢) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٢/ ٢٢٠).
(٣) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٢/ ٢٣٠).

عداوة اليهود والذين أشركوا للذين آمنوا، وإسلام بعض النصارى (٨٢-٨٦).

قوله: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ المائدة: ٨٢.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ قِسِّيسِينَ ﴾ علماء النصارى. ﴿ وَرُهْبَانًا ﴾ عباد النصارى[١].

أسباب نزول الآية:

عن عبد الله بن الزبير قال: بعث رسول اللهﷺ عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتابًا إلى النَّجاشي، فقدم على النَّجاشي فقرأ كتابَ رسول اللهﷺ، ثمَّ دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النَّجاشي إلى الرُّهبان والقِسيسين فجمعهم، ثمَّ أمر جعفر بن أبي طالبﷺ أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينُهم من الدمع، وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً ﴾ المائدة: ٨٢ إلى قوله: ﴿ مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ المائدة: ٨٣.

ومعنى الآية: أن اليهود والمشركين، لعنهم الله، أشدُّ جميع النَّاس عداوةً للمؤمنين وأصلبهم في ذلك، وأن النَّصارى أقربُ الناس مودةً للمؤمنين. وعن عطاء قال: ما ذَكَر اللهُ به النَصارى من خير فإنَّما يُراد به النَّجاشي وأصحابه.

س: من المقصود بالنَّصارى المذكورين في الآية؟

يجيب عن هذا الإمام البغوي فيقول: لم يُرد به جميع النَّصارى؛ لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين، وأسرهم، وتخريب بلادهم، وهدم مساجدهم،

(١) السراج في بيان غريب القرآن د. محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، ط:١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م (ص: ٤٣).

وإحراق مصاحفهم؛ لا وَلَاء ولا كرامة لهم بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النَّجاشي وأصحابه[١].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾: أي: ذلك إلى كونهم أقرب مودة؛ بسبب أن منهم قِسيسين، والقِسيس: هو العالم بلغة الرُّوم، وأصله من قس: إذا تتبع الشيء وطلبه. فالمراد بالقِسيسين في الآية: المُتَّبعون للعلماء والعباد.

والرُّهبان: جمع راهب، والرَّهبانية والتَّرهب: التَّعبد في الصَّوامع.

قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قول الحق، بل هم متواضعون، بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك.

تدبر: لرقة القلب أسباب فما هي؟

يقول ابن سعدي: في **قوله:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: علماء متزهدين، وعُبَّادًا في الصوامع متعبدين. والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظةُ اليهود، وشدةُ المشركين[٢].

قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ المائدة: ٨٣.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿تَفِيضُ﴾ تمتلئ دمعًا، فينسكب. ﴿الشَّاهِدِينَ﴾ الذين يشهدون على الأمم السابقة، وهم أمة نبينا محمدﷺ.

أسباب نزول الآية: عن ابن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النَّجاشي وأصحابه.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ٨٥).
(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٢).

قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ محمدﷺ، ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ﴾ تسيل؛ لأن الفيض لا يكون إلا بعد الامتلاء، جعل الأعين تفيض، والفائض: إنما هو الدمع قصداً للمبالغة. ﴿مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم:١]. فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة.

قوله: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ أي كان ابتداء الفيض ناشئًا من معرفة الحق.

قوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ كأنه قيل: فما حالهم عند سماع القرآن؟ فقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: آمنا بهذا الكتاب النازل من عندك على محمدﷺ، وبمن أنزلتَه عليه.

س: ما المراد بقوله ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؟

قوله: ﴿فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ : قال ابن عباس رضي الله عنهما: مع محمدﷺ وأمته، فإن النصارى لهم قصد وعبادة، وليس لهم علم وشهادة(١).

ولا يصح شيء عن الصحابةﷺ، في عدد الرُّسل الذين أسلموا وفاضت أعينُهم من الدمع من أصحاب النَّجاشي رحمه الله تعالى.

تدبر: كيف يكون التأثر الشرعي بكتاب الله تعالى؟

يجيب عن هذا السؤال الإمام القرطبي(٢) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ وهذه أحوال العلماء يبكون ولا يصعقون، ويسألون ولا يصيحون، ويتحازنون ولا يتموتون، كما قال تعالى﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية (٧/ ٦٢٦).

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٨).

كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر:٢٣].

﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وذلك أن اليهود عَيَّرُوا من أسلم من النصارى، وقالوا لهم: لِمَ آمنتم؟ فأجابوهم بهذا، ﴿ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ أي: في أمة محمدﷺ[1].

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

قوله: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: أعطاهم الله ﴿ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾، وإنما أنجح قولهم وعلق الثواب بالقول؛ لاقترانه بالإخلاص، بدليل قوله: ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يعني: الموحدين المؤمنين[2].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

التَّكذيب بالآيات كفر فهو من باب عطف الخاص على العام. والجحيم: النار الشديدة الإيقاد.

.....

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ٨٨).
(٢) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ٨٨).

التحليل والتحريم ليس من اختصاص البشر بل هو من حق الله (٨٧-٨٨)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

سبب نزول الآية:

١. أخرج التِّرمذي وحسنه عن ابن عباس: أن رجلًا أتى النبيﷺ فقال: يا رسول الله إني إذا أكلت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوة، وإني حرمت عليَّ اللحم، فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾.

٢. وقيل: نزلت في رهط من الصحابةرضي الله عنهم [١] قالوا: ... نترك شهوات الدنيا، ونسيح في الأرض كما يفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبيﷺ فأرسل إليهم فذكر لهم ذلك، فقالوا: نعم، فقال النبيﷺ: «لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني».

٣. وذُكر في قصة [ضعيفة السند] أن عبد الله بن رواحةرضي الله عنه ضافه ضيف من أهله وهو عند النبيﷺ ثم رجع إلى أهله، فوجدهم لم يطعموا ضيفهم انتظارًا له، فقال لامرأته: حبست ضيفي من أجلي، هو حَرَامٌ عليَّ، فقالت امرأته: هو حَرَام عليَّ، فقال الضَّيف: هو حَرَامٌ عليَّ، فلما رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا بسم الله، ثم ذهب إلى النبيﷺ فأخبره، فقال رسول اللهﷺ: «قد أصبت»، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ وهذا أثر منقطع، ولكن في صحيح البخاري في قصة الصِّديق مع أضيافه ما هو شبيه بهذا.

---

(١) وهم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر، وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي، ومعقل بن مقرنرضي الله عنهم، وتشاوروا واتفقوا على أن يترهبوا. تفسير البغوي - طيبة (٣/ ٨٨).

والطيبات: هي المستلذات مما أحله الله لعباده، نهى الذين آمنوا عن أن يحرموا على أنفسهم شيئًا منها، إما لظنِّهم أن في ذلك طاعة لله وتقربًا إليه، وأنَّه من الزهد في الدنيا فرفع النَّفس عن شهواتها، أو لقصد أن يُحرِمُوا على أنفسهم شيئًا مما أحله لهم.

قال ابن جرير الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبيﷺ التَّبتل على عثمان بن مظعونرضي الله عنه.

قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ أي لا تعتدوا على الله بتحريم طيبات ما أحل الله لكم، أو لا تترخصوا فتحللوا ما حرم الله عليكم.

قال الجمهور: من حَرَمَ على نفسه شيئًا مما أحله الله له، فلا يَحْرُم عليه ولا يلزمه كفارة.

وقال أبو حنيفة وأحمد ومن تابعهما: إن من حَرَّمَ شيئًا صار محرمًا عليه، وإذا تناوله لزمته الكفَّارة، قال الشوكاني: وهو خلاف ما في هذه الآية وخلاف ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة. قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ظاهره أنَّه تَحرِيم كل اعتداء.

س: ما حكم من يتقرب إلى الله تعالى بترك جنس اللذات؟

يُنكر على من يتقرَّب إلى الله بترك جنس اللذات؛ كما قال رسول اللهﷺ للذِينَ قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم، فقال النبيﷺ: «لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي؛ فليس مني»[1].

قوله: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ حال كونه حلالًا طيبًا أي غير مُحرَّم ولا مُستقذر، أو أكلًا حلالًا طيبًا، أو كلوا حلالًا طيبًا مما رزقكم الله، ثم وصاهم الله سبحانه بالتَّقوى فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٥٢٤).

حكم اليمين، وأن الحلف لا يكون إلا بأسماء الله تعالى (٨٩)

قوله: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المائدة.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ بِٱللَّغۡوِ ﴾ ما لا يقصده الحالف؛ كقوله: لا والله، وبلى والله.

﴿ عَقَّدتُّمُ ﴾ قصدتم عقده بقلوبكم. ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ اجتنبوا اليمين من غير حاجة، وإن أوقعتموها فوفوا بها، وكفروها إن لم تفوا بها.

سبب نزول الآية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ في القوم الذين كانوا حرموا على أنفسهم النساء واللحم قالوا: يا رسول الله! كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾.

واللغو أن يصل كلامه بالحلف: والله لتأكلن والله لتشربن ونحو هذا لا يريد به يمينًا ولا يتعمد حلفًا، فهو لغو اليمين ليس عليه كفارة.

وفي الآية: دليل على قول الجمهور أن أيمان اللغو لا يؤاخذ الله الحالف بها ولا تجب فيها الكفارة.

قوله: ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ ﴾ قال مجاهد: بما تعمدتم.

وقرئ بتشديد عَقَّدْتُمُ وبتخفيفه، وقرئ عاقدتم.

والعقد على ضربين: حسي: كعقد الحَبل. وحُكمي: كعقد البيع، واليمين والعهد.

فاليمين المنعقدة من عقد القلب ليفعلن أو لا يفعلن في المستقبل أي: ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المنعقدة الموثقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها.

وأما اليمين الغموس: فهي يمين مكر وخديعة وكذب قد باء الحالف بإثمها، وليست بمعقودة ولا كفارة فيها كما ذهب إليه **الجمهور**، وقال **الشافعي**: هي يمين معقودة، مكتسبة بالقلب، معقودة بخبر، مقرونة باسم الله، **والراجح الأول** وجميع الأحاديث الواردة في تكفير اليمين متوجهة إلى المعقودة، ولا يدل شيء منها على الغموس، بل ما ورد في الغموس إلا الوعيد والترهيب، وإنها من الكبائر، بل من أكبر الكبائر، **وفيها نزل قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا ﴾ آل عمران.

قوله: ﴿ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ ﴾ الكفارة: هي مأخوذة من التَّكفير وهو التستير؛ لأنَّها تستر الذنب وتُغطِّيه، والضَّمير في كفارته راجع إلى ما في قوله: ﴿ بِمَا عَقَّدتُّمُ ﴾.

وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كنا نُعطي في كفارة اليمين بالمُد الذي نقتات به، وقال عمر بن الخطابﷺ: إني أحلف لا أعطي أقوامًا، ثم يبدو لي فأعطيهم، فأطعم عشرة مساكين كل مسكين صاعًا من شعير أو صاعًا من تمر أو نصف صاعٍ من قمح. وبمثله قال علي وزيد بن ثابت، وابن عمر، وأبو هريرةﷺ.

وعن علي بن أبي طالبﷺ قال: تُغَدِّيهم وتُعَشِّيهم إن شئت خبزًا ولحمًا، أو خبزًا وزيتًا، أو خبزًا وسمنًا، أو خبزًا وتمرًا.

س: ما المراد بالوسط في قوله: ﴿ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ﴾**؟**

المراد بالوسط هنا المتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير، أي: أطعموهم من المتوسط مما تعتادون إطعام أهليكم منه، ولا يجب عليكم أن تطعموهم من أعلاه، ولا يجوز لكم أن تطعموهم من أدناه، وظاهره أنه يجزئ إطعام عشرة حتى يشبعوا.

س: كيف يجزئ إطعام العشرة المساكين؟

١. لا يجزئ إطعام العشرة غداء دون عشاء حتى يُغَدِّيهم ويُعَشِّيهم، وهو قول أئمة الفتوى بالأمصار.

٢. يَكفيه أن يُطعم عشـرةَ مسـاكين أكلةً واحدةً خبزًا وسـمنًا أو خبزًا ولحمًا. قاله: الحسن البصري وابن سيرين.

س: كم مقدار هذا الإطعام لكل مسكين من العشرة؟

جمهور الصحابة والتابعين: يدفع إلى كل واحد نصف صاع من بر أو تمر.

وقال أبو حنيفة: نصف صاع[1] بر، وصاع مما عداه.

قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾.

١. قرئ **بضم الكاف وكسرها** وهما لغتان مثل أسوة وإسوة.

٢. وقرأ سـعيد بن جبير ومحمد بن السـميقع اليماني أو كَأِسْـوَتِهِمْ: يعني كأسـوة أهليكم.

س: ما المراد بالكسوة؟

١. الكسوة في الرجال تَصْدق على ما يكسو البدن ولو كان ثوبًا واحدًا، وهكذا في كسوة النِّساء.

٢. وقيل: الكسوة للنساء درع وخمار.

٣. وقيل: المراد بالكسوة ما تجزئ به الصلاة.

قوله: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاق مملوك، والتحرير: الإخراج من الرِّق، ويستعمل التَّحرير في فك الأسـير، وإعفاء المجهود بعمل عن عمله، وترك إنزال الضـرر به. وظاهر هذه الآية أنها تجزئ كل رقبة على أي صفة كانت، وقال جماعة منهم الشافعي: باشتراط الإيمان في الرقبة قياسًا على كفارة القتل.

---

(١) الصَّـاع النَّبوي بالوزن يسـاوي (٢,٤٠) كيلو جرامًا من البر تقريبًا، فالإناء الذي يتسـع لهذا يعادل الصـاع النبوي، وهو ما يعادل أربعة أمداد متوسطة. الموسوعة الفقهية - الدرر السنية (١/ ٢٤٦).

قوله: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ أي: فمن لم يجد شيئًا من الأمور المذكورة فكفارته صيام ثلاثة أيام.

وقرئ {فصيام ثلاثة أيام متتابعات} حُكي ذلك عن ابن مسعود وأبي، فتكون هذه القراءة مقيدة لمطلق الصوم.

وقد أخذ بهذه القراءة الشاذة: أبو حنيفة والثوري وهو أحد قولي الشافعي.

وقال مالك والشافعي في قوله الآخر: يجزئ التفريق في صيام تلك الأيام.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ أي: ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا حلفتم وحنثتم، ثم أمرهم بحفظ الأيمان وعدم المسارعة إليها أو إلى الحنث بها، والإشارة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ إلى مصدر الفعل المذكور بعده، أي: مثل ذلك البيان﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ وقد تكرر هذا في مواضع من الكتاب العزيز﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ما أنعم به عليكم من بيان شرائعه وإيضاح أحكامه.

س: ما الحكمة في ترتيب خصال الكفارة على هذا الترتيب؟

هذه خصال ثلاث في كفارة اليمين؛ أيها فعل الحانث أجزأ عنه بالإجماع، وقد بدأ بالأسهل، فالأسهل؛ فالإطعام أسهل وأيسر من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق، فترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى، فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كَفَّرَ بصيام ثلاثة أيام؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾[1].

وقال ابن عباس: في كفارة اليمين: هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة، الأول فالأول، فإن لم يجد من ذلك شيئًا فصيام ثلاثة أيام متتابعات.

---

(١) تفسير ابن كثير(٢/٨٦).

نداء بتحريم الخمر وكل أسباب العداوة بين المؤمنين محرمة في شرع الله (٩٠-٩٣)

قولـه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ المائدة.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ وَٱلۡمَيۡسِرُ ﴾ القمار، وهو المراهنات التي فيها عوض من الجانبين.

﴿ وَٱلۡأَنصَابُ ﴾ حجارة كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا.

﴿ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ ﴾ القداح التي يَستقْسم بها الكفار قبل الإقدام على الشَّيء، أو الإحجام عنه؛ يكتبون على أحدها: (أفعل)، وعلى الآخر: (لا تفعل)، ثم يحركونها فأيُّها خرج، عملوا به.

﴿ رِجۡسٞ ﴾ إثم. ويطلق على العذرة والأقذار.

أسباب نزول الآية:

١. قال ابن عمر رضي الله عنهما: نزل في الخمر ثلاث آيات، فأول شيء ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ ﴾ البقرة، فقيل: حُرِّمت الخمر، فقيل: يا رسول الله! دعنا ننتفع بها كما قال الله، فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ النساء:، فقيل: حُرِّمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله! لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «حُرِّمت الخمر».

٢. أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حرمت الخمر ثلاث مرات، وذكر نحو حديث ابن عمر، فقال الناس: يا رسول الله ناس قُتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجسًا من عمل الشيطان، فأنزل الله: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة قال النبيﷺ: «لو حرم عليهم لتركوه كما تركتم».

٣. عن سعد بن أبي وقاصرضي الله عنه قال: فيَّ نزول تحريم الخمر، صنع رجل من الأنصار طعامًا فدعا ناسًا فأتوه، فأكلوا وشربوا حتى انتشوا من الخمر، وذلك قبل أن تحرم الخمر فتفاخروا، فقالت الأنصـــار: الأنصـــار خير من المهاجرين، وقالت قريش: قريش خير، فأهوى رجل بلحي جمل فضرب على أنفي، فأتيت النبيﷺ فذكرت ذلك له، فنزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

س: متى حرمت الخمرة؟

وعن وهب بن كيسان قال: قلت لجابر: متى حرمت الخمر؟ قال: بعد أُحُد أي: بعد غزوة أحد]. وعن قتادة قال: نزل تحريم الخمر في سورة المائدة، بعد غزوة الأحزاب.

س: لماذا التَّدرج في تحريم الخمر؟

كان تحريم الخمر بتدريج ونوازل كثيرة، لأنهم كانوا قد ألفوا شربها وحببها الشيطان إلى قلوبهم.

وقد أجمع المسلمون إجماعًا لا شك فيه ولا شبهة على تحريم الخمر، وأجمعوا أيضًا على تحريم بيعها والانتفاع بها ما دامت خمرًا، وكما دلت هذه الآية على تحريم الخمر دلت أيضًا على تحريم الميسر والأنصاب والأزلام.

قال علي رضي الله عنه: الشطرنج ميسر الأعاجم[١]. وعن القاسم بن محمد أنه سئل عن النرد[٢] أهي من الميسر؟ قال: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر.

وقال عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما: يا أهل مكة بلغني عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها النردشير، والله يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ وإني أحلف بالله لا أوتى بأحد يلعب بها إلا عاقبته في شعره وبشره، وأعطيتُ سلبَهُ من أتاني به.

وسئل ابن عمر عن الشطرنج؟ فقال هي شر من النرد، وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعب بالنردشير فقد عصى الله ورسوله». صححه بن حبان، والحاكم، وقال ابن القطان أنه منقطع.

قال قتادة وابن سيرين: الميسر القمار. وعن يزيد بن شريح أن النبي ﷺ قال: «ثلاث من الميسر: الصَّفيرِ بالحَمَّام، والقمار، والضَّرب بالكعاب»[٣].

---

(١) أجمع المسلمون على أن اللعب بالشطرنج حرام إذا كان على عوض أو تضمن ترك واجب مثل تأخير الصلاة عن وقتها، وكذلك إذا تضمن كذبا أو ضررا أو غير ذلك من المحرمات.
أما إذا لم يكن كذلك فاختلف الفقهاء على أقوال:
١. المذهب عند المالكية والحنابلة وهو اختيار الحليمي والروياني من الشافعية حرمة اللعب بالشطرنج مطلقًا.
وقيد الشافعية قولهم بأن يكون لعب الشطرنج مع من يعتقد حله وإلا كان حرامًا، لأن فيه إعانة على معصية لا يمكن الانفراد بها.
ومأخذ الكراهة كذلك أنه يُلهي عن الذكر والصلاة في أوقاتها الفاضلة، وقد يستغرق لاعبه في لعبه حتى يشغله عن مصالحه الأخروية.
٢. وذهب أبو يوسف وهو قول عند الشافعية وقول عند المالكية إلى إباحة اللعب بالشطرنج لما فيه من شحذ الخواطر، وتذكية الأفهام، ولأن الأصل الإباحة، ولم يرد بتحريمه نص ولا هو في معنى المنصوص عليه، وقيد المالكية قولهم بالإباحة بألا يلعبه مع الأوباش في الطريق بل مع نظائره في الخلوة بلا إدمان وترك مهم ولهو عن عبادة.
ينظر: المغني (١٧١/٩)، ومواهب الجليل (٦/ ١٥٣)، وحاشية ابن عابدين (٢٥٢/٥)، والبناية (٣٨٤/٩)، وروضة الطالبين (٢٢٥/١١)، وحاشية الدسوقي (١٦٧/٤)، وكشاف القناع (٤٢٣/٦)، ومطالب أولي النهى (٧٠٢/٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٢٦٠/٤).

(٢) شيء يلعب به، قال ابن دريد: فارسي، (معرب)، واختلف في واضعه، كما اختلف في واضع الشطرنج، فقيل: (وضعه أردشير بن بابك) من ملوك الفرس، (ولهاذا يقال له النرد شير). تاج العروس (٩/ ٢١٩).

(٣) فصوص النرد، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٧٩). لا يصح في الكعاب حديث صحيح.

قال مجاهد في الأزلام: هي كعاب فارس التي يقتمرون بها، وسهام العرب.

قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المائدة.

أشارت هذه الآية إلى ما في الخمر والميسر من المفاسد الدنيوية بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ ومن المفاسد الدينية بقوله: ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ ﴾.

قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فيه زجر بليغ يفيده الاستفهام الدال على التقريع والتوبيخ. ولهذا قال عمر رضي الله عنه لما سمع هذا: انتهينا.

فكل لهو دعا قليله إلى كثيره، وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهو كشرب الخمر[1].

قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ المائدة.

أكد الله سبحانه تحريم الخمر بقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ أي: مخالفتهما: أي مخالفة الله ورسوله، فإن هذا وإن كان أمرًا مطلقًا فالمجيء به في هذا الموضع يفيد ما ذكرناه من التأكيد، وهذا ما أفاده بقوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي: إن أعرضتم عن الامتثال، فقد فعل الرسول ما هو الواجب عليه من البلاغ الذي فيه رشادكم وصلاحكم، ولم تضروا بالمخالفة إلا أنفسكم، وفي هذا من الزجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه.

---

(١) تفسير القرطبي (١٦٥/٨).

قـولــه: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَـمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَـمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ المائدة.

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ جُنَاحٌ ﴾... حرج، وإثم.

أسباب نزول الآية:

عن ابن عباس قال: أُنزل تحريم الخمر في قبيلتين من الأنصـار شـربوا، فلما أن ثمل القوم عبث بعضـهم ببعض، فلما أن صـحوا جعل يرى الرجل منهم الأثر بوجهه وبرأسـه ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رؤوفًا رحيمًا ما صـنع بي هذا، حتى وقعت الضـغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ فقال ناس من المُتَكلِّفين: هي رجس، وهي في بطن فلان، قتل يوم بدر، وفلان قتل يوم أحد، فأنزل الله هذه الآية ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَـمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَـمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾المائدة.

قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَـمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ أي من المطاعم التي يشتهونها، والطُّعم وإن كان استعماله في الأكل أكثر لكنه يجوز استعماله في الشرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ ﴾ البقرة: ٢٤٩ أباح الله سـبحانه لهم في هذه الآية جميع ما طعموا كـائنًا ما كـان مقيدًا بقوله: ﴿ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ أي اتقوا ما هو مُحرم عليهم كالخمر وغيره من الكبائر، وجميع المعاصي.

قوله: ﴿ وَّءَامَنُواْ وَعَـمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من الأعمال التي شـرعها الله لهم: أي اسـتمروا على عملها. وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱتَّقَواْ ﴾ عطف على اتقوا الأول: أي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه كـان مباحًا فيما سـبق، وآمنوا بتحريمه، ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد التحريم المذكور قبله مما كان مباحًا من قبل.

س: ما أقوال العلماء في قوله: ﴿وَأَحْسَنُوا﴾؟

١. عملوا الأعمال الحسنة.

٢. إن التكرير باعتبار المراتب الثلاث، المبدأ، والوسط، والمنتهى.

٣. إن التكرار باعتبار ما يتقيه الإنسان، فإنه ينبغي له أن يترك المحرمات توقيًا من العذاب، والشبهات توقيًا من الوقوع في الحرام، وبعض المباحات حفظًا للنفس عن الخسة.

٤. اتقوا الشرك وآمنوا بالله ورسوله، ثم اتقوا الكبائر وآمنوا، أي ازدادوا إيمانًا، ثم اتقوا الصغائر، وأحسنوا أي تنفلوا.

قال ابن جرير الطبري الاتقاء ثلاثة:

الاتقاء الأول: هو تلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل.

الاتقاء الثاني: هو الثبات على التصديق.

والاتقاء الثالث: هو الإحسان والتقرب بالنوافل.

﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾: دليل على أن المتقي المحسن، أفضل من المتقي المؤمن. تفسير القرطبي (١٧٢/٨).

.....

تشريعات تتعلق بالحَرَم وحُرمة الصيد فيه (٩٤-٩٥)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة: ٩٤].

أسباب نزول الآية

نزلت عام الحديبية وكانوا مُحرمين ابتلاهم الله بالصيد، وكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا بأخذها فنزلت:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾(١).

قوله: ﴿ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ﴾ أي ليختبرنكم، وقد كان الصيد أحد معايش العرب فابتلاهم الله بتحريمه مع الإحرام وفي الحرم، كما ابتلى بني إسرائيل أن لا يعتدوا في السبت.

س: متى كان نزول هذه الآية؟

كان نزول الآية في عام الحديبية، أحرم بعضهم وبعضهم لم يحرم، فكان إذا عرض صيد اختلفت فيه أحوالُهم.

س: من المخاطب بهذه الآية؟

اختلف العلماء في المخاطبين بهذه الآية هل هم المُحِلون أو المُحرِمون؟ فذهب إلى الأول مالك، وإلى الثاني ابن عباس، والراجح أن الخطاب للجميع، ولا وجه لقصره على البعض دون البعض.

س. ما المقصود بمن في قوله:﴿ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ﴾؟

(١) قيل للتبعيض وهو صيد البر. قاله ابن جرير الطبري وغيره.

(٢) وقيل: إن من بيانية: أي شيء حقير من الصيد. وتنكير شيء للتحقير.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ٩٦).

قوله: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ قرأ ابن وثاب يناله بالياء التحتية، هذه الجملة تقتضي تعميم الصيد، وأنه لا فرق بين ما يؤخذ باليد وهو ما لا يطيق الفرار كالصغار والبيض، وبين ما تناله الرماح: وهو ما يطيق الفرار.

س: لماذا خص الأيدي والرماح في هذه الآية؟

خص الأيدي لأنَّها أكثر ما يتصرف به الصائد في أخذ الصيد، وخص الرماح بالذَّكر؛ لأنها أعظم الآلات للصيد عند العرب.

قوله: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي ليتميز عند الله من يخافه منكم، بسبب عقابه الأخروي فإنه غائب عنكم غير حاضر.

قوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي: بعد هذا البيان الذي امتحنكم الله به، لأن الاعتداء بعد العلم بالتحريم معاندة لله سبحانه وتجرئة عليه.

.....

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿حُرُمٞ﴾ مُحرِمُون ﴿ٱلنَّعَمِ﴾ بهيمة الأنعام؛ من الإبل والبقر والغنم. ﴿ذَوَا﴾ صاحب. ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ يصل لفقراء الحرم. ﴿وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾... عاقبة فعله.

أسباب نزول الآية:

نزلت في رجل يقال له أبو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله[1].

---

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ٩٧).

قوله: ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ أي: مُحرمون بالحج والعمرة، نهاهم عن قتل الصيد في حال الإحرام. قوله: ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ وهذا النهي شامل لكل أحد من ذكور المسلمين وإناثهم، لماذا؟

لأنه يقال: رجل حَرَامٌ وامرأة حَرَامٌ والجمع حُرُمٌ، وأحرم الرجل: دخل في الحرم.

قوله: ﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا ﴾ .

س: ما الفرق بين المُتعَمِد والمُخطئ والنَّاسي؟

المتعمد: هو القاصد للشيء مع العلم بالإحرام، **والمخطئ**: هو الذي يقصد شيئًا فيصيب صيدًا، **والنَّاسي**: هو الذي يتعمد الصيد ولا يذكر إحرامه.

س: هل تكون الكفارة على العامد فقط؟

١. لأحمد رواية أن الكفارة تقتصر على العامد دون غيره.

٢. جمهور الفقهاء: كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابهم تلزم الكفارة المخطئ والناسي كما تلزم المتعمد، وجعلوا قيد التعمد خارجًا مخرج الغالِب.

٣. قال مجاهد: تجب الكفارة على العامد الناسي لإحرامه، وقال: فإن كان ذاكرًا لإحرامه فقد حل ولا حج له لارتكابه محظور إحرامه، فبطل عليه كما لو تكلم في الصلاة أو أحدث فيها.

قوله: ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ أي: فعليه جزاءٌ مماثلٌ لما قتله، ومن النَعَمِ بيان للجزاء المماثل.

س: ما المراد بالمماثلة في قول الله تعالى: ﴿ فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾؟

١. المماثلة في القيمة. قال به أبو حنيفة.

٢. المماثلة في الخلقة. قاله: مالك والشـــافعي وأحمد والجمهور، وهو الحق؛ لأن البيان للماثل بالنَعَمِ يفيد ذلك، وكذلك يفيده هديًا بالغ الكعبة. وروي عن أبي حنيفة أنه يجوز إخراج القيمة ولو وجد المثل، وأن المُحرِم مُخَير.

القراءات:

١. قرئ: فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ مَا قَتَلَ.

٢. وَقُرِئَ: فَجَزاءٌ مِثلُ على إضافة جزاء إلى مثل.

٣. وقرئ بنصبهما على تقدير فليُخرج جزاءً مثلَ ما قتل.

٤. وقرأ الحسن النَّعْم بسكون العين تخفيفًا، يحكم به أي بالجزاء أو بمثل ما قتل ذوا عدل منكم أي: رجلان معروفان بالعدالة بين المســلمين، فإذا حكما بشــيء لزم، وإن اختلفا رجع إلى غيرهما.

المثل من النعم، يحكم حاكم بالتالي: النعامة ببدنة، وفي حمار الوحش ببقرة، وفي الضبع بكبش، فدل على أنهم نظروا إلى ما يقرب من الصيد شبهًا من حيث الخلقة [لا من حيث القيمة] وتجب في الحَمَام شـــاة، وهو كل ما عب وهدر من الطير، كالفاختة والقُمري[1].

س: هل يجوز للجاني المُحرِم في الصيد أن يكون أحد الحكمين في الحُكم؟

١. لا يجوز عند أبي حنيفة.

٢. يجوز في أحد قولي الشافعي: وظاهر الآية يقتضي حكمين غير الجاني.

قوله: ﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ نصب هديًا على الحال أو البدل من مِثل، والمعنى أنهما إذا حكما بالجزاء فإنه يفعل به ما يفعل بالهدي من الإرســال إلى مكة والنحر هنالك، والإشعار والتقليد.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ٩٧).

س: هل المراد بالكعبة عينها؟

ولم يرد الكعبة بعينها فإن الهدي لا يبلغها، وإنما أراد الحرم، ولا خلاف في هذا.

قوله: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ في جزاء الصيد.

قال جمهور العلماء الجاني مخير بين أن يذبح المثل من النَّعم، فيتصدق بلحمه على المساكين الحرم، وبين أن يُقَوم المَثل دراهم، والدراهم طعامًا، فيتصدق بالطعام على مساكين الحرم، أو يصوم عن كل مد من الطعام يومًا وله أن يصوم حيث شاء لأنه لا نفع فيه للمساكين.

قوله: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أي: جزاء معصيته، والذوق مستعار لإدراك المشقة، ومثله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الدخان والوبال: سوء العاقبة.

س: ما المقصود عما سلف في قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ ؟

يعني في جاهليتكم من قتلكم للصيد، وقيل: عما سلف قبل نزول كفارة الصيد.

قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ فينتقم الله منه في الآخرة فيعذبه بذنبه، وقيل: ينتقم منه بكفارة الصيد. قال شريح وسعيد بن جبير: يُحكم عليه في أول مرة، فإذا عاد لم يحكم عليه بل يقال له: اذهب ينتقم الله منك: أي: ذنبك أعظم من أن يُكفر.

تشريعات تتعلق بالحج، وعدم استواء الخبيث والطيب (٩٦-١٠٠)

قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ ما يصاد حيًا. ﴿ وَطَعَامُهُۥ ﴾ ما يصاد ميتًا. ﴿ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ للمسافرين.

قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ ﴾ الخطاب لكل مسلم أو للمُحرِمين خاصة، ﴿ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ ﴾ ما يصاد فيه، والمراد بالبحر هنا كل ماء يوجد فيه صيد بحري وإن كان نهرًا أو غديرًا.

س: ما المقصود بطعام البحر في قوله: ﴿ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ ﴾ ؟

١. ما قذف به البحر وطفا عليه، وبه قال كثير من الصحابة والتابعين.
٢. ما مُلِّح منه وبقي، قال به جماعة، وروي عن ابن عباس.
٣. ما يُطعم من الصيد: أي: ما يحل أكله وهو السمك فقط، وبه قالت الحنفية.

س: ما المقصود بالسَّيَّارة في قوله: ﴿ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ ؟

١. هم المسافرون منكم يتزودونه ويجعلونه قديدًا.
٢. هم الذين يركبونه خاصة.

قوله: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ أي: حُرِّم عليكم ما يُصاد في البر ما دُمتُم مُحرِمين.

س: ما حكم أكل الصيد للمُحرِم إذا كان صائده له حلالًا؟

١. تحريم صيده على المُحرِم ولو كان الصائد حلالًا. قاله الجمهور وهو الراجح.
٢. يحل له مطلقًا. ٣. يحرم عليه مطلقًا.

س: متى يجوز للمُحرِم أكل الصيد؟ إذا لم يصطد بنفسه، ولا اصطيد لأجله، أو بإشارته، وهو قول الجمهور وأصحاب الرأي، وإنما رد النبيﷺ على الصَّعب بن جثامة؛ لأنه ظن أنه صِيد من أجله.

قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ أي: اتقوا الله فيما نهاكم عنه الذي إليه تحشرون لا إلى غيره، وفيه تشديد ومبالغة في التحذير.

القراءات:

١. وقرئ وَحُرِّمَ عليكم صيد البر بالبناء للفاعل.

٢. وقرئ ما دِمتُم بكسر الدال.

قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ ﴾ قال أبو بكر الصديقرضي الله عنه: صيد البحر ما تصطاده أيدينا، وطعامه ما لاثه البحر[1]، وفي لفظ «طعامه كل ما فيه». وفي لفظ «طعامه ميتته». ويؤيد هذا ما في الصحيحين من حديث العنبر التي ألقاها البحر فأكل الصحابة منها وقررهم رسول اللهﷺ على ذلك، وحديث هو «الطهور ماؤه والحل ميتته». وحديث «أحل لكم ميتتان ودمان».

.....

قوله: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ المائدة: ٩٧

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ ﴾ صلاحًا لدينهم، وأمنًا لحياتهم. ﴿ وَٱلۡهَدۡيَ ﴾ ما يهدى للبيت من الأنعام وغيرها. ﴿ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾ هو الهدي الذي علق عليه شيء؛ إشعارًا بأنه هدي.

---

(١) يقال: لاث بالشيء يلوث، إذا طاف به. تهذيب اللغة (١٥/ ٩٤).

قال محمد بن شهاب الزُّهري: جعل الله الكعبة البيت الحرام، والشهر الحرام، قيامًا للناس يأمنون به في الجاهلية الأولى، لا يخاف بعضهم من بعض حين يلقونهم عند البيت أو في الحرم أو في الشهر الحرام.

قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ جعل هنا بمعنى خلق.

س: لماذا سميت الكعبة كعبةً؟

قيل: لأنها مربعة، والتكعيب التربيع، وأكثر بيوت العرب مدورة لا مربعة. وقيل: سميت كعبة لنتوئها وبروزها، وكلُ بارزٍ كعبٌ مُستديرًا كان أو غير مستدير، ومنه كعب القدم.

س: لماذا سميت الكعبة البيت الحرام؟

سميت بيتًا؛ لأن له سقوفًا وجدرًا وهي حقيقة البيت وإن لم يكن به ساكن، وسمي حرامًا لتحريم الله سبحانه إياه.

قوله: ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ هكذا قرأ الجمهور، وقرأ ابن عامر قَيِّمًا.

س: ما معنى كون البيت قيامًا؟

أي: أنه مدار لمعاشهم ودينهم: أي يقومون فيه بما يصلح دينهم ودنياهم: يأمن فيه خائفهم، وينصر فيه ضعيفهم، ويربح فيه تجارهم، ويتعبد فيه متعبدهم. وقد استثنى النبيﷺ للمحرم أن يقتل الفواسق الخمس[1] ولا شيء عليه.

قوله: ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾.

١. هو ذو الحجة، وخصه من بين الأشهر الحرم لكونه زمان تأدية الحج.

٢. هو اسم جنس. والمراد به الأشهر الحرم: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، فإنهم كانوا لا يطلبون فيها دمًا، فكانت من هذه الحيثية قيامًا للناس.

---

(١) الحدأة، والغراب الأبقع، والعقرب، والكلب العقور، والحية، فقد أخرج مسلم (٢ / ٨٥٧) خبرًا عائشة رضي الله عنها قالت: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم: الفأرة، والعقرب، والغراب، والحديا، والكلب العقور» وكذا كل سبع ضار، كالأسد، والنمر.

قوله: ﴿ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ أي: وجعل الله الهدي والقلائد قيامًا للناس. والمراد بالقلائد: ذوات القلائد من الهدي، ولا مانع من أن يراد بالقلائد أنفسها.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: ذلك الجعل قوله: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: لتعلموا أن الله يعلم تفاصيل أمر السماوات والأرض ويعلم مصالحكم الدينية والدنيوية. قوله: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ هذا تعميم بعد التخصيص.

قوله: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ المائدة: ٩٨.

ثم أمرهم بأن يعلموا بأن الله لمن انتهك محارمه ولم يتب عن ذلك شديد العقاب، وأنه لمن تاب وأناب غفور رحيم.

قوله: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ المائدة.

أخبرهم سبحانه إن لم يمتثلوا ويطيعوا فما ضروا إلا أنفسهم، وما جنوا إلا عليها، وأما الرسولﷺ فقد فعل ما يجب عليه، وقام بما أمره الله به.

س: ما هي وظيفة الداعية إلى الله في ضوء قوله تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾؟

أي: ليس له الهداية والتوفيق ولا الثواب، وإنما عليه البلاغ. تفسير القرطبي: (٨/٢٢٥).

.....

﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المائدة:.

س: ما المراد بالخبيث والطيب؟

١. الحرام والحلال. ٢. المؤمن والكافر. ٣. العاصي والمطيع. ٤. الرديء والجيد. والأولى اعتبار عموم اللفظ فيشمل هذه المذكورات وغيرها. من الأشخاص والأعمال والأقوال، فالخبيث لا يساوي الطيب بحال من الأحوال.

قوله: ﴿ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ ﴾

١. قيل الخطاب للنبيﷺ.

٢. قيل: لكل مخاطب يصلح لخطابه بهذا. والمراد نفي الاستواء في كل الأحوال؛ لأن خبث الشيء يبطل فائدته، ويمحق بركته، ويذهب بمنفعته.

تدبر: ولماذا لا يساوي الخبيث الطيب؟

فالخبيث لا يساوي الطيب مقدارًا، ولا إنفاقًا، ولا مكانًا، ولا ذهابًا؛ فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطَّيب في الجنة، والخبيث في النار. تفسير القرطبي:(٨/٢٢٦).

.....

النهي عن اتباع أساليب الأمم السابقة في الاختلاف على أنبيائهم والتكلف بما لا يعنيهم (١٠١-١٠٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ المائدة: ١٠١.

سبب نزول الآية:

١. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنسﷺ قال: خطب النبيﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال رجل: من أبي؟ فقال: فلان، فنزلت هذه الآية ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾ وكان السائل هو عبد الله بن حذافة وأنه قال: من أبي؟ قال النبيﷺ: «أبوك حذافة».

٢. وأخرج ابن حبان عن أبي هريرةﷺ أن رسول اللهﷺ خطب فقال: «يا أيها الناس إن الله قد افترض عليكم الحج، فقام رجل، فقال: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت عنه، فأعادها ثلاث مرات، فقال: لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما قمتم بها، ذروني ما تركتكم فإنما هلك الذين قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» وذلك أن هذه الآية: أعني لا تسئلوا عن أشياء نزلت في ذلك.

٣. وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال: كانوا يسألون عن الشيء وهو لهم حلال، فما زالوا يسألون حتى يحرم عليهم، وإذا حرم عليهم وقعوا فيه.

قوله: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ أي لا تسألوا عن أشياء لا حاجة لكم بالسؤال عنها ولا هي مما يعنيكم في أمر دينكم.

فقوله: ﴿إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ لا تسألوا عن أشياء متصفة بهذه الصفة من كونها إذا بدت لكم: أي ظهرت وكلفتم بها، ساءتكم، نهاهم الله عن كثرة مساءلتهم لرسول اللهﷺ، فإن السؤال عما لا يعني ولا تدعو إليه حاجة قد يكون سببًا لإيجابه على السائل وعلى غيره.

قوله: ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ أي: لا تسألوا عن أشياء إن تسألوا عنها حين ينزل القرآن، وذلك مع وجود رسول اللهﷺ بين أظهركم، ونزول الوحي عليه، تبد لكم: أي تظهر لكم بما يجيب عليكم به النبيﷺ أو ينزل به الوحي، فيكون ذلك سببًا للتكاليف الشاقة، وإيجاب ما لم يكن واجبًا، وتحريم ما لم يكن محرمًا، بخلاف السؤال عنها بعد انقطاع الوحي بموت رسول اللهﷺ فإنه لا إيجاب ولا تحريم يتسبب عن السؤال.

وقد ظن بعض أهل التفسير أن [إن] الشرطية الثانية فيها إباحة السؤال مع وجود رسول اللهﷺ ونزول الوحي عليه، فقال: إن الشرطية الأولى أفادت عدم جواز السؤال، والثانية أفادت جوازه، فقال: إن المعنى:

وإن تسألوا عن غيرها مما مست إليه الحاجة تبد لكم بجواب رسول اللهﷺ عنها، وجعل الضمير في عنها راجعًا إلى أشياء غير الأشياء المذكورة، وجعل ذلك كقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ ، وهو آدم، ثم قال: ثم جعلناه نطفة، أي ابن آدم.

قوله: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾

١. أي: عفا عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى ذلك.

٢. أي: عفا عن الأشياء التي سألتم عنها، هي مما عفا عنه ولم يوجبه عليكم، فكيف تتسببون بالسؤال لإيجاب ما هو عفو من الله غير لازم؟

ويمكن أن يقال إن العفو بمعنى الترك: أي: تركها الله ولم يذكرها بشيء، فلا تبحثوا عنها، وهذا معنى صحيح، ثم جاء سبحانه بصيغة المبالغة في كونه ﴿ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ليدل بذلك على أنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة لكثرة مغفرته وسعة حلمه.

.....

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ المائدة: ١٠٢.

الضمير يرجع إلى المسألة المفهومة من [لا تسئلوا] لكن ليست هذه المسألة بعينها، بل مثلها في كونها مما لا حاجة إليه ولا توجبه الضرورة الدينية، ثم لم يعملوا بها، بل

أصبحوا بها كافرين: أي ساترين لها تاركين للعمل بها، وذلك كسؤال قوم صالح الناقة، وأصحاب عيسى المائدة، ولا بد من تقييد النهي في هذه الآية بما لا تدعو إليه حاجة كما قدمنا، لأن الأمر الذي تدعو الحاجة إليه في أمور الدين والدنيا قد أذن الله بالسؤال عنه فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ النحل: ٤٣ وقالﷺ: «قاتلهم الله ألا سألوا، فإنما شفاء العي السؤال».

تدبر: تختلف أحوال السائلين، فما السؤال المحمود، وما السؤال المذموم؟

السؤال المحمود ما كان على وجه الاسترشاد، والمذموم ما على وجه الاستهزاء والعناد. تفسير ابن كثير:(٢/١٠٠).

.....

بطلان دعوة مشركي مكة في هدايا أضاحي الحَرَم، ودعوة لترك التقليد الأعمى (١٠٣-١٠٥)

﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ المائدة: ١٠٣.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ بَحِيرَةٍ ﴾ هي التي تقطع أذنها، وتخلى للطواغيت؛ إذا ولدت عددًا من البطون.

﴿ سَآئِبَةٍ ﴾ هي التي تترك للأصنام؛ بسبب برء من مرض، أو نجاة من هلاك.

﴿ وَصِيلَةٍ ﴾ هي التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى؛ فتترك للطواغيت.

﴿ وَلَا حَامٍ ﴾ الذكر من الإبل إذا ولد من صلبه عدد من الإبل، لا يركب، ولا يحمل عليه.

قوله: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ﴾ هذا كلام مبتدأ يتضمن الرد على أهل الجاهلية فيما ابتدعوه، وجعل هاهنا بمعنى سمى كما قال: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ويقصد بالبحيرة:

١. قال الشافعي: كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن إناثًا بحرت أذنها فحرمت.

٢. قيل: إن كان الخامس ذكرًا بحروا أذنه فأكله الرجال والنساء، وإن كان الخامس أنثى بحروا أذنها وكانت حرامًا على النساء لحمها ولبنها.

٣. قيل: إذا نتجت الناقة خمسة أبطن من غير تقييد بالإناث شقوا أذنها وحرموا ركوبها ودرها.

الخلاف في السائبة:

١. هي الناقة، أو البعير يُسيَّب بنذر يكون على الرجل إن سلمه الله من مرض أو بلغه منزلة، فلا يحبس عن رعي ولا ماء، ولا يركبه أحد.

٢. هي التي تسيب لله فلا قيد عليها ولا راعي لها.

٣. هي التي تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، فعند ذلك لا يركب ظهرها، ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف.

الخلاف في الوصيلة:

١. هي الناقة إذا ولدت أنثى بعد أنثى.

٢. هي الشاة كانت إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكرًا فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكرًا وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

٣. كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكرًا ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكرًا وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبح لمكانها، وكان لحمها حرامًا على النساء، إلا أن يموت فيأكلها الرجال والنساء.

الخلاف في الحام:

١. هو الفحل الحامي ظهره عن أن يركب، وكانوا إذا رُكب ولدُ ولدِهِ الفحل قالوا: حمى ظهره فلا يركب.

٢. هو الفحل إذا نتج من صلبه عشرة، قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء.

قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾

وصفهم الله سبحانه بأنهم ما قالوا ذلك إلا افتراء على الله وكذبا، لا لشرع شرعه الله لهم، ولا لعقل دلهم عليه.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٠٤ ﴾ المائدة: ١٠٤.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام، ﴿ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ من الدين، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾[1]. أي: ولو كانوا جهلة ضالين.

وقد صارت هذه المقالة التي قالتها الجاهلية ﴿ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ نصب أعين المقلدة، وعصاهم التي يتوكؤون عليها إن دعاهم داعي الحق، وصرخ لهم صارخ الكتاب والسنة، فاحتجاجهم بمن قلدوه ممن هو مثلهم في التعبد بشرع الله مع مخالفة قولِه لكتاب الله أو لسنة رسولهﷺ هو كقول هؤلاء، وليس الفرق إلَّا في مجرد العبارة اللفظية، لا في المعنى الذي عليه تدور الإفادة والاستفادة.

.....

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ المائدة.

السراج في غريب القرآن: ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾... ألزموا أنفسكم العمل بالطاعة.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ١٠٩).

عن قيس بن أبي حازم قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ وإنكم تضعونها على غير مواضعها، وإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه، أوشك أن يعمَهم اللهُ بعقاب». صححه النسائي.

وأخرج الترمذي وصححه، عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول اللهﷺ قال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شُحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم» وفي لفظ: «قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلًا منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم».

وعن الحسن البصري: أن ابن مسعودرضي الله عنه سأله رجل عن قوله: ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ فقال: يا أيها الناس إنه ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة، ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، أو قال: فلا يقبل منكم، فحينئذ ﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾.

وقال ابن مسعودرضي الله عنه: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما لم يكن من دون ذلك السوط والسيف، فإذا كان كذلك فعليكم أنفسكم».

قوله: ﴿ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾: من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد[1].

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (٤٥٩/١).

قوله: ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي الزموا أنفسكم أو احفظوها.

القراءات التي في قوله تعالى: ﴿ لَا يَضُرُّكُم ﴾.

١. قُرئ: لَا يَضُرُّكُمْ بالجزم.
٢. وقرأ نافع وغيره بالرفع لَا يَضُرُّكُمُ على أنه مستأنف.
٣. وقرئ: لَا يَضِرُّكُمْ بكسر الضاد.
٤. وقرئ: «لا يضيركم».

والمعنى: لا يضركم ضلال من ضل من الناس، إذا اهتديتم للحق أنتم في أنفسكم، وليس في الآية: ما يدل على سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن من تركه مع كونه من أعظم الفروض الدينية فليس بمهتد، وقد دلت الآيات القرآنية، والأحاديث المتكاثرة، على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبًا متحتمًا، فتحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو لا يظن التأثير بحال من الأحوال، أو يخشى على نفسه أن يحل به ما يضره ضررًا يسوغ له معه الترك إلى الله مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

.....

أحكام الوصية والإشهاد عليها في السفر، والاستئناس بشهادة أهل الكتاب بعد يمينهم بالصدق (١٠٦-١٠٨)

هذه الآيات الثلاث عند أهل المعاني من أشكل ما في القرآن إعرابًا ومعنى وحكمًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾.

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سافرتم.

أسباب نزول الآية:

١. أخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء، فمات السَّهمي بأرض ليس فيها مسلم، فأوصى إليهما، فلما قدما بتركته فقدوا جامًا [يُشْرَبُ فيه] من فضة مخوصًا بالذهب، فأحلفهما رسول اللهﷺ بالله ما كتمتماها ولا اطلعتما، ثم وجدوا الجام بمكة فقيل: اشتريناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وإن الجام لصاحبهم، وأخذوا الجام، قال: وفيهم نزلت ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ وقال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أن هذه القصة هي سبب نزول الآية.

٢. عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ ﴾ قال: هذا لمن مات وعنده المسلمون، أمره الله أن يشهد على وصيته عدلين مسلمين، ثم قال: ﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين، أمر الله بشهادة رجلين من غير المسلمين، فإن ارتيب بشهادتهما استُحلفا بالله بعد الصلاة ما اشتريا بشهادتهما ثمنًا قليلًا، فإن اطَّلع الأولياء على أن الكافرين كذبا في شهادتهما، وثم رجلان من الأولياء فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة، فذلك قوله: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ يقول: إن اطِّلع على أن الكافرين كذبا ذلك أدنى أن يأتي الكافران بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم فتترك شهادة الكافرين ويحكم بشهادة الأولياء، فليس على شهود المسلمين أقسام: إنما الأقسام إذا كانا كافرين.

قوله: ﴿ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾ قال تفسير ابن عطية: أن الشهادة هنا هي الشهادة التي تُؤدى من الشهود. قوله: ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ ﴿ٱلۡمَوۡتُ حضرت علاماته؛ لأن من مات لا يمكنه الإشهاد. وقوله: ﴿ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ﴾ أي شهادة اثنين من رجالكم. قوله: ﴿ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ أي من المسلمين. قوله: ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ من الكفار، فيكون في الآية دليل على جواز شهادة أهل الذمة على المسلمين في السفر في خصوص الوصايا، كما يفيده النظم القرآني، ويشهد له سبب النزول، فإذا لم يكن مع الموصِي من يشهد على وصيته من المسلمين، فليشهد رجلان من أهل الكفر، فإذا قدما وأديا الشهادة على وصيته، حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا ولا بدلا، وأن ما شهدا به حق، فيحكم حينئذ بشهادتهما فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا حلف رجلان من أولياء الموصِي، وغَرِمَ الشاهدان الكافران ما ظهر عليهما من خيانة أو نحوها.

وذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم من الفقهاء أن الآية منسوخة، واحتجوا بقوله: ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ وبقوله: ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ والكفار ليسوا بمرضيين ولا عدول، وخالفهم الجمهور فقالوا: الآية محكمة، قال الشوكاني: وهو الحق لعدم وجود دليل صحيح يدل على النسخ.

وأما قوله: ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ وقوله: ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ فهما عامان في الأشخاص والأزمان والأحوال، وهذه الآية خاصة بحالة الضرب في الأرض، وبالوصية، وبحالة عدم الشهود المسلمين، ولا تعارض بين عام وخاص.

قوله: ﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ والضرب في الأرض هو السفر. وقوله: ﴿ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ أي: إن سافرتم في الأرض، فنزل بكم الموت، وأردتم الوصية ولم تجدوا شهودًا عليها مسلمين، ثم ذهبا إلى ورثتكم بوصيتكم، وبما تركتم، فارتابوا في

أمرهما، وادعوا عليهما خيانة، فالحكم أن تحبسوهما قوله: ﴿ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾إن ارتبتم في شهادتهما.

س: هل الموت مصيبة؟ وما المصيبة الأشد والأعظم منه؟

سَمى الله تعالى الموت في هذه الآية مصيبة، والموت وإن كان مصيبة عظمى، ورزية كبرى، فأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وترك التفكر فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لعبرة لمن اعتبر، وفكرة لمن تفكر. تفسير القرطبي:(٨/٢٦٤).

س: لماذا خص اليمين بعد الصلاة؟

قيل صلاة العصر، وقيل أي صلاة كانت.

١. لكونه الوقت الذي يغضب الله على من حلف فيه فاجرًا كما ثبت في الصحيح.
٢. لكونه وقت اجتماع الناس وقعود الحكام للحكومة.
٣. تعظيمًا للوقت، وإرهابًا به؛ لشهود الملائكة ذلك الوقت. تفسير القرطبي:(٨/٢٦٦).

س: ما المراد بالحبس، وهل يجوز؟

المراد بالحبس توقيف الشاهدين في ذلك الوقت لتحليفهما، وفيه دليل على جواز الحبس بالمعنى العام، وعلى جواز التغليظ على الحالف بالزمان والمكان ونحوهما.

قوله: ﴿ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ أي يُقسمُ بالله الشاهدان على الوصية، وقد استدل بذلك ابن أبي ليلى على تحليف الشاهدين مطلقًا إذا حصلت الريبة في شهادتهما، وفيه نظر؛ لأن تحليف الشاهدين هنا إنما هو لوقوع الدعوى عليهما بالخيانة أو نحوها.

قوله: ﴿ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا ﴾. أي: لا نبيع حظنا من الله تعالى بهذا العَرَض القليل، فنحلف به كاذبين لأجل المال الذي ادعيتموه علينا.

قوله: ﴿ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ ﴾. أي: ولو كان المشهود له قريبًا، فإنا نؤثر الحق والصدق، ولا نؤثر العرض الدنيوي ولا القرابة.

قوله: ﴿ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾. لماذا أضاف الشهادة إلى الله سبحانه؟ قال الشوكاني: لكونه الآمر بإقامتها والناهي عن كتمها. وقال ابن جزي: وإضافتها إلى الله تعظيمًا لها. التسهيل في علوم التنزيل (١/٢٥٥).

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿إِثْمًا﴾ خيانة. ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ الأقربان للميت.

قوله: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ ﴾إذا اطُّلِع بعد التحليف على أن الشاهدين أو الوصيين استحقا إثمًا: إما بكذب الشهادة أو اليمين أو بظهور خيانة.

قوله: ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾أي: فحالفان آخرانِ يقومان مقام اللذينِ عُثر على أنهما استحقا إثما فيشهدان أو يحلفان على ما هو الحق.

قوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾كأنه قيل: من هما؟ فقيل: هما الأوليان.

١. قرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة الأولين.
٢. وقرأ الحسن الأولان.

والمعنى: من الذين استحق عليهم الإثم: أي: جنى عليهم، هم أهل الميت وعشيرته فإنهم أحق بالشهادة أو اليمين من غيرهم، فالأوليان تثنية أولى. والمعنى: على قراءة البناء للفاعل: من الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة، ويظهروا بهما كذب الكاذِبينِ لكونهما الأقربين إلى الميت، فالأوليان فاعل استحق ومفعوله أن يجردوهما للقيام بالشهادة وقيل: المفعول محذوف، والتقدير: من الذين استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها.

قوله: ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ﴾ على الشاهدين الكافرين: ﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ ﴾ على أنهما كاذبان خائنان ﴿ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا ﴾

اليمين، كما في قوله تعالى: ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۝٦ ﴾ النور: ٦ قوله: ﴿ وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ ﴾ أي: تجاوزنا الحق في أيمننا قوله: ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إن كنا حلفنا على باطل.

.....

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝١٠٨ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَدْنَىٰٓ ﴾ أقرب. ﴿ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ على حقيقتها.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾ أي أقرب إلى أن يؤدي الشهود المتحملون للشهادة على الوصية بالشهادة على وجهها فلا يحرفوا ولا يبدلوا ولا يخونوا.

والضمير في يأتوا: عائد إلى شهود الوصية من الكفار وقيل: إنه راجع إلى المسلمين المخاطبين بهذا الحكم.

قوله: ﴿ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ أي: ترد على الورثة فيحلفون على خلاف ما شهد به شهود الوصية فيفتضح حينئذ شهود الوصية.

وحاصل ما تضمنه هذا المقام من الكتاب العزيز أن من حضرته علامات الموت أشهد على وصيته عدلين من عدول المسلمين، فإن لم يجد شهودًا مسلمين، وكان في سفر، ووجد كفارًا جاز له أن يشهد رجلين منهم على وصيته، فإن ارتاب بهما ورثة الموصِي حلفًا بالله على أنهما شهدا بالحق وما كتما من الشهادة شيئًا ولا خانا مما تركه الميت شيئًا، فإن تبين بعد ذلك خلاف ما أقسما عليه من خلل في الشهادة أو ظهور شيء

من تركة الميت زعما أنه قد صـــار في ملكهما بوجه من الوجوه حلف رجلان من الورثة وعمل بذلك.

.....

سؤال الخلق أجمعين عن علمهم وعن عملهم بشرع الله تعالى (١٠٩)

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾

وتوجيه السـؤال إلى الرُّسـل لقصـد توبيخ قومهم، وجوابهم بقولهم: ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ مع أنهم عالمون بما أجابوا به عليهم، فإن تفويض الجواب إلى الله أبلغ في حصول ذلك. وقيل: لا علم لنا لما أحدثوا بعدنا وقيل: إنهم ذهلوا عما أجاب به قومهم لهول المحشر.

.....

إكرام الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام وتأييده بالمعجزات (١١٠-١١١)

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن الكريم:

﴿ أَيَّدتُّكَ ﴾ قويتك. ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ جبريل عليه السلام. ﴿ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ من ولد أعمى.

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ وهو تخصيص بعد التعميم وتخصيص عيسى عليه السلام من بين الرسل لاختلاف طائفتي اليهود والنصارى فيه إفراطًا وتفريطًا، هذه تجعله إلهًا، وهذه تجعله كاذبًا.

قوله: ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾

س: لماذا ذَكَّرَهُ اللهُ نعمتَه عليه وعلى أمِّه مع كونه ذاكرًا لها عالمًا بتفضل الله بها؟

١. لقصد تعريف الأمم بما خصهما الله به من الكرامة، وميَّزهما به من علو المقام.
٢. لتوبيخ من اتخذهما إلهين، ببيان أن ذلك الإنعام عليهما كله من عند الله سبحانه، وأنهما عبدان من جملة عباده مُنعم عليهما بنعم الله سبحانه ليس لهما من الأمر شيء.

قوله: ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ أي: قويتك، أي اذكر إنعامي عليك وقت تأييدي لك. وفي روح القدس وجهان: أحدهما: أنها الروح الطاهرة التي خصه الله بها. وقيل: إنه جبريل عليه السلام.

قوله: ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ حال كونك صبيًا ﴿ وَكَهْلًا ﴾ لا يتفاوت كلامك في الحالتين مع أن غيرك يتفاوت كلامه فيهما تفاوتًا بينًا.

وقوله: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: جنس الكتاب، أو المراد بالكتاب الخط، وعلى الأول يكون ذكر التوراة والإنجيل من عطف الخاص على العام، وتخصيصهما بالذكر لمزيد اختصاصه بهما:

أما التوراة فقد كان يحتج بها على اليهود في غالب ما يدور بينه وبينهم من الجدال كما هو مصرح بذلك في الإنجيل، وأما الإنجيل فلكونه نازلاً عليه من عند الله سبحانه، والمراد بالحكمة جنس الحكمة وقيل: هي الكلام المحكم.

قوله: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ أي: تصور طينًا مثل صورة الطير، بإذني لك بذلك وتيسيري له ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا ﴾ فتنفخ في الهيئة المصورة ﴿ فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ هذه الهيئة طيرًا متحركًا حيًا كسائر الطيور ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ هو من ولد أعمي ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾ من قبورهم فيكون ذلك آية لك عظيمة.

س: لماذا تكرير بإذني في المواضع الأربعة؟

للاعتناء بأن ذلك كله من جهة الله ليس لعيسى عليه السلام فيه فعل إلا مجرد امتثاله لأمر الله سبحانه.

قوله: ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ ﴾ دفعت وصرفت ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ حين هموا بقتلك ﴿ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: ما هذا الذي جئت به إلا سحر بين، لما عظم ذلك في صدرهم وانبهروا منه لم يقدروا على جحده بالكلية، بل نسبوه إلى السحر.

.....

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المائدة: ١١١

قوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ الوحي في كلام العرب معناه: الإلهام أي: ألهمتُ الحواريين وقذفت في قلوبهم التوحيد والإخلاص وقيل معناه: أمرتهم على ألسنة الرسل أن يؤمنوا بي ويؤمنوا برسالة رسولي. قوله: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ جملة مستأنفة كأنه قيل: ماذا قالوا؟ فقال: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ أي: واشهد يا رب، أو واشهد يا عيسى بأننا مخلصون في إيماننا.

.....

قصة المائدة وبعد ظهور المعجزات لا يُعذر أصحاب الشك بشكهم (١١٢-١١٥)

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ ... أصفياء عيسى عليه السلام.

١. قرأ الكسائي «هل **تستطيع**» بالفوقية، ونصب **ربَك**.

٢. وقرأ الباقون بالتحتية ورفع **ربُك**.

قوله: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ هم أصفياء عيسى عليه السلام، وقيل: إنهم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه، فإنهم كانوا مؤمنين عارفين بذلك، وقيل: إنهم طلبوا الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠، ويدل على هذا قولهم من بعد وتطمئن قلوبنا.

والمائدة: هي الخوان إذا كان عليه الطعام، فأجابهم عيسى عليه السلام **بقوله:** ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

١. أي: اتقوه من هذا السؤال وأمثاله إن كنتم صادقين في إيمانكم، فإن شأن المؤمن ترك الاقتراح على ربه على هذه الصفة.

٢. أمرهم بالتقوى ليكون ذلك ذريعة إلى حصول ما طلبوه.

﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ بينوا به الغرض من سؤالهم نزول المائدة، ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ بكمال قدرة الله، أو بأنك مرسل إلينا من عنده، أو بأن الله قد أجابنا

إلى ما سألناه، ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ أي: نعلم علمًا يقينًا بأنك قد صدقتنا في نبوتك، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند من لم يحضرها من بني إسرائيل أو من سائر الناس.

.....

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ نتخذ يوم نزولها عيدا نعظمه نحن، ومن بعدنا.

﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ علامة على وحدانيتك ونبوتي.

لما رأى عيسى عليه السلام ما حكاه الحواريون عن أنفسهم من الغرض بنزول المائدة قال: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أصل اللهم عند سيبويه وأتباعه: يا الله، فجعلت الميم بدلا من حرف النداء، ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ أي: يكون نزولها لنا عيدًا، وقد كان نزولها يوم الأحد، فاتَّخذوه عيدًا.

والعيد واحد الأعياد، أصله من عاد يعود: أي: رجع فقيل: ليوم الفطر والأضحى عيدان، لأنهما يعودان في كل سنة. قوله: ﴿لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ أي: لمن في عصرنا ولمن يأتي بعدنا من ذرارينا وغيرهم. قوله: ﴿وَآيَةً مِّنكَ﴾ أي: دلالة وحجة واضحة على كمال قدرتك وصحة إرسالك من أرسلته ﴿وَارْزُقْنَا﴾ أي: أعطنا هذه المائدة المطلوبة، أو ارزقنا رزقًا نستعين به على عبادتك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ بل لا رازق في الحقيقة غيرك ولا معطي سواك.

.....

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

أجاب الله سؤال عيسى عليه السلام فقال: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا ﴾أي: المائدة عليكم.

وقد اختلف أهل العلم هل نزلت عليهم المائدة أم لا؟

فذهب الجمهور: إلى أنها نزلت وهو الحق لقوله سبحانه: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ ووعده الحق وهو لا يخلف الميعاد. وقال مجاهد: ما نزلت.

قوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ ﴾أي: بعد تنزيلها ﴿ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا ﴾ أي تعذيبًا ﴿ لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ ﴾أي: لا أعذب مثل ذلك التعذيب ﴿ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قيل: المراد عالمي زمانهم، وقيل: جميع العالمين، وفي هذا من التهديد والترهيب ما لا يقادر قدره.

وعن ابن عباس: أقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

وأخرج الترمذي موقوفًا على عمار بن ياسر: «نزلت المائدة من السماء خبزًا ولحمًا، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخافوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردةً وخنازير».

.....

بطلان دعوى المشركين، وبراءة عيسى عليه السلام مما نسب له، والمغفرة من الله عن عزة ورفعة (١١٦-١٢٠)

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة: ١١٦.

صح عند النسائي عن أبي هريرةﷺ قال: تلقى عيسى حجته والله لقاه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال أبو هريرة عن النبيﷺ فلقاه الله سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق الآية.

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾.

١. يعني أذكر يا محمد يوم القيامة، يوم يقول الله تعالى هذا القول لعيسى بن مريم. وهذا قول الجمهور وهو ما يرجحه الشوكاني.
٢. وقيل: بل هذا قول قاله الله تعالى لعيسى عند رفعه إلى السماء لما قالت النصارى فيه ما قالت. وإنما يسأله الله تعالى عن هذا القول، وهو يعلم أنه لم يقله توبيخًا للنصارى وقطعًا لحجتهم.
٣. وقيل لقصد تعريف المسيح أيضًا عليه السلام، بأن قومه قد غيروا بعده، وقالوا عليه ما لم يقله، من اتخاذه ربًا من دون الله، وعبدوه وأمه من دون الله، مع أن الله تعالى ما بعثه إليهم إلا ليعبدوا الله وحده.

قوله: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ أي: أنزهك تنزيهًا، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي: ما ينبغي لي أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ رد ذلك إلى علمه سبحانه.

تدبر: لماذا ابتدأ بتسبيح الله تعالى؟ وأي شيء نتعلمه من ذلك؟

بدأ بالتسبيح قبل الجواب لأمرين: أحدهما: تنزيهًا له عما أضيف إليه، الثاني: خضوعًا لعزته، وخوفًا من سطوته. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (٣٠٢/٨).

قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ فيها أقوال:

١. تعلم معلومي ولا أعلم معلومك، وهذا الكلام من باب المشاكلة كما هو معروف عند علماء المعاني والبيان.

٢. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك.
٣. وقيل: تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه.
٤. وقيل: تعلم ما أريد ولا أعلم ما تريد.

تدبر: ما وجه تخصيص النَّفس بالذِّكر؟

خص النفس بالذكر؛ لأنها مظنة الكتم، والانطواء على المعلومات. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية:(٢/٢٦٣).

.....

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ شهيدًا ﴾ ... شاهدًا.

قوله: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ ﴾ أي: ما أمرتهم إلا بما أمرتني أن اعبدوا الله ربي وربكم هذا تفسير لمعنى ما قلت لهم أي ما أمرتهم، ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ أي: حفيظًا ورقيبًا أرعى أحوالهم وأمنعهم عن مخالفة أمرك ﴿ مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أي: مدة دوامي فيهم. ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ قيل: هذا يدل على أن الله سبحانه توفاه قبل أن يرفعه، وليس بشيء لأن الأخبار قد تضافرت بأنه لم يمت، وأنه باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان، وإنما المعنى: فلما رفعتني إلى السماء.

الوفاة في كتاب الله سبحانه جاءت على ثلاثة أوجه:

١. بمعنى الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الزمر.
٢. وبمعنى النَّوم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ الأنعام أي: ينيمكم.
٣. وبمعنى الرفع، ومنه ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ آل عمران.

قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ أصل المراقبة: المراعاة، أي: كنت الحافظ لهم. والعالم بهم والشاهد عليهم.

.....

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾

قوله: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾ تصنع بهم ما شئت وتحكم فيهم بما تريد ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي القادر على ذلك ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أفعاله.

س: لماذا قال ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾؟

١. قاله على وجه الاستعطاف كما يستعطف السيد لعبده. ولهذا لم يقل إن تعذبهم فإنهم عصوك.
٢. قاله على وجه التسليم لأمر الله والانقياد له، ولهذا عدل عن الغفور الرحيم إلى العزيز الحكيم.

.....

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾

قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ أي: صدقهم في الدنيا. وقيل في الآخرة، والأول أولى. قال ابن عباس: هذا يوم ينفع الموحدين توحيدهم.

القراءات: ١. قرأ نافع وابن محيصن يومَ بالنصب. ٢. قرأ الباقون بالرفع (يومُ). ٣. قرأ الأعمش هذا (يوم ينفع) بتنوين يومٍ.

وقد تقدم تفسير قوله: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾. قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ أي: بما عملوه من الطاعات الخالصة له، ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بما جازاهم به مما لا

يخطر لهم على بال ولا تتصوره عقولهم، والرضا منه سبحانه هو أرفع درجات النعيم وأعلى منازل الكرامة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ والإشارة بذلك إلى نيل ما نالوه من دخول الجنة والخلود فيها أبدا، ورضوان الله عنهم. والفوز: هو الظَّفر بالمطلوب على أتم الأحوال.

تدبر: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾: عموم في جميع الصادقين، وخصوصًا في عيسى ابن مريم؛ فإن في ذلك إشارة إلى صدقه في الكلام الذي حكاه الله عنه. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي:(١/٢٦٠).

س: بيّن وجه هذه الآية في فضيلة الصدق؟

تدبر: فدخل تحت هذه العبارة كل مؤمن بالله تعالى، وكل ما كان أتقى فهو أدخل في العبارة، ثم جاءت هذه العبارة مشيرة إلى عيسى في حاله تلك وصدقه فيما قال؛ فحصل له بذلك في الموقف شرف عظيم؛ وإن كان اللفظ يعمه وسواه. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: (٢/٢٦٣).

س: في الصدق منجاة في الدنيا والآخرة، وضح ذلك من خلال الآية.﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

جاء سبحانه بهذه الخاتمة دفعًا لما سبق من إثبات من أثبت إلهية عيسى وأمه، وأخبر بأن ملك السماوات والأرض له دون عيسى وأمه ودون سائر مخلوقاته، وأنه القادر على كل شيء دون غيره، وقيل المعنى: أن له ملك السماوات والأرض يُعطي الجنات للمطيعين، جعلنا الله منهم.

تم بفضل الله تعالى تفسير سورة المائدة.

بين يدي سورة الأنعام

١. التعريف بسورة الأنعام:

سورة الأنعام سورة مكية، وهي أول سورة مكية في ترتيب المصحف. فالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة كلّها سور مدنيّة أمّا سورة الأنعام، فهي أوّل سورة مكّيّة توضع في السبع الطوال من سور القرآن الكريم.

وقد جاءتْ عدّةُ روايات تذكر فضل سورة الأنعام وتبيّن أنّها نزلت جملة واحدة مشيّعة بالملائكة. **قال الإمام الرازي**[١]:"إن هذه السورة اختصّت بنوعين من الفضيلة:

أحدهما: أنّها نزلت دفعة واحدة.

الثاني: أنها شيّعها ألف من الملائكة.

والسبب في ذلك **أنها** مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين".

تدبر: لماذا نزلت سورة الأنعام جملة واحدة؟

يقول تفسير القرطبي: قال العلماء: «هذه السورة أصل في محاجّة المشركين وغيرِهم من المبتدعين ومن كذّب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ **لأنها في معنى واحد من الحجة** وإن تصرّف ذلك بوجوه كثيرة»[٢]. وعدد آيات سورة الأنعام (١٦٥) آية وعدد كلماتها (٣٠٥٣) كلمة[٣]، وترتيبها في النزول هو: (٥٥).

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٧١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١٢/٨).
(٣) الموسوعة القرآنية خصائص السور جعفر شرف الدين، تحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط:١ ١٤٢٠ هـ (٣/ ٣).

٢. لماذا سميت سورة الأنعام بهذا الاسم؟

سُمّيت هذه السورة بسورة الأنعام، والأنعام ذوات الخفِّ والظِّلف: [وهي الإبل والبقر والغنم بجميع أنواعها]؛ لأنَّها هي السورة التي عَرضت لذكر الأنعام على تفصيل لم يرد في غيرها من السور، من أول الآية ١٣٦ إلى آخر الآية ١٥٠.

٣. تاريخ نزول السورة:

نزلت سورةُ الأنعام في السنة ٤ من البعثة المحمَّديّة، أي عَقِب أمر النبيﷺ أن يصدع بالدعوة ويعلنها للناس بعد أن أسرَّ بها ثلاث سنين.

وتميَّزت الفترة التي نزلت فيها سورة الأنعام بقسوة المشركين، وعنفهم في مقاومة الدعوة الإسلامية وإنكارها، فقد بدأت الدعوة سرًّا، ثم جهر النبيﷺ بدعوته في مكة. ونزلت سورة الأنعام بعد الجهر بالدعوة بسنة واحدة، فاستعرضت الأدلة على توحيد الله وقدرته ثم ساقت أدلة المشركين وشبههم فأبطلتها وفندتها.

٤. مقاصد سورة الأنعام: إن موضوعها الذي تعالجه من مبدئها إلى منتهاها هو موضوع العقيدة، بكلّ مقوّماتها وبكلّ مكوّناتها. وهذه العقائد الأساسية هي:

١. توحيد الله: ويتصل بهذا إقامة الدليل على وحدة الألوهيّة، كما يتصل بها إبطال عقيدة الشرك، وشبهات المشركين، وتقرير أن العبادة والتوجّه والتَّحريم والتَّحليل، إنما ترجع إلى الله.

٢. الإيمان برسوله الذي أرسل، وكتابِهِ الذي أُنزل، وبيان وظيفة هذا الرسول، ورد الشبهات التي تثار حول الوحي والرسالة.

٣. الايمان باليوم الاخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب وجزاء[١].

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣/ ٧).

٥. المناسبة بين سورة المائدة وسورة الأنعام:

١. مناسبة هذه السورة لآخر المائدة: أنها افتتحت بالحمد، وتلك ختمت بفصل القضاء، وهما متلازمتان كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الزمر: ٧٥ .

٢. أنه لما ذُكر في آخر المائدة ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة: ٢٠ على سبيل الإجمال، افْتَتَحَ هذه السورةِ بشرح ذلك وتفصيله.

٣. وَضِمنَ قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أول الأنعام أن له ملك جميع المحامد، وهو من بسط: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ في آخر المائدة.

٤. ذكر الله في المائدة أن الكفار حرَّموا على أنفسهم أشياء مما رزقهم الله افتراء عليه، فأتي بما حرَّموا في سورة الأنعام مفصلًا، لِيُحذر المؤمنين من مشابهة الكفار في صنيعهم.

٥. أن كل ربع من القرآن افتتح بسورة أولها الحمد. وهذه للربع الثاني، والكهف للربع الثالث، وسبأ وفاطر للربع الرابع.

س: فإن قلت: فَلِمَ لم يُفتتح القرآن بسورة الأنعام بدلًا من سورة البقرة، مادام بدء الخلق مقدّمًا على الأحكام والتعبّدات؟.

قلت: للإشارة إلى أن مصالح الدين والآخرة مُقدّمة على مصالح المعاش والدنيا، وأن المقصود إنما هو العبادة، فقدم ما هو الأهم في نظر الشرع[1].

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣/ ٣٠).

سورة الأنعام

تعريف الناس بربهم وآياته الناطقة في إبداع الخلق (١-٣)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾

السراج في غريب القرآن: ﴿ وَجَعَلَ ﴾ خلق ﴿ يَعْدِلُونَ ﴾ يسوون به غيره، ويشركون.

سبب نزول الآية:

عن علي رضي الله عنه أن هذه الآية أعني: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ نزلت **في أهل الكتاب**. وعن مجاهد قال: نزلت هذه الآية **في الزنادقة**، قالوا: إن الله لم يخلق الظلمة ولا الخنافس ولا العقارب ولا شيئًا قبيحًا، وإنما خلق النُّور وكل شيء حسن، فأنزلت فيهم هذه الآية.

بدأ سبحانه هذه السورة بالحمد لله، للدلالة على أن الحمد كلَه له، ولإقامة الحجة على الذين هم بربهم يعدلون. **قوله:** ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ إخبارًا عن قدرته الكاملة الموجبة لاستحقاقه لجميع المحامد، فإن من اخترع ذلك وأوجده هو الحقيق بإفراده بالثناء وتخصيصه بالحمد، والخلق يكون بمعنى الاختراع، وبمعنى التقدير.

تدبر: لماذا جمع السماوات؟ لتعدد طباقها.

ولماذا قَدم السماوات على الأرض؟ لتقدمها في الوجود ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النازعات: ٣٠].

قوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ اختلف أهل العلم في المراد بالظلمات والنور:

١. قال جمهور المفسرين: سواد الليل، وضياء النهار.
٢. الكفر والإيمان.
٣. الظلمات تشمل كل ما يطلق عليه اسم الظلمة، والنور يشمل كل ما يطلق عليه اسم النور. فيدخل تحت ذلك ظلمة الكفر ونور الإيمان قال الله: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

تدبر: لماذا أفرد النور وجمع الظلمات وقدم الظلمات على النور؟

أولاً: أفرد النور؛ لأنه جنس يشمل جميع أنواعه، وجمع الظلمات لتعدد أنواعها.

ثانيًا: أن الظلمة اسم، والنور مصدر، والمصادر لا تجمع. وقدم الظلمات على النور؛ لأنها الأصل، ولهذا كان النهار مسلوخًا من الليل.

قوله: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: يعدلون به ما لا يقدر على شيء مما يقدر عليه، وهذا نهاية الحمق وغاية الرقاعة حيث يكون منه سبحانه تلك النعم، ويكون من الكفرة الكفر. وقيل: الآلهة التي عبدوها عدلوها بالله، وليس لله عدل ولا ند، وليس معه آلهة ولا اتخذ صاحبةً ولا ولدًا.

.....

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ تَمْتَرُونَ ﴾... تشكون.

قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾

١. قال الجمهور: أن المراد آدم عليه السلام، وأَخرجهُ مخرج الخطاب للجميع، لأنهم وَلَدُهُ وَنَسْلُه.

٢. أن يكون المراد جميع البشر باعتبار أن النطفة التي خلقوا منها مخلوقة من الطين. والمطلوب بذكر هذه الأمور دفع كُفر الكافرين بالبعث وردٌ لجحودهم بما هو مشاهد لهم لا يمترون فيه.

قوله: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ﴾ وقد اختلف العلماء في تفسير الأجلين:

١. قضى أجلًا يعني الموت، وأجلٌ مسمى عنده يعني القيامة.

٢. الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والأجل الثاني ما بين أن يموت إلى أن يبعث، وهو قريب من الأول.

٣. وقيل: الأجل الأول مدة الدنيا والثاني عُمر الإنسان إلى حين موته.

٤. وقيل: إن الأجل الأول الذي هو محتوم والثاني: الزيادة في العمر لمن وصل رَحِمَه.

تدبر: لماذا وصف الأجل بأنه مسمى عنده؟

ووصفه بمسمى عنده؛ لأنه استأثر بعلم وقت القيامة. تفسير ابن عطية: (٢/٢٦٧).

قوله: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ كيف تشكون في البعث مع مشاهدتكم في أنفسكم من الابتداء والانتهاء ما يذهب بذلك ويدفعه، فإن من خلقكم من طين، وصيركم أحياء تعلمون وتعقلون، وخلق لكم هذه الحواس والأطراف، ثم سلب ذلك عنكم فصرتم أمواتًا، وعدتم إلى ما كنتم عليه من الجمادية، لا يعجزه أن يبعثكم ويُعيد هذه الأجسام كما كانت، ويرد إليها الأرواح التي فارقتها بقدرته وبديع حكمته.

.....

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ ﴾... الإله المعبود بحق.

١. هو المعبود أو المالك أو المتصرف في السماوات والأرض.

٢. هو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات الأرض فلا تخفى عليه خافية.

.....

إنذار الخلق بالآيات وإعراض الكافرين (٤-٧)

﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٥ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن:

والإعراض: ترك النَّظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله.

قوله: ﴿ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ كمعجزات الأنبياء، وما يصدر عن قدرة الله الباهرة مما لا يشك من له عقل أنه فعْلُ الله سبحانه، ومن في ﴿ مِّنۡ ءَايَةٖ ﴾ مزيدة للاستغراق ومن في ﴿ مِّنۡ ءَايَٰتِ ﴾ تبعيضية: أي: وما تأتيهم آية من الآيات التي هي بعض آيات ربهم ﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾.

تدبر: كيف يكون الإعراض عن آيات الله تعالى؟

بترك النظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله جل وعز؛ من خلق السماوات والأرض وما بينهما. معالم التنزيل للبغوي:(٢/١٠٠).

قوله: ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ ﴾. أي: بما هو أعظم من ذلك وهو الحق ﴿ لَمَّا جَآءَهُمۡ ﴾. قيل: المراد بالحق هنا القرآن، وقيل: محمدﷺ ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾. أي:

سيعرفون أن هذا الشيء الذي استهزءوا به ليس بموضع للاستهزاء، وذلك عند إرسال عذاب الله عليهم.

.....

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ قَرْنٍ ﴾.أمة من الناس.﴿ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾.جعل لهم مكانًا فيها.
﴿ مِّدْرَارًا ﴾.غزيرًا.

قوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾. والقَرن: قيل: يُطلق على أهل كل عصر، سُموا بذلك لاقترانهم، وقيل: القَرن مدة من الزمان. وهي ستون عامًا أو سبعون أو ثمانون أو مائة على اختلاف الأقوال.

أي: ألم يعرفوا بسماع الأخبار، ومعاينة الآثار، كم أهلكنا من قبلهم من الأمم الموجودة في عصر بعد عصر لتكذيبهم أنبياءهم.

قوله: ﴿ مِّن قَرْنٍ ﴾. أي: من أهل قرن. قوله: ﴿ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾.

أي: أنا أعطينا القرون الذين هم قبلكم، ما لم نعطكم من الدنيا، وطُول الأعمار، وقوة الأبدان، وقد أهلكناهم جميعًا، فإهلاككم وأنتم دونهم بالأولى. قوله:﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾. يريد المطر الكثير، لماذا عبر عن المطر بالسماء؟ لأنه ينزل من السماء، والمدرار: صيغة مبالغة تدل على الكثرة، وجريان الأنهار من تحتهم معناه: من تحت أشجارهم ومنازلهم: أي أن الله وسع عليهم النعم بعد التمكين لهم في الأرض فكفروها،

قوله: ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾. أي: وفي هذا بيان لكمال قدرته سبحانه وقوة سلطانه وأنه يهلك من يشاء ويوجد من يشاء.

يقول **الإمام القرطبي**: وسعنا عليهم النِّعم فكفروها، ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي: بكفرهم؛ فالذنوب سبب الانتقام، وزوال النعم، ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ أي: أوجدنا. فليحذر هؤلاء من الإهلاك أيضًا. أحكام القرآن، للقرطبي:(٣٢٦/٨).

.....

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ قِرْطَاسٍ ﴾ القرطاس الصحيفة. ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ فمسوه ونظروا إليه لم يصدقوا به.

قوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ في هذه الجملة بيان شدة صلابتهم في الكفر، وأنهم لا يؤمنون ولو أَنزل الله على رسوله كتابًا مكتوبًا في قرطاس بمرأى منهم ومشاهدة ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ حتى يجتمع لهم إدراك الحاستين: حاسة البصر، وحاسة اللمس ﴿ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ منهم ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ إذا كان هذا حالهم في المرئي المحسوس، فكيف فيما هو مجرد وحي إلى رسول اللهﷺ بواسطة ملك لا يرونه ولا يحسونه؟

.....

شروط الكافرين للإيمان بالرسل وتعنتهم ومعارضتهم للحق الواضح (٨-١١)

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ لقامت الساعة ﴿ لَا يُنظَرُونَ ﴾ لا يمهلون.

أسباب نزول الآية: سَمَّى ابن إسحاق من القائلين: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞ ﴾ زمعة بن الأسود، والنّضر بن الحارث ابن كلدة، وعبدة بن عبد يغوث، وأبيّ بن خلف، والعاص بن وائل السهمي.

قوله: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞ ﴾ هذا نوع آخر من أنواع جحدهم لنبوتهﷺ وكفرهم بها: أي قالوا: هلَّا أنزل الله عليك ملكًا نراه ويكلمنا أنه نبي حتى نؤمن به ونتبعه؟ كقولهم: ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ ﴾ [الفرقان:٧]. ﴿ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا ﴾ أي: لو أنزلنا ملكًا على الصفة التي اقترحوها بحيث يشاهدونه ويخاطبونه ﴿ لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾

أي: لأهلكناهم إذ لم يؤمنوا عند نزوله ورؤيتهم له؛ لأن مثل هذه الآية البينة، وهي نزول الملك على تلك الصفة إذا لم يقع الإيمان بعدها فقد استحقوا الإهلاك والمعاجلة البشرية أن يبقوا بعد مشاهدته أحياء، بل تزهق أرواحهم عند ذلك.

.....

﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ وَلَلَبَسۡنَا ﴾: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم.

قوله: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا ﴾ أي: لو جعلنا الرَّسول إلى النَّبي ملكًا يشاهدونه ويخاطبونه، لجعلنا ذلك المَلَكُ رجلًا؛ لأنهم لا يستطيعون أن يروا المَلَك على صورته التي خلقه الله عليها إلا بعد أن يتجسم بالأجسام الكثيفة المشابهة لأجسام بني

آدم؛ لأنَّ كل جنس يأنس بجنسه، فلو جعل الله سبحانه الرسول إلى البشر أو الرسول إلى رسوله ملكًا مشاهدًا مخاطبًا لنفروا منه ولم يأنسوا به، ولداخلهم الرعب وحصل معهم من الخوف ما يمنعهم من كلامه ومشاهدته. قوله: ﴿ وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾ أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم؛ لأنهم إذا رأوه في صورة إنسان قالوا: هذا إنسان وليس بملك، فيعود الأمر إلى الالتباس عليهم.

وقيل: للبسنا على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفتهم وكانوا يقولون لهم: إنما محمد بشر وليس بينه وبينكم فرق، فيلبسون عليهم بهذا ويشككونهم، فأعلم الله عز وجل أنه لو نزل ملكًا في صورة رجلٍ لوجدوا سبيلًا إلى اللبس كما يفعلون.

.....

﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ فَحَاقَ ﴾ أحاط ونزل.

سبب نزول الآية:

ذُكر من طريق مرسل عن محمد بن إسحاق قال: مر رسول اللهﷺ فيما بلغني بالوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزءوا به فغاظه ذلك، فأنزل الله ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾. أي: فنزل ما كانوا به يستهزءون، وأحاط بهم: وهو الحق حيث أُهلِكُوا من أجل الاستهزاء به.

.....

﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنعام: ١١

قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين سافروا في الأرض، وانظروا آثار من كان قبلكم؛ لتعرفوا ما حل بهم من العقوبات، وكيف كانت عاقبتهم بعد ما كانوا فيه من النَّعيم العظيم

الذي يفوق ما أنتم فيه، فأنتم بهم لاحقون وبعد هلاكهم هالكون إن سرتم على طريقهم في التكذيب.

تدبر: ما هو السَّير الذي يُتولد منه الاعتبار حينما نرى آثار القوم المهلكين؟

إن السَّير المأمور به: سير القلوب والأبدان الذي يُتولد منه الاعتبار، وأما مجرد النظر من غير اعتبار فإن ذلك لا يفيد شيئًا. تيسير الكريم الرحمن، تفسير السعدي: (ص:٢٥١).

.....

سعة رحمة الله بعباده، والتخويف بقدرته، ولله الحق في ابتلاء خلقه بما شاء (١٢-١٨)

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢ ﴾

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ المعنى: قل لهم هذا القول، فإن قالوا فقل: لله، وإذا ثبت أن له ما في السماوات والأرض إما باعترافهم، أو بقيام الحجة عليهم فالله قادر على أن يعاجلهم بالعقاب، ولكنه ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ أي: فضلًا منه وتكرمًا. وذكر النَّفس هنا عبارة عن تأكدِ وعده وارتفاع الوسائط دونِه، وفي الكلام ترغيب للمتولين عنه إلى الإقبال إليه وتسكين خواطرهم بأنه رحيم بعباده لا يعاجلهم بالعقوبة، وأنه يقبل منهم الإنابة والتوبة، ومن رحمته لهم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونصب الأدلة.

قوله: ﴿ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ ﴾ أي: ليمهلنكم وليؤخرن جمعكم. **وقيل**: ليجمعنكم في القبور إلى اليوم الذي أنكرتموه. **وقيل**: ليجمعنكم في يوم القيامة. **قيل**: إن جملة ليجمعنكم، مسوقة للترهيب بعد الترغيب، وللوعيد بعد الوعد، أي: إن أمهلكم برحمته فهو مجازيكم بجمعكم ثم معاقبة من يستحق عقوبته من العصاة.

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ أي: إن الذين لا يؤمنون بذلك سيتبين لهم يوم الجمع أنهم بعملهم هذا قد خسروا وجودهم.

أخرج مسلم وغيره عن سلمان عن النبيﷺ قال: «خلق الله يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة: منها رحمةٌ يتراحم بها الخلق، وتسعة وتسعون ليوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة». وثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فوضعه عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي».

تدبر: ما المقصود الذي أراده الله من هذه الآية ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِ ﴾؟

هذا استعطاف منه تعالى للمتولين عنه إلى الإقبال عليه، وإخبار بأنه رحيم بالعباد لا يعجل بالعقوبة، ويقبل الإنابة والتوبة. معالم التنزيل، تفسير البغوي: (٢/١٠).

س: ما مناسبة ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ لما قبلها؟

قوله: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ جوابًا لكلا الفريقين بأنه تفضَّل بالرَّحمة؛ فمنها: رحمةٌ كاملةٌ؛ وهذه رحمته بعباده الصالحين، ومنها: رحمةٌ موقتةٌ؛ وهي رحمةُ الإمهال والإملاء للعصاة والضالين. التحرير والتنوير لابن عاشور:(٧/١٥١).

.....

قوله: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ ﴾

قوله: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ ... ﴾ أي: لله.

تدبر: لماذا خص الله الساكن بالذكر؟ خص الله الساكن بالذِّكر "لأن ما يتصف بالسُّكون أكثر مما يتَّصف بالحركة؛ ولأن كلّ متحرّكٍ يصير إلى السكون من غير عكس، أو لأنّ السُّكون هو الأصل والحركة حادثة عليه وطارئة[١]. ولأن النِّعمة فيه أكثر[٢].

.....

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطرِ السماوات والأرض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها.

قوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾. الاستفهام للإنكار، قال لهم ذلك لما دعوه إلى عبادة الأصنام، أي: كيف أتخذ غير الله معبودًا. لأن المراد بالولي هنا: المعبود. ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. كأنه قيل: أترك فاطرِ السماوات والأرض.

قوله: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾.

١. قرأ الجمهور [يُطعِم ولا يُطعَم] بضم الياء وكسر العين في الأول، وضمها وفتح العين في الثاني: أي يَرزق ولا يُرزق.
٢. قرأ سعيد بن جبير ومجاهد والأعمش [وهو يُطعِم ولا يَطعَم] بفتح الياء في الثاني وفتح العين.
٣. [وهو يَطعَم ولا يُطعِم] وقرئ بفتح الياء والعين في الأول وضمها وكسر العين في الثاني على أن الضمير يعود إلى الولي المذكور.

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣/ ٦٩).
(٢) معالم التنزيل للبغوي (١١/٢).

تدبر: لماذا خص الإطعام دون غيره من ضروب الإنعام؟

لأن الحاجة إلى الرزق أمس فخص بالذكر.

قوله: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾. أي: أمره سبحانه بعد ما تقدم من اتخاذ غير الله وليًا أن يقول لهم: إنه مأمور بأن يكون أول من أسلم وَجهَهُ لله من قومه، وأخلص من أمته، وقيل: معنى أسلم استسلم لأمر الله. ثم أمره الله أن يقول: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ أي: إن عصيته بعبادة غيره أو مخالفة أمره أو نهيه. [والخوف]: توقع المكروه، وقيل: هو هنا بمعنى العلم، أي: إني أعلم إن عصيت ربي أن لي عذابًا عظيمًا.

.....

﴿ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

١. قرأ أهل المدينة وأهل مكة وابن عامر على البناء للمفعول: أي [من يُصرف عنه] أي: العذاب.

٢. وقرأ الكوفيون على البناء للفاعل: أي [من يَصرف عنه] والضمير على هذه القراءة لله. ومعنى ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم العذاب العظيم ﴿ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ﴾ أي: نجاه وأنعم عليه وأدخله الجنة، [والإشارة بذلك] إلى الصرف أو إلى الرحمة أي: فذلك الصرف أو الرحمة ﴿ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي: الظاهر الواضح.

٣. وقرأ أُبَي: «من يَصرِفِ اللهُ عنه».

.....

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ﴾... يصبك.

قوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ أي: إن ينزل الله بك ضـــرًا من فقر أو مرض قوله: ﴿ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا قادر على كشفه سواه ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ من رخاء أو عافية ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ومن جملة ذلك المس بالشر والخير.

تدبر: ما مناسبة ختم هذه الآية بـ ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾؟

أشار تعالى بقوله هنا: ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ ﴾ إلى أن فضله وعطاءه الجزيل لا يقدر أحد على رده عمن أراده له تعالى؛ كما صرح بذلك في قوله: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس. أضواء البيان للشنقيطي:(١/٤٧٥).

.....

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ القاهر: الغالب، ومعنى ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ فوقية الاســـتعلاء بالقهر والغلبة عليهم، لا فوقية المكان كما تقول: الســـلطان فوق رعيته: أي بالمنزلة والرفعة. وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة، وهو منع غيره عن بلوغ المراد ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾ في أمره ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ بأفعال عباده.

علاقة الأنبياء بالبشر، وإشهادُ على الرسالة، وإنزال القرآن، ومعرفة أهل الكتاب بصدق محمدﷺ وإنكارهم له (١٩-٢١)

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

أسباب النزول: عن ابن عباس قال: جاء النحام بن زيد، وقردم ابن كعب، وبحري بن عمير فقالوا: يا محمد! ما تعلم مع الله إلهًا غيره؟ فقال رسول اللهﷺ: «لا إله إلا الله، بذلك بعثتُ، وإلى ذلك أدعو» فأنزل الله: قل أي شيء أكبر شهادة الآية.

قوله: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾ والمعنى: أيُّ شهيد أكبر شهادة، فوضع شيء موضع شهيد وقيل: إن شيء هنا موضوع موضع اسم الله تعالى. قوله: ﴿ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ هو الجواب؛ لأنه إذا كان الشهيد بينه وبينهم كان أكبر شهادة له صلى الله عليه وسلم، وقيل: إنه قد تم الجواب عند قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ يعني الله أكبر شهادة، ثم ابتدأ فقال: ﴿ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ أي: هو شهيد بيني وبينكم.

قوله: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ أي: قال مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس: لأنذركم به قال: العرب ومن بلغ، قال: العجم.

أحكام القرآن شاملة للبشر والجن جميعًا، من كان منهم موجودًا يوم الرسالة، أو يوجد بعدها إذا بلغتهم دعوة الإسلام وسمعوا بهذا القرآن، وهو نذير لهم بأنهم مسؤولون عن استجابتهم لدعوة الله، وعن أعمالهم في الدنيا، عند لقاء الله.

وعن أنس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾ كتب رسول اللهﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبيﷺ.

تدبر: تبليغ هذا الدين واجب شرعي، فكيف تكون خطواته؟

"أُمر بتبليغ الأقرب منه مكانًا ونسبًا، ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغَ النذارة إلى جميع أهل الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: من بلغه القرآن؛ فكل من بلغه القرآن فقد أنذره محمدﷺ"(١).

.....

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

الكتاب: للجنس فيشمل التوراة والإنجيل وغيرهما أي: يعرفون رسول اللهﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ بيان لتحقق تلك المعرفة وكمالها وعدم وجود شك فيها، فإن معرفة الآباء للأبناء هي البالغة إلى غاية الإتقان إجمالًا وتفصيلًا.

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أن الكفار الخاسرين لأنفسهم؛ بعنادهم وتمردهم لا يؤمنون بما جاء به رسول اللهﷺ، لماذا خسروا أنفسهم؟ بسبب ما وقعوا فيه من البعد عن الحق وعدم العمل بالمعرفة التي ثبتت لهم، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

.....

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

سبب نزول الآية: عن عكرمة قال: قال النضر بن الحارث وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة، شفعت لي اللات والعزى، فأنزل الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: (٢٠/٣).

قولـه: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحـد أظلم ممن اختلق على الله الكذب فقال: إن في التوراة أو الإنجيل ما لم يكن فيهما قوله: ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ من المعجزة الواضحة، فجمع بين كونه كاذبًا على الله، ومكذبًا بما أمره الله بالإيمان به.

.....

موقف الكافرين من آيات الله وكتبه، وأن الحق لا يتضح لمن أصر على الكبر (٢٢-٢٦).

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قولـه: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ ﴾ أي: أذكر لهم خبر يوم القيـامـة، يوم يجمع الله عنـده بين العابدين وبين المعبودين من دون الله. قرأ الجمهور بالنون في الفعلين، وقُرئ بالياء فيهما.

قوله: ﴿ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ﴾ والاستفهام في أين شركاؤكم للتقريع والتوبيخ للمشركين.

س: لماذا أضاف الشركاء إليهم؟ لأنها لم تكن شركاء لله في الحقيقة، بل لمَّا سَمَّوْهَا شركاءَ أُضيفت إليهم، وهي ما كانوا يعبدونه من دون الله أو يعبدونه مع الله.

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ أي: تزعمونها شركاء، ووجه التوبيخ بهذا الاستفهام أن معبوداتهم غابت عنهم في تلك الحال أو كانت حاضـــرة ولكن لا ينتفعون بها بوجه من الوجوه، فكان وجودها كعدمها.

.....

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ فِتْنَتُهُمْ ﴾... إجابتهم.

قولـه: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴾أي: لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقاتلوا عليه، إلا ما وقع منهم من الجحود والحلف على نفيه بقولـه: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ وقيل: المراد بالفتنة هنا جوابهم: أي لم يكن جوابهم إلا الجحود والتبري.

س: لماذا كان هذا الجواب ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فتنة؟ لكونه كذبًا.

القراءات: قرئ **فتنتُهم** بالرفع، وبالنصب قرأ حمزة والكسائي ويعقوب "ثم لم **يكن**" بالياء؛ لأن الفتنة بمعنى الافتتان، فجاز تذكيره، **وقرأ الآخرون** بالتاء لتأنيث الفتنة[1]، وقرئ: **ربَنا** بالنصب على النداء.

قال الزجاج في قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ معنى لطيف وذلك مثل الرجل يُفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه [محنة] فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فُتِنْتَ إلَّا هذا، كذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام ولما رأوا العذاب تبرأوا منها.

.....

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بإنكار ما وقع منهم في الدنيا من الشرك. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أي: زال وذهب افتراؤهم وتلاشى وبطل ما كانوا يظنونه من أن الشركاء يقربونهم إلى الله، وفارقهم ما كانوا يعبدون من دون الله فلم يُغن عنهم شيئًا، وهذا تعجيب لرسول اللهﷺ من حالهم المختلفة ودعواهم المتناقضة وقيل: لا يجوز أن يقع منهم كذب في الآخرة؛ لأنها دار لا يجري فيها غير الصدق.

.....

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿أَكِنَّةً﴾... أغطية. ﴿وَقْرًا﴾.. ثقلًا وصممًا. ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾... حكاياتهم التي لا حقيقة لها.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة (٣/ ١٣٥).

قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ هذا كلامٌ مبتدأٌ لبيان ما كان يصنعُه بعض المشركين في الدنيا، ممن كان يستمع إليك حين تتلو القرآن﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي: فعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم والأكنة: الأغطية، وجملة ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي: وقد جعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا القرآن، أو لئلا يفقهوه، والوقر: الصمم يقال: وَقَرَت أُذُنه تقِر وقراً: أي صمَّت. وعبر بالأكنة والوقر مبالغة.

القراءات: قرأ طلحة بن مصرف (وِقرًا) بكسر الواو: أي: جعل في آذانهم ما سدها عن استماع القول على التشبيه بوقر البعير، وهو مقدار ما يطيق أن يحمله، وذكر الأكنة والوقر تمثيلٌ لفرط بعدهم عن فهم الحق وسماعه، كأن قلوبهم لا تعقل، وأسماعهم لا تدرك.

تدبر: وضح لماذا لا ينتفع أهل الشرك بالقرآن الكريم؟

أي: ومن هؤلاء المشركين قومٌ تحملهم بعض الأوقات بعض الدواعي إلى الاستماع لما تقول، ولكنه استماع خال من قصد الحق واتباعه؛ ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع، لعدم إرادتهم للخير، ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ أي: أغطية وأغشية؛ لئلا يفقهوا كلام الله، فصان كلامه عن أمثال هؤلاء. تفسير السعدي:(ص ٢٥٤).

قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ أي لا يؤمنوا بشيء من الآيات التي يرونها من المعجزات ونحوها لعنادهم وتمردهم. قوله:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ والمعنى: أنهم بلغوا من الكفر والعناد أنهم إذا جاءوك مجادلين لم يكتفوا بمجرد عدم الإيمان، بل يقولون: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وهذا غاية التكذيب ونهاية العناد. والمعنى: ما سطره الأولون في الكتب من القصص والأحاديث، [زعموا أن محمدًا أخذ القرآن من تلك القصص والأخبار، وما هو إلا تنزيل العزيز الحميد]. **قال الجوهري:** الأساطير: الأباطيل والترهات.

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ ﴾... يبتعدون.

سبب نزول الآية: قال ابن عباس: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يردوا رسول اللهﷺ ويتباعد عما جاء به. صححه الحاكم. وقال: نزلت في عمومة النبي وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

قوله: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾

١. ينهى المشركون الناس عن الإيمان بالقرآن، أو بمحمدﷺ ويبعدون هم في أنفسهم عنه.
٢. لا يلقونهﷺ، ولا يدعون أحدًا يأتيه.

قوله: ﴿ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: ما يهلكون بما يقع منهم من النهي والنأي إلا أنفسهم، بتعريضها لعذاب الله وسخطه، والحال أنهم ما يشعرون بهذا البلاء الذي جلبوه على أنفسهم.

.....

حسرة الكافرين وندمهم في الآخرة، وصورة من يوم القيامة، وبيان لقيمة الدنيا (٢٧-٣٢)

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وُقِفُوا۟ ﴾ حبسوا، وقيل: أدخلوا في النار.

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ لو تراهم إذ حبسوا على النار، لرأيت منظرًا هائلًا وحالًا فظيعًا ﴿ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾ أي: إلى الدنيا ﴿ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾ أي: التي جاءنا بها رسولهﷺ ﴿ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بها، العاملين بما فيها.

القراءات:

١. قِراءةُ العامَّةِ كلُّها بالرفع على معنى: يا ليتنا نردُّ ونحن لا نكذبُ، ونكونُ من المؤمنين.

٢. وقرأ حمزة وحفص ويعقوب "ولا نكذبَ ونكونَ" بنصب الباء والنون على جواب التمني، أي: ليت ردنا وقع، وأن لا نُكذِّب ونكونَ، والعرب تنصب جواب التمني بالواو كما تنصب بالفاء.

٣. وقرأ ابن عامر "نكذبُ" بالرفع و"نكونَ" بالنصب؛ لأنهم تمنوا أن يكونوا من المؤمنين، وأخبروا عن أنفسهم أنهم لا يُكذِّبُون بآيات ربهم إن رُدُّوا إلى الدنيا[1].

.....

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ﴾

١. بدا لهم ما كان يجحدون من **الشرك** وعرفوا أنهم هالكون بشركهم.

٢. بدا لهم ما كانوا يخفون من **النفاق والكفر** بشهادة جوارحهم عليهم.

٣. بدا لهم ما كانوا **يكتمون من أعمالهم القبيحة** كما قال تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزمر:٤٧].

ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفون عنهم من أمر البعث والقيامة.

قوله: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ ﴾ إلى الدنيا حسبما تمنوا ﴿ لَعَادُوا۟ ﴾ لفعل ما نهوا عنه من القبائح التي رأسها الشرك، كما عاين إبليس ما عاين من آيات الله ثم عاند ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

١. قيل: متصفون بهذه الصفة لا ينفكون عنها بحال.

٢. وقيل: لكاذبون فيما أخبروا به عن أنفسهم من الصدق والإيمان.

---

(١) تفسير البغوي - طيبة (٣/ ١٣٧).

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩ ﴾

قوله: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي: ما هي إلا حياتنا الدنيا ﴿ وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴾ بعد الموت وهذا من شدة تمردهم وعنادهم، حيث يقولون هذه المقالة على تقدير أنهم رجعوا إلى الدنيا بعد مشاهدتهم للبعث.

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠ ﴾

قوله: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ أي: حبسوا على ما يكون من أمر ربهم فيهم، لشاهدت أمرًا عظيمًا، والاستفهام في ﴿ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ للتقريع والتوبيخ: أي أليس هذا البعث الذي ينكرونه كائنًا موجودًا، وهذا الجزاء الذي يجحدونه حاضرًا. ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ اعترفوا بما أنكروا، وأكدوا اعترافهم بالقسم. ﴿ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ﴾ الذي تشاهدونه وهو عذاب النار ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ أي: بسبب كفركم به، أو بكل شيء مما أُمرتُم بالإيمان به في دار الدنيا.

.....

﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ ﴾

قوله: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ المراد تكذيبهم بالبعث، وقيل: تكذيبهم بالجزاء. والأول أولى؛ لأنهم الذين قالوا قريبًا ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩ ﴾ الأنعام: ٢٩. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ يَٰحَسۡرَتَنَا ﴾ قال: «الحسرة أن يرى أهلُ النار منازلهم من الجنة، فتلك الحسرة». قال الطبري إسناده صحيح.

قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ أي: القيامة، وسُمِّيت ساعة؛ لسرعة الحساب فيها. ﴿ بَغۡتَةً ﴾: فجأة، ﴿ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا ﴾ دليل على كثرة تحسرهم. والحسرة: الندم الشديد ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا ﴾ أي: على تفريطنا في الساعة: أي في الاعتداد لها، والتصديق بها. ومعنى فرطنا: ضيعنا.

س: على ماذا يعود الضمير في فرطنا؟

يقول ابن جرير الطبري: إن الضمير في فرطنا فيها **يرجع إلى الصفقة**، وذلك أنهم لما تبين لهم خسران صفقتهم ببيعهم الإيمان بالكفر، والدنيا بالآخرة، قالوا: يا حسرتنا على ما فرطنا في صفقتنا، وإن لم تذكر في الكلام فهو دال عليها؛ لأن الخسران لا يكون إلا في صفقة وقيل: **الضمير راجع إلى الحياة**: أي على ما فرطنا في حياتنا.

قوله: ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡ ﴾ أي: يحملون أوزارهم على ظهورهم أي ذنوبهم، ومنه احمل وزرك: أي ثقلك؛ والمعنى أنها لزمتهم الآثام فصاروا مثقلين بها، وجعلها محمولة على الظهور تمثيل ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١ ﴾ أي بئس ما يحملون.

.....

﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢ ﴾

قوله: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ ﴾ أي وما متاع الدنيا إلا لعب في الأبدان، ولهو في القلوب، والقصد بالآية تكذيب الكفار في قولهم: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ ﴾ وكل ما يشغلك فقد ألهاك قوله: ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ **سميت آخرة**؛ لتأخرها عن الدنيا: أي هي خير للذين يتقون الشرك والمعاصي، ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ ذلك.

القراءات: قرأ ابن عامر «**ولدار الآخرة**» بلام واحدة وبالإضافة، وقرأ الجمهور باللام التي للتعريف معها، وجعل الآخرة نعتًا لها والخبر خير، وقرئ **تعقلون** بالفوقية والتحتية.

تدبر: ما الفرق بين حياة الكافر والمؤمن في ضوء قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾؟ قال ابن عباس: حياة الكافر يزجيها في غرور وباطل، فأما حياة المؤمن فتنطوي على أعمال صالحة، فلا تكون لهوًا ولعبًا. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٦١/٨).

.....

مواساة الرسول ﷺ مما لقيه من قومه، وصبر الرسل وثباتهم في سبيل تبليغ الدعوة (٣٣-٣٥)

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

سبب نزول الآية:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نُكذبك ولكن نُكذبُ بما جئت به، فأنزل الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ هذا الكلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله ﷺ عما ناله من الغم والحزن بتكذيب الكفار له، ودخول قد للتكثير فإنها قد تأتي لإفادته كما تأتي رب، والضمير في إنه للشأن.

وقرئ بفتح الياء وضمها من [يُحزنك]، وقرئ يُكذِّبونك مشددًا ومخففًا. ومعنى يُكذِّبونك على التشديد: ينسبونك إلى الكذب. وعلى المخفف: أنهم لا يجدونك كذابًا.

والمعنى: أن تكذيبهم ليس يرجع إليك فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئت به، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

هذا من جملة التسلية لرسول الله ﷺ، فقد وقع التكذيب لكثير من الرسل المرسلين من قبلك، فاقتد بهم، ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كُذِّبوا به وأوذوا؛ حتى يأتيك نصـــرنا كما أتاهم، فإنا لا نُخلف الميعاد ولكل أجل كتاب. ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١ وقد كان ذلك ولله الحمد. ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ستكون عاقبة هؤلاء المكذبين لك كعاقبة المكذبين للرسل، فيرجعون إليك، ويدخلون في الدين الذي تدعوهم إليه طوعًا أو كرهًا.

تدبر: ما هو المقصد من ذكر نبأ المرسلين؟

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: من أخبارهم؛ ويعني بذلك صـــبرهم ثم نصرهم، وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي: (٢٦٦/١).

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ كَبُرَ ﴾ ... عظم.

قوله: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ كان النبي ﷺ يكبُر عليه إعراض قومه، ويتعاظمه ويحزن له، فبين له الله ســبحانه أن هذا الذي وقع منهم من توليهم عن الإجابة له، والإعراض عما دعا إليه هو كائن لا محالة، لما ســبق في علم الله عز وجل، وليس في استطاعته وقدرته إصلاحهم وإجابتهم قبل أن يأذن الله بذلك، ثم علق ذلك بما هو محال، فقال: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فتأتيهم بآية منه ﴿ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم

بِـَٔايَةٍ ﴾ منها فافعل، ولكنك لا تستطيع ذلك، فدع الحزن فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ الغاشية : **والنفق**: المنفذ، **والسُّلم**: الدرج الذي يرتقى عليه، وهو مشتق من السَّلامة؛ لأنه يسلك به إلى موضع الأمن، **وقيل**: إن الخطاب لأمته؛ لأنها كانت تضيق صدورهم بتمرد الكفرة وتصميمهم على كفرهم، ولهذا قال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ جمع إلجاء وقسر، ولكنه لم يشأ ذلك، ولله الحكمة البالغة.

قوله: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ فإن شدة الحرص والحزن لإعراض الكفار عن الإجابة، قبل أن يأذن الله بذلك، هو صنيع أهل الجهل ولست منهم، فدع الأمور مفوضة إلى عالم الغيب والشهادة، فهو أعلم بما فيه المصلحة.

.....

حوار مع مشركي قريش، وادعاء أكثر البشر التشكيك بالأنبياء عندما يدعونهم إلى ما يُخالف أهواءهم، وجدال الكافر بالباطل كبرًا وفسادًا (٣٦-٤١)

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أي: يسمعون سماع تفهم بما تقتضيه العقول وتوجبه الأفهام، وهؤلاء ليسوا كذلك، بل هم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ولا يعقلون؛ لما جعلنا على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر، ولهذا قال: ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ شبههم بالأموات بجامع أنهم جميعًا لا يفهمون الصَّواب، ولا يعقلون الحق: أي: أن القادر على بعث الأموات، قادر على أن يُقبِل بقلوب الكفار إلى ما جئت به ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ إلى الجزاء فيجازي كلًا بما يليق به كما تقتضيه حكمته البالغة. عن الحسن البصري ومجاهد في قوله: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ قال: المؤمنون ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ ﴾ قال: الكفار.

تدبر: على ضوء الآية ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ ما المراد بالسماع بين المؤمن والغافل عند الوعظ؟

المراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن يشترك فيه البر والفاجر؛ فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى باستماع آياته. تفسير السعدي: (ص:٢٥٥).

تدبر: ما وجه الشبه بين الكافر والميت في قوله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾؟

موت قلوب الكفار، شبهت بأجساد الموتى. تفسير ابن كثير بتصرف: (٢/١٢٤).

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

مرادهم بالآية هنا، هي التي تضطرهم إلى الإيمان: كنزول الملائكة بمرأى منهم ومسمع، أو نتق الجبل، كما وقع لبني إسرائيل.

فأمره الله سبحانه أن يجيبهم بأن ﴿ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ﴾ على رسوله ﴿ءَايَةً﴾ تضطرهم إلى الإيمان، ولكنه ترك ذلك؛ لتظهر فائدة التَّكليف الذي هو الابتلاء والامتحان، وأيضا لو أنزل آية كما طلبوا لم يمهلهم بعد نزولها بل سيعاجلهم بالعقوبة إذا لم يؤمنوا. قال الزجاج: طلبوا أن يجمعهم على الهدى، يعني جمع إلجاء﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله قادر على ذلك، وأنه تركه لحكمة بالغة لا تبلغها عقولهم.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾... ما تركنا.

قوله: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ ما من دابة من الدواب التي تدب في أي مكان من أمكنة الأرض، ولا طائر يطير في أي ناحية من نواحيها قوله: ﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾

١. جماعات مثلكم خلقهم الله كما خلقكم، ورزقهم كما رزقكم، داخلة تحت علمه وتقديره وإحاطته بكل شيء.
٢. وقيل: أمثالنا في ذكر الله والدلالة عليه.
٣. وقيل: أمثالنا في كونهم محشورين.

وقال الزجاج: أمثالكم في الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصاص. والأولى: أن تحمل المماثلة على كل ما يمكن وجود شبه فيه كائنًا ما كان.

قوله: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ ما أغفلنا عنه ولا ضيعنا فيه من شيء.

س: ما المراد بالكتاب في قوله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾؟

١. اللوح المحفوظ، فإن الله أثبت فيه جميع الحوادث.
٢. وقيل: القرآن أي: ما تركنا في القرآن من شيء من أمر الدين إما تفصيلًا أو إجمالًا، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل، ما أَجْمَلَه القرآن فَصْلَتْهُ السنة بقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر.

قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ قيل: الأمم المذكورة، وقيل: الكفار، وفيه دلالة على أن تلك الأمم تُحشر كما يحشر بنو آدم، وهذا رأي الجمهور: وذهب ابن عباس إلى أن حشرها موتها. قال الشوكاني: والأول أرجح للآية.

تدبر: كل ما يقع في حياتك يمر بأربع مراتب مقدرة، وضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾؟

جميع الأشياء [صغيرها وكبيرها] مثبتة في اللوح المحفوظ على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم، **وفي هذه الآية دليل على** أن الكتاب الأول قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر؛ فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات. تفسير السعدي: (ص:٢٥٥).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ صُمٌّ ﴾الذين لا يسمعون. ﴿ وَبُكْمٌ ﴾ الذين لا يتكلمون.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ ﴾ أي لا يسمعون بأسماعهم، ولا ينطقون بألسنتهم، نزَّلهم منزلة من لا يسمع ولا ينطق لعدم قبولهم لما ينبغي قبوله من الحجج الواضحة والدلائل الصحيحة. قوله: ﴿ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ أي: في ظلمات الكفر والجهل والحيرة لا يهتدون لشيء مما فيه صلاحهم، وضموا إلى الصمم والبكم لعدم الانتفاع بالأبصار لتراكم الظلمة عليهم، فكانت حواسهم كالمسلوبة التي لا ينتفع بها بحال. ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ ﴾ أن يهديه ﴿ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ لا يذهب به إلى غير الحق، ولا يمشي فيه إلا إلى صوب الاستقامة.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾... أخبروني.

قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ أي: أخبروني ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ كما أتى غيركم من الأمم ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ أي: القيامة ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ هذا على طريقة التبكيت والتوبيخ: أي: أتدعون غير الله في هذه الحالة من الأصنام التي تعبدونها أم تدعون الله سبحانه، وقوله: ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ تأكيد لذلك التوبيخ: أي: أغير الله من الأصنام تدعون إن كنتم صادقين، أن أصنامكم تضر وتنفع وأنها آلهة كما تزعمون.

﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ أي: بل إياه تخصون بالدعاء ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي: فيكشف عنكم ما تدعونَه إلى كشفه ﴿ إِن شَآءَ ﴾ أن يكشفه عنكم. قوله: ﴿ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ أي: وتنسون ما تجعلونه شريكًا له من الأصنام ونحوها فلا تدعونها، ولا ترجون كشف ما بكم منها، بل تعرضون عنها إعراض الناس.

.....

مثال من الأمم السابقة، وحكمة الابتلاء بالشر والخير (٤٢-٤٥)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ بِٱلْبَأْسَآءِ ﴾ الفقر والمصائب في الأموال. ﴿ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ المرض، والمصائب في الأبدان.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ كلام مبتدأ مسوق لتسلية النبيﷺ، قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ أي: يدعون الله بضراعة. أي: بذل.

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾

١. هذا عتاب لهم على ترك الدعاء في كل الأحوال حتى عند نزول العذاب بهم
٢. تضرعوا عند نزول العذاب، وذلك تضرع ضروري لم يصدر عن إخلاص فهو غير نافع لصاحبه، والأول أولى.

تدبر: في ضوء الآية ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ بين أهمية التضرع في الشدائد؟
فيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد. التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/٢٧٠).

قوله: ﴿ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: صلبت وغلظت، قوله: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي: أغواهم بالتصميم على الكفر والاستمرار على المعاصي.

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ مُّبْلِسُونَ ﴾ آيسون، منقطعون من كل خير.

قوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾. أي: أنهم لما تركوا الاتعاظ بما ذُكروا به من البأساء والضراء، ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾. أي: استدرجناهم بفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ ﴾.أي: من الخير على أنواعه فَرَحُ بطرٍ وأشرٍ وأعجبوا بذلك، وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقًا وصوابًا ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾. أي: فجأة وهم غير مترقبين لذلك. والبغتة: الأخذ على غرة من غير تقدمة أمارة، ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾. أي: آيسون منقطعون من كل خير.

تدبر: بين استدراج الله سبحانه للغافلين من خلال الآية ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴿٤٤﴾ ﴾.؟

فتحنا عليهم أبواب كل شيء كان مغلقًا عنهم، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾. معناه: بطروا، وأشروا، وأعجبوا، وظنوا أن ذلك العطاء لا يبيد، وأنه دال على رضاء الله عنهم، ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٣٧٩/٨).

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ فَقُطِعَ ﴾ استؤصل. ﴿ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ﴾... آخرهم.

قوله: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ أي: استؤصلوا جميعًا حتى آخرهم. وأما التدبير فهو إحكام عواقب الأمور. قوله: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: على هلاكهم. وفيه تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه سبحانه عند نزول النِّعم التي من أجلها هلاك الظلمة الذين يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون، فإنهم أشد على عباد الله من كل شديد، اللهم أرح عبادك المؤمنين من ظلم الظالمين، واقطع دابرهم وأبدلهم بالعدل الشامل لهم.

تدبر: هلاك الظلمة نعمةٌ من الله تعالى فهل نحمد الله عليها، بين ذلك في ضوء قوله: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

وفي ذلك كله تنبيه على أنه يحق الحمد لله عند هلاك الظلمة؛ **لأن هلاكهم صلاح للناس**، والصَّلاح أعظم النِّعم، وشكر النِّعمة واجبٌ، وهذا الحمد شكر؛ لأنه مقابل نعمة. التحرير والتنوير لابن عاشور: (٢٣٢/٧).

.....

تذكير بنعم الله وتهديد، وتوجيه لتوحيد الله جل جلاله (٤٦-٥٠)

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ نُصَرِّفُ ﴾ ننوع. ﴿ يَصْدِفُونَ ﴾ يعرضون.

هذا تكرير للتوبيخ؛ لقصد تأكيد الحجة عليهم، ووحد السَّمع؛ لأنه مصدر يدل على الجمع بخلاف البصر ولهذا جمعه، والختم: الطَّبع، والمراد: أخذ المعاني القائمة بهذه الجوارح، أو أخذ الجوارح نفسها، ﴿ مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ والاستفهام للتوبيخ، ﴿ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ أي: بذلك المأخوذ، ﴿ ٱنظُرْ ﴾ أمر الله رسولَهﷺ بالنَّظر في تصريف الآيات وعدم قبولهم لها تعجيبًا له من ذلك، قوله: ﴿ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ والتَّصريف: المجيء بها على جهات مختلفة، تارة إنذار، وتارة إعذار، وتارة ترغيب، وتارة ترهيب، وقوله: ﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ يُعرضون.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ أي: أخبروني عن ذلك.

قوله: ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾

١. قيل البغتة: هي الفجأة. أي: من دون تقديم مقدمات تدل على العذاب، والجهرة: أن يأتي العذاب بعد ظهور مقدماتٍ تدل عليه.
٢. وقيل البغتة: إتيان العذاب ليلًا، والجهرة: إتيان العذاب نهارًا كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا ﴿٥٠﴾ ﴾ يونس: ٥٠.

قوله: ﴿ هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الاستفهام للتقرير: أي ما يُهلك هلاك تعذيبٍ وسخطٍ إلا القوم الظالمون.

﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾.

١. أي: مبشرين لمن أطاعهم بما أعد الله له من الجزاء العظيم، ومنذرين لمن عصاهم بما له عند الله من العذاب الوبيل.
٢. وقيل: مبشرين في الدنيا بسعة الرزق وفي الآخرة بالثواب، ومنذرين: مخوفين بالعقاب.

قوله: ﴿ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ ﴾ أي: آمن بما جاءت به الرسل، وأصلح حال نفسه بفعل ما يَدعُونَه إليه ﴿ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ بوجه من الوجوه ﴿ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ بحال من الأحوال.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

هذا حال المكذبين، أنه يمسهم العذاب بسبب فسقهم، أي: خروجهم عن التصديق والطاعة. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: كل فسق في القرآن فمعناه الكذب.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

أمره الله سبحانه بأن يخبرهم لما كثر اقتراحهم عليه، أن يقول لهم: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ والمراد: خزائن قدرته التي تشتمل على كل شيء من الأشياء، قوله: ﴿ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾ أي: إنه لا يعلم الغيب حتى يخبرَهم به، ويعرفَهم بما سيكون في

مستقبل الدهر قوله: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ حتى تكلفوني من الأفعال الخارقة للعادة ما لا يطيقه البشر، وليس في هذا ما يدل على أن الملائكة أفضل من الأنبياء.

قوله: ﴿ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ أي: ما أتبع إلا ما يوحيه الله إلي، قوله: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ﴾ هذا الاستفهام للإنكار، والمراد: أنه لا يستوي الضال والمهتدي، أو المسلم والكافر أو من اتبع ما أوحي إليه ومن لم يتبعه، قوله: ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ في ذلك حتى تعرفوا عدم الاستواء بينهما، فإنه بين، لا يلتبس على من له أدنى عقل وأقل تفكر.

.....

توجيه الله إلى رسوله ﷺ في الدعوة، وإيضاح الله لعباده أن رسله بشر، وبيان كيفية معاملة الضعفاء والفقراء من المسلمين (٥١-٥٢)

﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١ ﴾

سبب نزول الآية:

عن عبد الله بن مسعود قال: «مر الملأ من قريش[1] على النبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك أهؤلاء مَن الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم عنا، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فأنزل الله فيهم القرآن ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٥٨ ﴾ الأنعام: ٥٨ .

(١) وهم: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل والحارث بن عامر بن نوفل ومطعم بن عدي بن الخيار بن نوفل في أشراف الكفار من عبد مناف.

قوله: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ الإنذار: الإعلام، والضمير في به راجع إلى ما يُوحى، وقيل: إلى الله. وقيل: إلى اليوم الآخر.

تدبر: لماذا خصت النذارة بالخائفين من الحشر؟

لأن هذا القرآن نذارة للخلق كلهم، ولكن إنما ينتفع به ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ فهم متيقنون للانتقال من هذه الدار إلى دار القرار؛ فلذلك يستصحبون ما ينفعهم، ويدعون ما يضرهم. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي:٢٥٧.

قوله: ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ أي: أنذر به هؤلاء الذين يخافون الحشر؛ حال كونهم لا ولي لهم يواليهم، ولا نصير يناصرهم، ولا شفيع يشفع لهم من دون الله.

﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ بِٱلۡغَدَوٰةِ ﴾ أول النهار. ﴿ وَٱلۡعَشِيِّ ﴾ آخر النهار.

أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود وبلال ورجل من هذيل ورجلان لست أسميهما، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء عنك لا يجترءون علينا، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي.

قال إبراهيم النخعي: لا تطرد أهل الذكر، وقال سفيان الثوري: لا تطرد أهل الفقه.

قوله: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ س: ما المراد بالدعاء في هذه الآية؟

١. العبادة مطلقا ٢. صلاة الجماعة قاله: ابن عباس. (قال مجاهد: الفجر والعصر).
٣. الذكر وقراءة القرآن والمراد: الدعاء لله بجلب النفع ودفع الضرر.
المراد بذكر الغداة والعشي: هو على ظاهره.

قوله: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ أخلصوا في عبادتهم لله. قوله: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ أي: حساب هؤلاء الذين أردت أن تطردهم موافقة لمن طلب ذلك منك هو على أنفسهم، ما عليك منه شيء، وحسابك على نفسك ما عليهم منه شيء، فعلام تطردهم؟

قوله: ﴿ فَتَطْرُدَهُمْ ﴾ أي: إذا كان الأمر كذلك فأقبل عليهم، وجالسهم، ولا تطردهم، مراعاة لحق من ليس على مثل حالهم في الدين والفضل. قوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: إن فعلت ذلك كنت من الظالمين، وحاشاه عن وقوع ذلك، وإنما هو من باب التعريض لئلا يفعل ذلك غيره صلى الله عليه وسلم من أهل الإسلام كقوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥.

تدبر: لماذا خص الله سبحانه وقت الغداة والعشي بالذكر؟

وخص الغداة والعشي بالذكر؛ لأن الشغل غالب فيهما على الناس، ومن كان في وقت الشغل مقبلًا على العبادة، كان في وقت الفراغ من الشغل أعمل. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي:(٣٨٩/٨).

.....

هداية الرسل لجميع الخلق من أوامر الرسالة، والحكم والأمر لله تعالى (٥٣-٥٨)

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ فَتَنَّا ﴾ ... ابتلينا باختلاف الأرزاق وغيرها.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي: عاملناهم معاملة المختبرين، قوله: ﴿لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ أي: أكرمهم بإصابة الحق دوننا. قوله:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ هذا الاستفهام للتقرير. والمعنى: أن مرجع الاستحقاق لنعم الله سبحانه هو الشكر، وهو أعلم بالشاكرين له، فما بالكم تعترضون بالجهل وتنكرون الفضل. "هم الذين يعرفون قدر نعمة الإيمان، ويشكرون الله عليها. مجموع الفتاوى لابن تيمية(٣/٢٨).

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ بسفاهة، وكل عاص لله فهو جاهل.

قوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾هم الذين نهاه الله عن طردهم، وهم المستضعفون من المؤمنين قوله:﴿ فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أمره الله بأن يقول لهم هذا القول تطييبًا لخواطرهم. فكان النبيﷺ بعد نزول هذه الآية إذا رآهم بدأهم بالسلام وقيل: إن هذا السلام هو من جهة الله: أي أبلغهم منا السلام.

قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ أي: أوجب ذلك إيجاب فضل وإحسان وقيل: كتب ذلك في اللوح المحفوظ. وقيل: هذا من جُملة ما أمره الله سبحانه بإبلاغه إلى أولئك الذين أمره بإبلاغ السلام إليهم تبشيرًا بسعة مغفرة الله وعظيم رحمته.

قوله: ﴿ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾

١. قرأ ابن عامر وعاصم ونافع بفتح أن من "أنه".
٢. قرأ الباقون بكسرها "إنه"

والمعنى: أنه فَعَل فِعل الجاهلين، لا فِعل أهل الحكمة والتدبير، وفائدة التقييد بالجهالة: أن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر.

قوله: ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ ﴾ أي: من بعد عمله وأصلح ما أفسده بالمعصية، فراجع الصَّواب وعمل الطاعة قوله: ﴿ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٤ ﴾ قرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزة من "فأنه"، وقرأ الباقون بالكسر "فإنه".

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥ ﴾

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ أي: نبين الآيات، وقد فصل الله لهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين. قوله: ﴿ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ الذين يأمرونك بطرد هؤلاء.

القراءات:

١. قرئ {لتستبين} بالفوقية أي: لتستبين يا محمد سبيل المجرمين، وسبيلَ: منصوب على قراءة نافع. وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحفص بالرفع، فالفعل مسند إلى سبيل.
٢. قرئ {ليستبين} بالتحتية أي: فالفعل مسند إلى سبيل أيضا، وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة بالرفع.

تدبر: لمَ ذَكر سبيل المجرمين، ولم يذكر سبيل المؤمنين؟ إذا استبان سبيل المجرمين فقد استبان سبيل المؤمنين. تفسير القرطبي:(٣٩٦/٨).

﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾

قوله: ﴿ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ ﴾ أمره الله أن يخاطب الكفار، بأنه نهي عن عبادة ما يدعونه ويعبدونه من دون الله، ثم أمره سبحانه بأن يقول لهم: ﴿ لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ ﴾ أي: لا أسلك

المسلك الذي سلكتموه في دينكم من اتباع الأهواء. قوله:﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا ﴾أي: اتبعت أهواءكم فيما طلبتموه من عبادة معبوداتكم وطرد من أردتم طرده ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ إن فعلت ذلك.

وقرئ ضلَلت بفتح اللام وكسرها وهما لغتان، والأولى هي الأصح؛ لأنها لغة أهل الحجاز، وهي قراءة الجمهور. قال الجوهري: والضلال والضلالة: ضد الرشاد.

﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله:﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾أي: إني على ثقة وبرهان من ربي ويقين، لا على هوى وشك. قوله: ﴿ وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ﴾ أي: بالرب، أو بالعذاب، أو بالقرآن، أو بالبينة، والتذكير للضمير باعتبار المعنى. وحصل هذا منهم رغم الحجج الواضحة.

قوله: ﴿ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ﴾

١. أخبرهم بأنَّه لم يكن عنده ما يتعجلونه من العذاب.
٢. وقيل: ما عندي ما تستعجلون به من الآيات التي تقترحونها علي.

فإنهم كانوا لفرط تكذيبهم يستعجلون نزوله، استهزاءً، نحو قوله: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ الإسراء: وقولهم: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأنفال.

قوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾:أي ما الحكم الفاصل في كل شيء إلا لله سبحانه، ومن جملة ذلك ما تستعجلون به من العذاب أو الآيات المقترحة. قوله:﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾. يبين الحق والباطل.

القراءات:

١. قرأ نافع وابن كثير وعاصم: "يقص" بالقاف والصاد المهملة، أي: يتبع الحق فيما يحكم به.

٢. وقرأ الباقون: "يقضي" بالضاد المعجمة والياء. أي يقضي القضاء بين عباده.

قوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ أي: بين الحق والباطل بما يقضي به بين عباده ويفصله لهم في كتابه.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾

أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ أي: ما تطلبون تعجيله ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: وفيها أقوال:

١. أي: لقضي الأمر بيننا أي عند قيام الساعة.

٢. لقضى الله الأمر بيننا، بأن ينزله الله سبحانه لكم بسؤالي له.

٣. لو كان العذاب الذي تستعجلون به عندي وفي قبضتي لأنزلته بكم، وعند ذلك يقضي الأمر بيني وبينكم.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: والله أعلم بالوقت الذي يَنزِلُ فيه عذابُهم، وبما تقتضيه مشيئته من تأخيره؛ استدراجًا لهم وإعذارًا إليهم.

.....

علم الله تعالى وإحاطته بمخلوقاته، وعنده علوم الغيب وحده سبحانه (٥٩)

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

السراج: ﴿ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾... خزائن الغيب؛ وهي خمس مذكورة في آخر لقمان.

قوله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب، أو المفاتح التي يتوصل بها إلى المخازن. وقوله: ﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، وفي هذه الآية الشريفة: ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم[1].

قوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ ﴾ لماذا خصهما بالذكر؟

١. لأنهما من أعظم مخلوقات الله.

٢. خصهما لكونهما أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيهما.

قوله: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ أي من ورق الشجر وهو تخصيص بعد التعميم: أي يعلمها ويعلم زمان سقوطها ومكانه. قوله: ﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: في الأمكنة المظلمة، وقيل: في بطن الأرض. قوله: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ وقد شمل وصف الرطوبة واليبوسة جميع الموجودات. قوله: ﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ هو اللوح المحفوظ.

---

(١) وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن ابن عمر أن رسول اللهﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله».

تدبر: ذكرت الآية مثالا يدل على سعة علم الله تعالى، وضحه؟

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ أي: من ورقة الشجر إلا يعلم متى تسقط، وأين تسقط، وكم تدور في الهواء، ولا حبة إلا يعلم متى تنبت، وكم تنبت، ومن يأكلها؟ تفسير القرطبي:(٨/٤٠٥).

.....

بيان لقدرة الله على عباده، وقهره لهم، ورحمته وحفظه لهم (٦٠-٦٢)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ جَرَحْتُم ﴾... اكتسبتم.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ أي: ينيمكم فيقبض فيه نفوسكم التي بها تميزون وليس ذلك موتا حقيقة، فهو مثل قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ الزمر. والتوفي: استيفاء الشيء، وتوفيت الشيء واستوفيته: إذا أخذته أجمع.

قوله: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ أي: كسبتم بجوارحكم من الخير والشر. قوله: ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ﴾ أي: قيل: يبعثكم بالنهار باليقظة وقيل: يبعثكم من القبور فيه. وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: هو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه وقيل: ثم يبعثكم في المنام. قوله: ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ أي: معين لكل فرد من أفراد العباد من حياة ورزق قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ أي: رجوعكم بعد الموت ﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ لا يضيعون، ولا يقصرون.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ القاهر: الغالب على أمره فيهم، ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ أي: فوقية القدرة والرتبة. قوله: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ أي: ملائكة ومنه قوله: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ الانفطار والمعنى: أنه يرسل عليكم من يحفظكم من الآفات ويحفظ أعمالكم. قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ والمراد بمجيء الموت مجيء علاماته.

وقرأ حمزة "توفاه رسلنا"، وقرأ الأعمش "تتوفاه". والرسل: هم أعوان ملك الموت، ومعنى توفته: استوفت روحه ﴿ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ أي لا يقصرون ويضيعون.

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: ردوا بعد الحشر إلى الله: أي إلى حكمه وجزائه. ﴿ مَوْلَىٰهُمُ ﴾ مالكهم الذي يلي أمورهم.

"الحقِ" قرأ الجمهور بالجر صفة لاسم الله. وقرأ الحسن "الحقَ" بالنصب على إضمار أعني أو أمدح قوله: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ لكونه لا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الفكر والروية والتدبر.

تدبر: تحدثت الآية ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ عن عظمة الله -سبحانه وتعالى- في سرعة حسابه لعباده وضح ذلك؟ لكمال علمه، وحفظه لأعمالهم، بما أثبته في اللوح المحفوظ، ثم أثبتته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم. تفسير السعدي:(ص:٢٥٩).

طبيعة الأنفس الجاحدة، وما بنا من خير فمن الله، وإن الله قادر على عقابنا (٦٣-٦٧)

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ تَضَرُّعًا ﴾.. مظهرين الضراعة؛ وهي شدة الفقر إلى الشيء والحاجة. ﴿ وَخُفْيَةً ﴾... مسرين بالدعاء.

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ قيل: المراد بظلمات البر والبحر: شدائدهما. والاستفهام للتقريع والتوبيخ: أي من ينجيكم من شدائدهما العظيمة؟

القراءات: قرأ أبو بكر عن عاصم «خِفية» بكسر الخاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان. وقرأ الأعمش «وخيفة» من الخوف. أي: من ينجيكم من ذلك حال دعائكم له دعاء تضرع وخفية أو متضرعين ومخفين.

والمراد بالتضرع هنا: دعاء الجهر.

القراءات: في قوله: ﴿ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا ﴾

١. كذا قرأ أهل المدينة وأهل الشام. (لئن أنجيتنا).
٢. وقرأ الكوفيون لئن (أنجانا): أي قائلين لئن أنجيتنا.

قوله: ﴿ مِنْ هَٰذِهِۦ ﴾ الشدة التي نزلت بنا وهي الظلمات المذكورة ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ لك على ما أنعمت به علينا من تخليصنا من هذه الشدائد.

تدبر: كيف يكون الشكر الكامل لنعم الله تعالى في ضوء قوله ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾؟ والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها. تفسير البغوي:(٢/٣٠).

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ﴾ قرأ الكوفيون وهشام «يُنَجِّيكم» بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف "يُنجيكم" والضمير في ﴿مِّنْهَا ﴾ راجع إلى الظلمات. والكرب: الغم يأخذ بالنفس.

قوله: ﴿ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ بالله سبحانه بعد أن أحسن إليكم بالخلوص من الشدائد وذهاب الكروب شركاء لا ينفعونكم، ولا يضرونكم، ولا يقدرون على تخليصكم من كل ما ينزل بكم.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾يخلطكم فرقًا متناحرة. ﴿ نُصَرِّفُ ﴾ننوع.

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾أي: الذي قدر على إنجائكم من تلك الشدائد، قادرٌ على أن يعيدَكم في شدة ومحنة وكرب يبعث عذابه عليكم من كل جانب، فالعذاب المبعوث ﴿ مِّن فَوْقِكُمْ ﴾: أي: ما ينزل من السماء من المطر والصواعق، وقيل: الأمراء الظلمة، وقيل: السلاح الجوي... ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾: قيل: الخسف والزلازل والغرق، وقيل: السفلة وعبيد السوء، وقيل: الألغام الأرضية... قوله: ﴿يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾قرأ الجمهور بفتح التحتية، من لبس الأمر: إذا خلطه، وقرأ أبو عبد الله المديني بضمها: "يُلبسكم" أي: يجعل ذلك لباسًا لكم.

والمعنى: يجعلكم فرقًا يقاتل بعضكم بعضًا. والشيع: الفرق، أي يخلطكم فرقًا.

قوله: ﴿ وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍ ﴾.أي: يصيب بعضكم بشدة بعض من قتل وأسر ونهب، وقرئ: «نذيق» بالنون.

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾. نبين لهم الحجج والدلالات من وجوه مختلفة ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴾. الحقيقة فيعودون إلى الحق الذي بيناه لهم بيانات متنوعة. وفي صحيح مسلم وغيره عن ثوبان، عن رسول اللهﷺ قال: «وسألته أن لا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها».

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦ ﴾

قوله: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ ﴾ الضمير راجع إلى القرآن أو إلى العذاب.﴿ قَوۡمُكَ ﴾ قيل: هم قريش، وقيل: كل معاند. ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾ أي: والحال أنه حق. ﴿ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦ ﴾ أي: لست بحفيظ على أعمالكم حتى أجازيكم عليها. قيل: وهذه الآية منسوخة بآية القتال ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ التوبة وقيل: ليست بمنسوخة.

﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٦٧ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ مُّسۡتَقَرّٞ ﴾ نهاية يعرف بها أحق، أم باطل.

قوله: ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ ﴾ يل: لكل شيء وقت يقع فيه. وقيل: لكل عمل جزاء. وقيل: هذا وعيد من الله للكفار؛ لأنَّهم كانوا لا يُقِرون بالبعث. فكان نبأ القوم استقر يوم بدر بما كان يعدهم من العذاب. ﴿ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾ ذلك بحصوله ونزوله بهم، كما علموا يوم بدر بحصول ما كان النبيﷺ يتوعدهم به.

.....

لا يجوز للمسلم أن يجلس مع المستهزئين بالدين، وليس له السكوت على الباطل ما استطاع (٦٨-٧٠)

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿يَخُوضُونَ﴾... يتكلمون مستهزئين.

قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ الخطاب للنبيﷺ، أو لكل من يصلح له. والخوض: أصله في الماء، فاستعير من المحسوس للمعقول. **والمعنى**: إذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والرد والاستهزاء فدعهم، ولا تقعد معهم لسماع مثل هذا المنكر العظيم ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ أمره الله سبحانه بالإعراض عن أهل المجالس التي يُستهان فيها بآيات الله إلى غاية هي الخوض في غير ذلك.

وقد عُلم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات.

وقد رُوي عن عمر بن عبد العزيز: أنَّه جلس بين يديه قوم قعدوا على شراب، معهم رجل صائم فضربه وقال: لا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره.

قوله: ﴿ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ **والمعنى**: إن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم فلا تقعد بعد الذكرى إذا ذكرت ﴿ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: الذين ظلموا أنفسهم بالاستهزاء بالآيات والتكذيب بها. قيل: وهذا الخطاب وإن كان ظاهره للنبيﷺ فالمراد التعريض لأمته لتنزهه عن أن ينسيه الشيطان وقيل: لا وجه لهذا فالنسيان جائز عليه كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني» ونحو ذلك.

يقول القرطبي: من خاض في آيات الله تُركت مجالسته، وهُجر؛ مؤمنًا كان، أو كافرًا. أحكام القرآن(٨/٤١٩).

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾. في الآية الترخيص للمتقين من المؤمنين في مجالسة الكفار إذا اضطروا إلى ذلك، وهذا الترخيص كان في أول الإسلام، وكان الوقت وقت تقية، ثم نزل قوله تعالى: {﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ النساء: فنسخ ذلك.

قوله: ﴿ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ ﴾ ولكن عليهم الذكرى للكافرين بالموعظة والبيان لهم بأن ذلك لا يجوز. **أما على التفسير الأول**: فلأنَّ مجرد اتقاء مجالس هؤلاء الذين يخوضون في آيات الله لا يُسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. **وأما على التفسير الثاني**: فالترخيص في المجالسة لا يسقط التذكير ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الخوض في آيات الله إذا وقعت منكم الذكرى لهم.

تدبر: الهدف الذي يجب أن يجعله الداعية أمامه حال تذكيره للناس، أن يستعمل الْمُذَكِّرُ من الكلام ما يكون أقربَ إلى حصول مقصود التقوى. تفسير السعدي (ص:٢٦١).

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿تُبْسَلَ﴾ ترتهن، وتحبس. ﴿تَعْدِلْ﴾ تفتدي. ﴿أُبْسِلُوا﴾ ارتُهِنُوا بذنوبهم. ﴿حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ الحرارة.

قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ أي: اترك الذين اتخذوا دينك لعبًا ولهوًا، ولا تعلق قلبك بهم؛ فإنهم أهل تعنت، وإن كنت مأمورًا بإبلاغهم الحجة. وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال. ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ معطوفة على اتخذوا أي: غرتهم حتى آثروها على الآخرة وأنكروا البعث وقالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ المؤمنون.

تدبر: ما فائدة ذكر الحياة في قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ ؟

وذكر الحياة هنا له موقع عظيم؛ وهو أن همهم من هذه الدنيا هو الحياة فيها؛ لا ما يتكسب فيها من الخيرات التي تكون بها سعادة الحياة في الآخرة؛ أي: غرتهم الحياة الدنيا فأوهمتهم أن لا حياة بعدها. التحرير والتنوير لابن عاشور:(٢٩٦/٧).

قوله: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يعود الضمير في به للقرآن أو للحساب. والإبسال: تسليم المرء للهلاك، فالمعنى: وذكر به خَشية أو مَخافة أو كَراهة أن تَهلك نفس بما كسبت: أي: ترتهن وتُسلَّم للهلكة. قوله: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ العدل هنا: الفدية. والمعنى: وإن بذلت تلك النفس التي سُلِّمت للهلاك كل فدية لا يؤخذ منها ذلك العدل حتى تنجو به من الهلاك، والإشارة بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إلى المتخذين دينهم لعبًا ولهوًا، ﴿ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا،

هم الذين سُلموا للهلاك بما كسبوا،﴿ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ وهو الماء الحار، وهو هنا شراب يشربونه فيقطع أمعاءهم.

تدبر: المعاصي قيد لصاحبها وضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾؟

إن المعاصي قيد لصاحبها وحبس له، ومانع له من الجولان في فضاء التوحيد، وحائل بينه وبين أن يجني من ثمار الأعمال الصالحة؛ فهو محبوس ها هنا، وهناك في الآخرة. مجموع الفتاوى لابن تيمية: (١٤/٤٩).

.....

صفات الله تعالى تدفع العاقل إلى عبادة الله طوعًا (٧١-٧٣)

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ٱسْتَهْوَتْهُ ﴾ هوت به؛ فأضلته.

قوله:﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ أي: كيف ندعو من دون الله أصنامًا لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع، إن أردنا منها نفعًا ولا نخشى ضرها بوجه من الوجوه، ومن كان هكذا فلا يستحق العبادة ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا ﴾ أي: ونرجع إلى الضلالة التي أخرجنا الله منها؟ قال أبو عبيدة: يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها قد رد على عقبيه. قوله: ﴿ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: زين له الشيطان هواه، واستهوته الشياطين هوت به.

القراءات:

١. قرأ الجمهور «استهوته».
٢. وقرأ حمزة «استهواه» على تذكير الجمع.
٣. وقرأ ابن مسعود والحسن «استهواه الشيطان» وهو كذلك في قراءة أُبي.

﴿ حَيۡرَانَ ﴾ الحَيران: هو الذي لا يهتدي لجهة. قوله: ﴿ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ﴾ أي: هذا الحيران له رفقة ﴿ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ﴾ يقولون له ائتنا فلا يجيبهم ولا يهتدي بهديهم.

قوله: ﴿ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ ﴾ أي: دينه الذي ارتضاه لعباده، هو الهدى وما عداه باطل لقوله ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ آل عمران.

قوله: ﴿ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: أمرنا لأجل أن نسلم لرب العالمين.

﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢ ﴾

قوله: ﴿ وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ﴾ أي: أمرنا أن نسلم، وأن نقيم الصلاة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ فكيف تخالفون أمره وهو الذي إليه تحشرون.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٧٣ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ٱلصُّورِ ﴾ القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل.

قوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ إذا كان خلق بالحق فكيف تعبدون الأصنام المخلوقة؟ قوله: ﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ أي: واذكر يوم يقول

كن فيكون أو واتقوا يوم يقول كن فيكون. ﴿ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: المشهود له بأنَّه حق. وقيل المعنى: قولهُ المُتَّصف بالحق كائن يوم يقول: كن فيكون.

القراءات:

١. قرأ ابن عامر "فنكون" بالنون، وهو إشارة إلى سرعة الحساب.
٢. وقرأ الباقون بالياء التحتية "فيكون" وهو الصواب.

قوله: ﴿ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾الظرف منصوب بما قبله: أي له الملك في هذا اليوم وقيل: هو بدل من اليوم الأول، والصُّور: قرن يُنفخ فيه النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، والصُّور بضم الصاد وبكسرها لغة، وقال الفراء: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ يقال: إنها للصِّور خاصة: أي: ويوم يقول للصور كن فيكون. قوله: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾العالمُ بما غاب وما حضر من كل شيء ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾في جميع ما يصدر عنه الخبير بكل شيء.

.....

منهج إبراهيم عليه السلام في إقامة الحجة والبرهان على قومه، واستخدام طريق العقل لإثبات معتقده (٧٤-٧٩)

﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ كان لوالد إبراهيم اسمان: آزر وتارخ. وقيل: آزر: لقب، وتارخ: اسم. قوله: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ الاستفهام للإنكار، أي: أتجعلها آلهة لك تعبدها ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ ﴾ المتبعين لك في عبادة الأصنام ﴿ فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ عن طريق الحق ﴿ مُّبِينٍ ﴾ واضح.

تدبر: هل في أسلوب إبراهيم عليه السلام الوارد في قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ما ينافي البر بالوالدين؟ وضح ذلك؟

ليس في ذلك ما ينافي البرور به؛ لأن المجاهرة بالحق دون سب ولا اعتداء لا ينافي البرور. التحرير والتنوير لابن عاشور:(٣١٤/٧).

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾. قيل: مُلكهما، وقيل: ما فيهما من الخلق وقيل: رأى من ملكوت السماوات والأرض ما قصه الله في هذه الآية ومعنى نُري أريناه: حكاية حال ماضية. قوله: ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ أي: أريناه ذلك ليكون من الموقنين وقد كان آزر وقومه يعبدون الأصنام والكواكب والشمس والقمر، فأراد أن ينبههم على الخطأ.

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ جَنَّ ﴾ ... أظلم. ﴿ ٱلْآفِلِينَ ﴾ ... الغائبين.

قوله: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ ﴾ أي ستره بظلمته، ومنه الجنة والمجن والجن كله من الستر، ﴿ رَءَا كَوْكَبًا ﴾ قيل: رآه من شق الصخرة الموضوعة على رأس السرب الذي كان فيه وقيل: رآه لما أخرجه أبوه من السرب وكان وقت غيبوبة الشمس قيل: رأى المشتري وقيل: الزهرة. قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ وفيها أقوال:

١. قيل: جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: فماذا قال عند رؤية الكوكب؟
٢. وقيل: كان هذا منه عند قصور النظر؛ لأنَّه في زمن الطفولية.

٣. وقيل: أراد قيام الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه؛ لأجل إلزامهم.

٤. وقيل: هو على حذف حرف الاستفهام: أي أهذا ربي؟ ومعناه إنكار أن يكون مثل هذا رباً، ومثله قوله تعالى:﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأنبياء: ٣٤.

قوله: ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ ﴾ أي: غرب قال إبراهيم ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ أي: الآلهة التي تغرب، فإن الغروب تغير من حال إلى حال، وهو دليل الحدوث.

أي: على وجه التَنَزُّل مع الخصم؛ أي: هذا ربي، فهَلُمَّ ننظر هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليلٌ على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه بغير حجة ولا برهان. تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي:(ص:٢٦٢).

تدبر: لماذا لا يستحق العبادة من كان يأفل ويغيب عن معبوده؟

الذي يغيب ويختفي عَمَّن عبده؛ فإن المعبود لا بُدَّ أن يكون قائماً بمصالح من عبده، وَمُدَبِّرًا له في جميع شؤونه، فأما الذي يمضي وقتٌ كثيرٌ وهو غائبٌ فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخاذه إلهاً إلا من أَسْفَهِ السَّفَهِ، وأبطل الباطل؟!

تيسير الكريم الرحمن، تفسير السعدي:(ص:٢٦٢).

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَفَلَ ﴾... غاب.

قوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾ أي طالعا، ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى ﴾ أي: لئن لم يثبتني على الهداية ويوفقني للحجة ﴿ لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين لا يهتدون للحق فيظلمون أنفسهم ويحرمونها حظها من الخير.

تدبر: ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ "الأنبياء لم يزالوا يسألون الله تعالى الثبات على الإيمان، وكان إبراهيم يقول: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [سورة إبراهيم:٣٥]. معالم التنزيل، تفسير البغوي (٤١/٢).

﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ قيل: هذا الطالع، وقيل: هذا الضوء وقيل: هذا أكبر مما تقدمه من الكوكب والقمر، ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

أي: من الأشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدونها، قال بهذا لما ظهر له أن هذه الأشياء مخلوقة لا تنفع ولا تضر مستدلا على ذلك بأفولها الذي هو دليل حدوثها.

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.

قوله: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ أي: قصدت بعبادتي وتوحيدي الله عز وجل وذكر الوجه؛ لأنه العضو الذي يعرف به الشخص، أو لأنه يطلق على الشخص كله ﴿ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ي: ابتدأ خلقهما، ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلًا إلى الدين الحق.

.....

الحوار مع الأخرين وعدم خوض المسلم إلّا لله وللحق سلطان وقوة (٨٠-٨٣)

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾

قوله: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥ ﴾ أي: وقعت منهم المحاجة له في التوحيد بما يدل على ما يدعونه من أن ما يشركون به ويعبدونه من الأصنام آلهة، فأجاب إبراهيم عليه السلام بما حكاه الله عنه أنه قال: ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ ﴾ أي: في كونه لا شريك له.

القراءات:

١. قرأ نافع بتخفيف نون أتحاجوني.
٢. وقرأ الباقون بتشديدها بإدغام نون الجمع في نون الوقاية.

وجملة ﴿ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ﴾ أي: هداني إلى توحيده وأنتم تريدون أن أكون مثلكم في الضلالة والجهالة وعدم الهداية.

قوله: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ ﴾ قال هذا لما خوفوه من آلهتهم بأنها ستغضب عليه وتصيبه بمكروه، أي إني لا أخاف ما هو مخلوق من مخلوقات الله لا يضر ولا ينفع، والضمير في ﴿ بِهِۦٓ ﴾ يجوز رجوعه إلى الله، وإلى معبوداتهم ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا ﴾ أي: إلا وقت مشيئة ربي بأن يلحقني شيئًا من الضرر بذنب عملته، فالأمر إليه، وذلك منه لا من معبوداتكم الباطلة التي لا تضر ولا تنفع. ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ﴾ أي: إن علمه محيط بكل شيء، فإذا شاء الخير كان حسب مشيئته، وإذا شاء إنزال شر بي كان، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ ﴾ أي: كيف أخاف ما لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يرزق، والحال أنكم لا تخافون ما صدر منكم من الشرك بالله، وهو الضار النافع الخالق الرازق، أورد عليهم هذا الكلام الإلزامي الذي لا يجدون عنه مخلصًا ولا متحولًا، والاستفهام للإنكار عليهم قوله: ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾ شركاء الله، وما نزل عليهم بإشراكها حجة يحتجون بها، فكيف عبدوها واتخذوها آلهة وجعلوها شركاء لله سبحانه؟

قوله: ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ﴾ **المراد بالفريقين** فريق المؤمنين وفريق المشركين: أي إذا كان الأمر على ما تقدم من أن معبودي هو الله المتصف بتلك الصفات، ومعبودكم هي تلك المخلوقات، فكيف تخوفوني بها؟ وكيف أخافها وهي بهذه المنزلة ولا تخافون من إشراككم بالله سبحانه؟ وبعد هذا فأخبروني: أي الفريقين أحق بالأمن وعدم الخوف ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بحقيقة الحال وتعرفون البراهين الصحيحة وتميزونها عن الشبه الباطلة؟

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ يَلْبِسُوٓا۟ ﴾ ... يخلطوا.

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ أي: هم الأحق بالأمن من الذين أشركوا، **ومعنى** ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ لم يخلطوه بظلم. **والمراد بالظلم**: الشرك، لما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية شق

ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إلى الحق ثابتون عليه، وغيرهم على ضلال وجهل.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

والإشارة بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ إلى ما تقدم من الحجج التي أوردها إبراهيم عليهم: ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي أعطيناه إياها وأرشدناه إليها، ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي: حجة على قومه ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ بالهداية والإرشاد إلى الحق وتلقين الحجة، أو بما هو أعم من ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أي: حكيم في كل ما يصدر عنه ﴿عَلِيمٌ﴾ بحال عباده، وأن منهم من يستحق الرفع ومنهم من لا يستحقه.

تدبر: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، وضح ذلك في ضوء الآية ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾؟

جزينا إبراهيم عليه السلام على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين. تفسير الطبري:(١١/٥٠٧).

وكيف يرفع العبد درجات؟

نرفع درجات من نشاء بالعلم، والفهم، والفضيلة، والعقل؛ كما رفعنا درجات إبراهيم حتى اهتدى، وحاج قومه في التوحيد. تفسير البغوي(٢/٤١).

.....

مكافأة الله لإبراهيم عليه السلام أن جعل جمع الأنبياء بعده من ذريته إكرامًا من الله لإخلاصه (٨٤-٩٠)

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ والمعنى: ووهبنا ذلك جزاء له على الاحتجاج في الدين وبذل النفس فيه، ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ أي: كل واحد منهما هديناه، وكذلك نوحًا ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ **قيل**: من ذرية نوح، **وقيل**: من ذرية إبراهيم. **واعترض على القول الثاني** بأنَّه عدَّ من هذه الذُّريَّة يونس ولوطًا، وما كانا من ذرية إبراهيم، فإن لوطًا هو ابن أخي إبراهيم، **قوله**: ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إبراهيم، والإشارة بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي ومثل ذلك الجزاء ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٥].

الأقوال في إلياس قيل: هو من ولد إسماعيل، وقيل: هو من سبط يوشع بن نون. وقيل: إلياس هو الخضر. وقيل: هو إدريس، وهذا غير صحيح؛ لأن إدريس جد نوح وإلياس من ذريته [أقول]: قول الشوكاني: أن إدريس جد نوح هذا غير صحيح فبعثت نوح قبل إدريس بنص القرآن ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ في أكثر من آية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٦].

الأقوال في اليسع: هو إلياس وهو وهم، فإن الله أفرد كل واحد منهما، وقيل: اليسع صاحب إلياس، وكانوا قبل يحيى وعيسى وزكريا وقيل: هو الخضر. ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: كل واحد فضلناه بالنبوة على عالمي زمانه.

عن عبد الملك بن عمير قال: دخل يحيى بن يعمر على الحجاج فذكر الحسين، فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبيﷺ، فقال يحيى: كذبت [**أخطأت على لغة الحجاز**]، فقال: لتأتيني على ما قلت ببينة، فتلا ومن ذريته إلى قوله: وعيسى فأخبر الله أن عيسى من ذرية آدم بأمه، فقال: صدقت.

فائدة: قال أبو حنيفة والشافعي: من وقف وقفًا على ولده، وولد ولده، أنَّه يدخل فيه ولد ولده، وولد بناته ما تناسلوا. وكذلك إذا أوصى لقرابته يدخل فيه ولد البنات. تفسير القرطبي (٧/ ٣٢).

تدبر: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ كان هذا مجازاة لإبراهيمعليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله في الأرض، **فعوضه الله** عز وجل عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه؛ لتقر بهم عينه. تفسير ابن كثير(٢/١٤٧).

﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ ﴾... اصطفيناهم.

قوله: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ أي هدينا، ومن للتبعيض: أي هدينا بعض آبائهم وذرياتهم وأزواجهم ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ ﴾ الاجتباء: الاصطفاء، أو التخليص، أو الاختيار.

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى الهداية والتفضيل والاجتباء ﴿ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ وهم الذين وفقهم للخير واتباع الحق ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾ أي: هؤلاء المذكورون بعبادة غير الله ﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

﴿ لَحَبِطَ عَنْهُم ﴾ أي: أبطلنا من حسناتهم ﴿ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ .

تدبر: وضح خطورة الشرك ولو وقع من كبار العباد والصالحين في ضوء قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾؟

يقول ابن سعدي: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ؛ فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار، فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار لو أشركوا [وحاشاهم] لحبطت أعمالهم، فغيرهم أولى[1]. ولو عبدوا غيري لَحَبطت أعمالُهم، ولكني عصمتهم[2].

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الإشارة إلى الأنبياء المذكورين سابقا: ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: جنس الكتاب ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ العلم ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ الرسالة ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الضمير في بها: للحكم والنبوة والكتاب، أو للنبوة فقط، والإشارة بهؤلاء إلى كفار قريش المعاندين لرسول الله ﷺ: ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا ﴾ أي: ألزمنا بالإيمان بها قومًا {ليسوا بها بكافرين} قيل: هم المهاجرون والأنصار، وقيل: الأنبياء المذكورون سابقًا، وهذا أولى؛ لقوله فيما بعد ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾.

(١) تفسير الكريم الرحمن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (ص:٢٦٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي(٤٥١/٨).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ٱقۡتَدِهۡ ﴾.... اقتد واتبع.

قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ الإشارة إلى الأنبياء المذكورين لا إلى المهاجرين والأنصار إذ لا يصح أن يؤمر النبيﷺ بالاقتداء بهداهم. **والاقتداء**: طلب موافقة الغير في فعله. **وقيل المعنى**: اصبر كما صبروا **وقيل**: اقتد بهم في التوحيد، وإن كانت جزئيات الشرائع مختلفة، وهذا الاقتداء فيما لم يرد عليه فيه نص. قوله: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ لا أسألكم أجرًا على القرآن، وأن يقول لهم: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ ﴾ يعني: القرآن ﴿ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ أي: موعظة وتذكير للخلق كافة.

.....

كُتب الله تعالى والقرآن هداية للبشر، والرد على منكري الرسالات (٩١-٩٢)

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾. حق تعظيمه. ﴿ خَوۡضِهِمۡ ﴾. حديثهم الباطل.

سبب نزول الآية: عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ قال: هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله، فمن آمن أن الله على كل شيء قدير قد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، إذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء.

قالت اليهود[1]: يا محمد أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: نعم، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتابًا، فأنزل الله قل (يا محمد) ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾إلى آخر الآية.

قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ أي: لم يعرفوه حق معرفته حيث أنكروا إرساله للرسل، وإنزاله للكتب. قوله:﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ هم يعترفون بذلك ويذعنون له. قيل القائلون: هم اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمدﷺ. وقيل: إن القائلين: هم كفار قريش، فيكون إلزامهم بإنزال الله الكتاب على موسى من جهة أنهم يعترفون بذلك ويعلمونه بالأخبار من اليهود. قوله: ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ ﴾ أي: تجعلون التوراة الذي جاء به موسى في قراطيس تضعونه فيها؛ ليتم لكم ما تريدونه من التحريف، والتبديل، وكتم صفة النبيﷺ المذكورة فيه، وهذا ذم لهم، ﴿ تُبْدُونَهَا ﴾ تظهرون بعض التوراة، ﴿ وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ أي: وتخفون كثيراً من التوراة.

قوله: ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الخطاب لليهود، أي: والذي علموه هو الذي أخبرهم به نبينا محمدﷺ من الأمور التي أوحى الله إليه بها، فإنها اشتملت على ما لم يعلموه من كتبهم ولا على لسان أنبيائهم ولا علمه آباؤهم، ثم أمر الله رسوله بأن يجيب عن ذلك الإلزام الذي ألزمهم به حيث قال: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾ فقال:﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي أنزله الله ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: ذرهم في باطلهم يصنعون صنع الصبيان الذين يلعبون.

---

(١) القائل: هو فنحاص اليهودي: وقيل: مالك بن الصيف.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

قوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ﴾ يعني على محمدﷺ فكيف تقولون: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ومبارك ومصدق: صفتان لكتاب، والمبارك: كثير البركة، والمصدق: كثير التصديق، قوله: ﴿ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ما أنزله الله من الكتب على الأنبياء من قبله كالتوراة والإنجيل، فإنه يوافقها في الدعوة إلى الله وإلى توحيده وإن خالفها في بعض الأحكام. قوله: ﴿ وَلِتُنذِرَ ﴾ أنزلناه للبركات ولتنذر، ﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾ وخص أم القرى وهي مكة؛ لكونها أعظم القرى شأنا، ولكونها أول بيت وضع للناس، ولكونها قبلة هذه الأمة ومحل حجهم، فالإنذار لأهلها مستتبع لإنذار سائر أهل الأرض والمراد ﴿ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ جميع أهل الأرض﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ مِن حق مَن صدق بالدار الآخرة أن يؤمن بهذا الكتاب ويصدقه ويعمل بما فيه، لأن التصديق بالآخرة يوجب قبول من دعا الناس إلى ما ينال به خيرها ويندفع به ضرها، وجملة قوله: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ وخص المحافظة على الصلاة من بين سائر الواجبات لكونها عمادها وبمنزلة الرأس لها.

خسران الكافرين والموت هو أول باب من أبواب الحساب، وتبرؤ الخلق من بعضهم بعضًا لشدة الحساب وهوله (٩٣-٩٤).

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ غَمَرَٰتِ ﴾ أهوال.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً فزعم أنه نبي وليس بنبي، أو كذب على الله في شيء من الأشياء ﴿ أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ أي: والحال أنه لم يوح إليه شيء، وقد صان الله أنبياءه عما تزعمون عليهم، وإنما هذا شأن الكذابين رؤوس الإضلال كمسيلمة الكذاب والأسود العَنْسِي وسَجاح.

قوله: ﴿ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ معطوف على ﴿ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ أي: ومن أظلم ممن افترى أو ممن قال: أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، أو ممن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وهم القائلون: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ الأنفال: ٣١. وقيل: هو عبد الله بن أبي سرح، فإنه كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فأملى عليه رسول الله ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ المؤمنون: فقال عبد الله: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ المؤمنون فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» فشك عبد الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إلي كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال، ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، ثم أسلم يوم الفتح كما هو معروف.

قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح له، والمراد كل ظالم، ويدخل فيه الجاحدون لما أنزل الله، والمدعون للنبوات افتراء على الله دخولاً أولياً. قوله: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: لقبض أرواح الكفار وقيل: للعذاب، وفي أيديهم مطارق الحديد، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٠].

قوله: ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾:

١. من هذه الغمرات التي وقعتم فيها.

٢. من أيدينا وخلصوها من العذاب.

٣. من أجسادكم وسلموها إلينا لنقبضها.

يقول البغوي: "نفس المؤمن تنشط للقاء ربه، ونفس الكافر تكره ذلك"(١).

قوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ أي: اليوم تجزون عذاب الهوان الذي تصيرون به في إهانة وذلة بعد ما كنتم فيه من الكبر والتعاظم. قوله: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: بسبب قولكم هذا من إنكار إنزال الله كتبه على رسله والإشراك به.

قوله: ﴿ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن التصديق لها والعمل بها فكان ما جوزيتم به من عذاب الهون جزاءً وفاقًا.

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ ﴾ ملكناكم من متاع الدنيا. ﴿ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ زال تواصلكم.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ ﴾ قرأ أبو حَيوَةَ «فرادًى» بالتنوين، وهي لغة تميم، وقرأ الباقون بألف التأنيث للجمع فلم ينصـــرف. وحكى ثعلب «فراد» بلا تنوين مثل: ثلاث ورباع، والمعنى: جئتمونا منفردين واحدًا واحدًا كل واحد منفرد عن أهله وماله وما كان يعبده من دون الله فلم ينتفع بشيء من ذلك ﴿ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ أي: على الصفة التي كنتم عليها عند خروجكم من بطون أمهاتكم، ﴿ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ أي: تركتم ما أعطيناكم خلفكم لم تأتونا بشيء منه ولا انتفعتم به بوجه من الوجوه ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ وأي: عبدتموهم وقلتم: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤٧/٢).

﴿ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا ﴾ أي: لله يستحقون منكم العبادة كما يستحقها. ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ قرأ نافع والكسائي وحفص بنصب **بينَكم**، أي: تقطع الوصل بينكم، أنتم وشركاؤكم كما يدل عليه: ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ﴾

القراءات:

١. قرأ الباقون بالرفع على إسناد التقطع إلى البين، أي: وقع التقطع بينكم.
٢. وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لقد تقطع ما بينكم على إسناد الفعل إلى ما، أي: الذي بينكم ﴿ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ من الشركاء والشرك، وحيل بينكم وبينهم.

.....

كل ما في الكون دلالات واضحات على قدرة الله تعالى وأن الإنسان محور أحداث الحياة الدنيا، وهو مكلف ومختبر (٩٥-٩٩).

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ فَالِقُ ٱلْحَبِّ ﴾ الذي يشق الحب، فيخرج الزرع منه. ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ تُصرفون عن الحق.

قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ هذا شروع في تعداد عجائب صنعه تعالى وذكر ما يعجز آلهتهم عن أدنى شيء منه، والفلق: الشق.

١. الله فالق الحب فيخرج منه النبات، وفالق النوى فيخرج منه الشجر.
٢. وقيل: فالق الحب والنوى الشق الذي فيهما من أصل الخلقة.

٣. وقيل: معنى فالق خالق. والنوى: جمع نواة يطلق على كل ما فيه عجم كالتمر والمشمش والخوخ.

قوله: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ يخرج الحيوان من مثل النطفة والبيضة وهي ميتة.

ومعنى ﴿ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ مخرج النطفة والبيضة وهي ميتة من الحي. ومنه إخراج المؤمن من الكافر بالولادة، ويخرج الكافر من المؤمن كذلك.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ﴾ إشارة إلى صانع ذلك الصنع العجيب المذكور سابقًا. ﴿ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ كيف تُصرَفون عن الحق مع ما ترون من بديع صنعه وكمال قدرته. وقيل: كيف تكذبون.

﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾ الذي يشق ضياء الصبح.

﴿ حُسۡبَانٗا ﴾ بحساب مقدر.

القراءات: في قوله: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ ﴾

١. قرأ الحسن وعيسى بن عمر: فالق «الأَصباح» بفتح الهمزة، أي: جمع صبح.
٢. وقرأ الجمهور بكسرها، مصدر أصبح، والصبح: أول النهار، وكذا الإصباح.
٣. وقرأ النخعي «فلق الإصباح» بفعل وهمزة مكسورة.

والمعنى في فالق الإصباح:

١. أنه شاق الضياء عن الظلام وكاشفه.
٢. على تقدير حذف مضاف: أي فالق ظلمة الإصباح، وهي الغبش.
٣. فالق عمود الفجر عن بياض النهار؛ لأنه يبدو مختلطًا بالظلمة ثم يصير أبيض خالصًا.

القراءات في قوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ﴾:

١. قرأ الحسن وعيسى ابن عمر وعاصم وحمزة والكسائي ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ﴾ حملًا على معنى فالق عند حمزة والكسائي، وأما عند الحسن وعيسى فعطفًا على فلق.

٢. قرأ الجمهور و{جاعلُ} عطفاً على فالق.

٣. وقرئ {فالقَ وجاعلَ} بنصبهما على المدح.

٤. وقرأ يعقوب «وجاعلُ الليلِ ساكنًا».

والسكن: محل السكون؛ لأنَّه يسكن فيه الناس عن الحركة في معاشهم ويستريحون من التعب والنصب.

قوله: ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا ﴾ جعلهما محل حساب تتعلق به مصالح العباد، وسيرهما على تقدير لا يزيد ولا ينقص، ليدل عباده بذلك على عظيم قدرته وبديع صنعه وقيل: الحسبان: الضياء، وقيل: النار، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الكهف: ٤٠.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ أي: ومن جملة معلوماته تسييرهما على هذا التدبير المحكم. ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ﴾: القاهر الغالب. ﴿ ٱلۡعَلِيمِ ﴾: كثير العلم.

تدبر: على ماذا تدل قدرة الله تعالى على خلق الأشياء المتضادة؟

فَبَيَّنَ تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة، الدَّالَّة على كمال عظمته. تفسير ابن كثير(٢/١٥٠).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

قولـه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا ﴾ أي خلقهـا للاهتـداء بهـا ﴿ فِى ظُلُمَٰتِ ﴾ الليل عند المسـير ﴿ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ عند اشـتباه طرقهما التي لا يهتدى فيها إلا بالنجوم، وهذه إحدى منافع النجوم التي خلقها الله لها، ومن منافع النجوم: ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ الصـافات: ٧ ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴿٥﴾ ﴾ الملك: ٥ ومنها: أن النجوم جعلها الله زينة للسماء، ومن زعم غير هذه الفوائد فقد أعظم على الله الفرية ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ ﴾ لتكون أبلغ في الاعتبار ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ قدرةُ الله وعظمته وبديع حكمته. وعن عمر بن الخطابﷺ قال: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا، فإنها والله ما خلقت إلا زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها.

وقد ورد في استحباب مراعاة الشمس والقمر لذكر الله سبحانه، لا لغير ذلك أحاديث، منها عند الحاكم وصححه عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر لذكر الله».

تدبر: ما المشروع في علم النجوم في ضوء قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾؟

"ودلت هذه الآية ونحوها على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها، الذي يُسَمَّى علمَ التسيير؛ فإنَّه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك". تفسير السعدي(ص:٢٦٦).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ رحم المرأة، تستقر فيه النطفة. ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ صلب الرجل، تحفظ فيه النطفة.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ أي: آدم عليه السلام.

{فمستقِر} قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وأبو عمرو وعيسى والأعرج والنخعي بكسر القاف. **فيكون معناها**: فمنكم مستقِر على ظهر الأرض.

{فمستقَر} والباقون بفتحها، فيكون معناها: فلكم مستقر على ظهرها.

﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾: قيل: فلكم مستقر على ظهر الأرض ما دمتم أحياء، ومستودع بعد موتكم في باطن الأرض. وقيل: المستقر ما كان في الرحم، والمستودع ما كان في الصلب، وهذا ما عليه أكثر التفسير كما قاله القرطبي.

تدبر: لماذا ختمت آية خلق الأنفس بـ ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ وآية خلق النجوم بـ ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾؟

وذكر سبحانه هاهنا ﴿ يَفْقَهُونَ ﴾ وفيما قبله ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾؛ لأنَّ في إنشاء الأنفس من نفس واحدة وجعل بعضها مستقراً وبعضها مستودعًا من الغموض والدقة ما ليس في خلق النجوم للاهتداء، فناسبه ذكر الفقه لإشعاره بمزيد تدقيق وإمعان فكر.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ خَضِرًا ﴾ زرعا، وشجرًا أخضر. ﴿ نُّخْرِجُ مُّتَرَاكِبًا ﴾ يركب بعضه فوق بعض. ﴿ طَلْعِهَا ﴾ ما تنشأ فيه عذوق الرطب. ﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ عذوق قريبة التناول. ﴿ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾ نضجه، وبلوغه حين يبلغ.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ هو ماء المطر. ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم؛ إظهاراً للعناية بشأن هذا المخلوق. ﴿ بِهِۦ ﴾ الضمير عائد إلى الماء، ﴿ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ يعني: كل صنف من أصناف النبات المختلفة وقيل: رزق كل شيء، والتفسير الأول أولى. ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ الخضر: رطب البقول، وقيل: القمح والشعير والذرة والأرز وسائر الحبوب ﴿ نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ أي: مُرَكَّبًا بعضه على بعضه كما في السنابل.

القراءات في قِنوان، من قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ وقرئ بضم القاف وفتحها. والمعنى: أن الله يخرج من طلع النخل عُذوقه، والعذق هو عنقود النخل، والدانية: القريبة التي ينالها القائم والقاعد. قال الزجاج: المعنى: منها دانية، ومنها بعيدة فحذف، ومثله ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ النحل: وخص الدانية بالذكر؛ لأنَّ الغرض من الآية بيان القدر والامتنان، وذلك فيما يقرب تناوله أكثر.

قوله: ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾:

١. **{جناتٌ}** قرأ بها محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى والأعمش وعاصم في قراءته الصحيحة عنه. رفعت بالابتداء، والخبر محذوف: أي ولهم جنات.

٢. **{جناتٍ}** وقرأ الباقون بالنصب. معطوف على نبات كل شيء أي: وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب.

قوله: ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ قيل: كل واحد منهما يشبه بعضه بعضًا في بعض أوصافه ولا يشبه في البعض الآخر. وخص الزيتون والرمان؛ لقرب منابتهما من العرب كقوله: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ الغاشية، ثم أمرهم سبحانه بأن ينظروا نظر اعتبار إلى ثمره إذا أثمر وإلى ينعه إذا أينع. والثمر في اللغة: جَنَى الشَّجر. واليانع: الناضج الذي قد أدرك وحان قطافه.

القراءت:

١. قرأ حمزة والكسائي **{ثُمُرِه}** بضم الثاء والميم.

٢. وقرأ الباقون **{ثَمَرِه}** بفتحهما، إلا الأعمش فإنه قرأ **{ثُمْرِه}** بضم الثاء وسكون الميم تخفيفًا.

قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره مجملاً ومفصلاً ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بالله استدلالاً بما يشاهدونه من عجائب مخلوقاته التي قصها عليهم.

تدبر: لماذا خص عذوق النخل الدانية بالذكر ﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾؟

"وخص الدانية بالذكر؛ لأن الغرض في الآية ذكر القدرة، والامتنان بالنعمة، والامتنان فيما يقرب متناوله أكثر". تفسير القرطبي(٨/٤٧٢).

تدبر: ما النظر المأمور به في الآية الكريمة ﴿ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ﴾؟

"نظر الاعتبار، لا نظر الإبصار المجرد عن التفكر". تفسير القرطبي(٨/٤٧٢).

تدبر: لماذا خص المؤمنين بالإفادة من آيات الله دون غيرهم في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾؟

"فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان على العمل بمقتضياته ولوازمه؛ التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منه، وما تدل عليه عقلاً، وفطرة، وشرعًا". تفسير السعدي (ص:٢٦٧).

.....

وحدانية الله تعالى وحقه على خلقه، وخطورة الشرك، ومن خلق هو من يستحق العبادة وله المُلك (١٠٠-١٠٥).

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿وَخَرَقُوا﴾... اختلقوا وافتروا له سبحانه.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ أي: أنَّهم جعلوا شركاء لله فعبدوهم كما عبدوه، وعظموهم كما عظموه. وقيل: المراد بالجن هاهنا الملائكة لاجتنانهم: أي استتارهم، وهم الذين قالوا: الملائكة بنات الله. قوله: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أي: وقد علموا أن الله خلق الجن، أو خلق ما جعلوه شريكا لله. قوله: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ أي: اختلقوا واخترعوا؛ لأنَّ المشركين ادعوا أن الملائكة بنات الله، والنصارى ادعوا أن المسيح ابن الله، واليهود ادعوا أن عزيزا ابن الله. قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بل قالوا: ذلك عن جهل خالص، ثم بعد حكاية هذا الضلال البين والبهت الفظيع من جعل الجن شركاء لله، وإثبات بنين وبنات له نزه الله نفسه، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تنزيهًا له وتقديسًا، ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ تباعد وارتفع ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عن قولهم الباطل الذي وصفوه به.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ بَدِيعُ ﴾... خالق، ومبدع.

قوله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي: مبدعهما [على غير مثال سبق] قوله: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ ﴾ أي: فكيف يجوز أن يكون له ولد، أي: من كان هذا وصفه، وهو أنه خالق السماوات والأرض وما فيهما كيف يكون له ولد؟ ثم بالغ في نفي الولد، فقال: ﴿ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ ﴾ أي: كيف يكون له ولد والحال أنه لم تكن له صاحبة، والصاحبة إذا لم توجد استحال وجود الولد، وجملة ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ من كان خالقًا لكل شيء، استحال منه أن يتخذ بعض مخلوقاته ولدًا كالملائكة والمسيح وعزير ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ لا تخفى عليه من مخلوقاته خافية.

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ ﴾

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ﴾ أي: المتصف بالأوصاف العلية السابقة، هو ربكم لا رب لكم غيره من الأصنام والأنداد قوله: ﴿ فَٱعۡبُدُوهُ ﴾ أي: من كانت هذه صفاته، فهو الحقيق بالعبادة، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن ليس له من هذه الصفات العظيمة شيء.

تدبر: ما الفرق بين وكالة الله على الأشياء ووكالة الناس عليها؟

وكالته تعالى على الأشياء ليست من جنس وكالة الخلق؛ فإن وكالتهم وكالة نيابة، والوكيل فيها تابع لموكله، وأما الباري تبارك وتعالى فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه والعدل، فلا يمكن لأحدٍ أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خللًا ولا فطورًا، ولا في تدبيره نقصًا وعيبًا. تفسير السعدي(ص:٢٦٨).

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾... يبصرها، ويحيط بها علمًا.

قوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ قال الزجاج: أي لا تبلغ كنه حقيقته، **فالمنفي هو هذا الإدراك لا مجرد الرؤية.** أما الرؤية فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترًا لا شك فيه ولا شبهة، والتقدير: لا تدركه كل الأبصار بل بعضها، وهي أبصار المؤمنين. ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾ [القيامة:٢٢- ٢٣].

قوله: ﴿ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ أي: يحيط بها، ويبلغ كنهها، لا تخفى عليه منها خافية. ﴿ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ المختبر بكل شيء بحيث لا يخفى عليه شيء.

﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ بَصَآئِرُ ﴾... براهين.

قوله: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ البصائر: حجج وبينات وبراهين واضحة، **ووصف البصائر بالمجيء** تفخيمًا لشأنها وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه. **قوله:** ﴿ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦ ﴾ أي: فمن تعقل الحجة وعرفها وأذعن لها فنَفعُ ذلك لنفسه؛ لأنَّه ينجو بهذا الإبصار من عذاب النار ﴿ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَا ﴾ عن الحجة ولم يتعقلها ولا أذعن لها، فضرر ذلك على نفسه؛ لأنَّه يتعرض لغضب الله في الدنيا ويكون مصيره النار.

قوله: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴾ أي: برقيب أحصي عليكم أعمالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم. قال الزجاج: نزل هذا قبل فرض القتال ثم أمر أن يمنعهم بالسيف عن عبادة الأوثان.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ نُصَرِّفُ ﴾ نبين. ﴿ دَرَسۡتَ ﴾ تعلمت.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ في الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه.

القراءات في (دَرَسْتَ) من قوله: ﴿ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ ﴾

١. قرأ أبو عمرو وابن كثير «دارستَ» بألف بين الدال والراء. فيكون المعنى دارست أهل الكتاب ودارسوك: أي ذاكرتهم وذاكروك. كقوله: ﴿ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ ٤ ﴾ الفرقان: ٤. وقولهم: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ ١٠٣ ﴾ النحل: ١٠٣.

٢. قرأ ابن عامر «درسَتْ» بفتح السين وإسكان التاء وهي قراءة الحسن. أي: قَدَّمت هذه الآيات وعفت وانقطعت، وهو كقولهم: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾.

٣. وقرأ الباقون «درسَتَ» هي بمعنى دارست إلا أنه أبلغ.

قوله: ﴿ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ اللام هنا لام كي: أي: نصرف الآيات لكي نبينه لقوم يعلمون، والضمير راجع إلى الآيات؛ لأنها في معنى القرآن، أو إلى القرآن وإن لم يجر له ذكر؛ لأنَّه معلوم من السياق أو إلى التبيين المدلول عليه بالفعل.

.....

مقدمة في حوار مع المشركين، ولا حجة للخلق على ربهم بعد البلاغ، ومن اهتدى فلنفسه (١٠٦-١٠٨).

﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ ﴾

تدبر: ما الأمر الذي ينبغي أن تَشغَل به نفسك في هذه الحياة في ضوء قول الله: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾؟ أمره الله باتباع ما أوحي إليه وأن لا يشغل خاطره بهم، بل يشتغل باتباع ما أمره الله. قوله: ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ أمره الله بالإعراض عن المشركين بعد ما أمره باتباع ما أوحي إليه، وهذا قبل نزول آية السيف.

﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ١٠٧ ﴾

قوله: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ ﴾ أي: لو شاء الله عدم إشراكهم ما أشركوا، وفيه أن الشرك بمشيئة الله سبحانه. قوله: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ أي: رقيبًا ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾ أي: قيم بما فيه نفعهم فتجلبه إليهم، ليس عليك إلا إبلاغ الرسالة.

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ عَدۡوَۢا ﴾.. اعتداء.

قوله: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ لا تسب يا محمد آلهة هؤلاء الكفار التي يدعونها من دون الله، فيتسبب عن ذلك سبهم لله عدوانًا وتجاوزًا عن الحق وجهلًا منهم.

قاعدة في تغير المنكر: دلت الآية على أن الداعية إلى الحق إذا خشي أن يتسبب في منكر أشد من المنكر المراد تغيره كان الترك أولى به، بل كان واجبًا عليه.

وقال ابن عطية: فمتى كان الكافر في منعة، وخِيف أن يُسبَ الإسلام أو النبيﷺ والله عز وجل؛ فلا يحل للمسلم أن يسب دينهم، ولا صلبانهم، ولا يتعرض ما يؤدي إلى ذلك، أو نحوه. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٣٢/٢).

قال الجمهور: هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة، وهي أصل في سد الذرائع.

القراءات:

١. قرأ أهل مكة «عُدُوًّا» بضم العين والدال وتشديد الواو، وهي قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة.

٢. قرأ من عداهم «عَدُوًّا» بفتح العين وضم الدال وتشديد الواو. ومعنى القراءتين واحد: أي: ظلمًا وعدوانًا.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: قالوا يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوًا بغير علم. وقد ثبت في الصحيح أن رسول اللهﷺ قال: «ملعون من سب والديه، قالوا: يا رسول الله! وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه».

قوله: ﴿ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ﴾ أي: مثل ذلك التزيين زينَّا لكل أمة من أمم الكفر عملهم من الخير والشر ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: ٨.

قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ في الدنيا من المعاصي التي لم ينتهوا عنها، ولا قبلوا من المرسلين ما أرسلهم الله به إليهم، وما تضمنته كتبه المنزلة عليهم.

تدبر: استنبط العلماء من قول الله ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ قاعدة شرعية عظيمة، فما هي؟

في هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية؛ وهي: أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم ولو كانت جائزة، تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر. تفسير السعدي (ص:٢٦٩).

تدبر: متى تقتضي الحكمة عدم سب آلهة الكفار في ضوء الآية؟

فمتى كان الكافر في منعة، وخيف أن يُسب الإسلام، أو النبيﷺ والله عز وجل؛ فلا يحل للمسلم أن يسب دينَهم، ولا صلبانَهم، ولا يتعرض ما يؤدي إلى ذلك، أو نحوه. تفسير ابن عطية:(٢/٣٣٢).

.....

ادعاءات المشركين للتهرب من الحق، ولا يحل للمسلم أن يكون سببًا لانتقاص شعائر الله من قِبل الكافرين (١٠٩-١١١).

﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ ﴾

السراج في غريب القرآن: ﴿ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ بأيمان مؤكدة. ﴿ يُشۡعِرُكُمۡ ﴾ يدريكم.

سبب نزول الآية:

١. عن ابن عباس قال: نزلت ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾ في قريش وما يشعركم يا أيها المسلمون أنها إذا جاءت لا يؤمنون.

٢. عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول اللهﷺ قريشًا فقالوا: يا محمد! تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى، وأن ثمود لهم ناقة، فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول اللهﷺ «أي شيء تحبون أن آتيكم به»؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا، قال: «فإن فعلت تصدقوني»؟ قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون، فقام رسول اللهﷺ يدعو، فجاءه جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهبًا فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فقال: «بل يتوب تائبهم»، فأنزل الله وأقسموا بالله جهد أيمانهم إلى قوله: يجهلون.

قوله: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي: أقسم الكفار بالله أشد أيمانهم التي بلغتها قدرتهم، وقد كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، فلهذا أقسموا به، وأقسموا لئن جاءتهم آية اقترحوها على رسول اللهﷺ، ليؤمنن بها وليس غرضهم الإيمان، بل معظم قصدهم التحكم على رسول اللهﷺ والتلاعب بآيات الله، فأمره الله سبحانه أن يجيب عليهم **بقوله:** ﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هذه الآية التي يقترحونها وغيرها وليس عندي من ذلك شيء، فهو سبحانه إن أراد إنزالها أنزلها، وإن أراد أن لا ينزلها لم ينزلها.

قوله: ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

١. الخطاب في الآية للمشركين أن الآيات إذا جاءت لا يؤمنون.

٢. الخطاب للمؤمنين، لأن المؤمنين قالوا للنبيﷺ: يا رسول الله! لو نزلت الآية لعلهم يؤمنون، **فقال الله تعالى:** ﴿ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾.

القراءات:

١. قرأ أبو عمرو وابن كثير بكسر الهمزة من **«أنها»** وهي قراءة مجاهد.

٢. وقرأ أهل المدينة والأعمش وحمزة والكسائي وعاصم وابن عامر **«أنها»** إذا جاءت بفتح الهمزة، قال الخليل: أنها بمعنى لعلها.

اختلف العلماء في كلمة (لا) في قوله: ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ هل هي زائدة أم لا؟

١. قال الكسائي والفراء: إن لا زائدة، والمعنى: وما يشعركم أنها: أي الآيات، إذا جاءت يؤمنون فزيدت كما زيدت في قوله: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٥.

٢. وضعف الزجاج والنحاس وغيرهما زيادة لا وقالوا: هو غلط وخطأ، وذكر النحاس وغيره أن في الكلام حذفًا والتقدير: أنها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون، ثم حذف هذا المُقَدَر لعلم السامع.

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾... يتحيرون.

قوله: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾.

١. يوم القيامة على لهب النار وحر الجمر.

٢. في الدنيا نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية، كما حلنا بينهم وبين ما دعوتهم إليه أول مرة عند ظهور المعجزة.

قوله: ﴿ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ في الدنيا ﴿ وَنَذَرُهُمْ ﴾ في الدنيا أي: نمهلهم ولا نعاقبهم. ونذرهم في طغيانهم يعمهون: أي يتحيرون.

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَحَشَرْنَا ﴾ جمعنا. ﴿ قُبُلًا ﴾... مواجهة.

عن قتادة وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلًا أي: فعاينوا ذلك معاينة.

قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ أي: لا يؤمنون ولو نزَّلنا إليهم الملائكة كما اقترحوه بقولهم: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴿٨﴾ ﴾ الأنعام: ٨. قوله: ﴿ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ الذين يعرفونهم بعد إحيائنا لهم، فقالوا لهم: إن هذا النبي صادق مرسل من عند الله فآمنوا به، لم يؤمنوا ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا ﴾ مما سألوه من الآيات {قُبُلًا} أي كُفُلًا وضِمْنًا بما جئناهم به من الآيات البينات. هذا على قراءة من قرأ «قُبُلًا» بضم القاف وهم الجمهور. وقرأ نافع وابن عامر «قِبلًا» بكسرها: أي مقابلة. قوله: ﴿ مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ إيمانهم، فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ جهلًا يحول بينهم وبين إدراك الحق والوصول إلى الصواب.

.....

أهل الباطل أعداء أصحاب الحق (١١٢-١١٣).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ القول الباطل الذي زينه قائلوه.

﴿ غُرُورًا ﴾ خداعًا. ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ يختلقون من كذب وزور.

عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ قال: إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم، فيلتقي شيطان الإنس وشيطان الجن، فيقول هذا لهذا: أضلله بكذا وأضلله بكذا، فهو يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ ﴾ هذا الكلام لتسلية رسول اللهﷺ ودفع ما حصل معه من الحزن بعدم إيمانهم، والمعنى: كما ابتليناك بهؤلاء فقد ابتلينا الأنبياء من قبلك بقوم من الكفار. قوله: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ المراد بالشياطين: المردة من الفريقين. وجملة ﴿ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي: يوسوس بعضهم لبعض، وسمي وحيًا؛ لأنَّه إنما يكون خفية بينهم، وجَعَلَ تمويهم ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ لتزيينهم إياه، والمزخرف: المزين. ﴿ غُرُورًا ﴾ والغرور: الباطل [يخدع به بعضهم بعضًا]. قوله: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي: لو شاء ربك عدم وقوع ما تقدم ذكره ما فعلوه وأوقعوه وقيل: ما فعلوا الإيحاء المدلول عليه بالفعل. ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ أي: اتركهم، وهذا الأمر لتهديد للكفار كقوله: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ المدثر: ١١. ﴿ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ إن كانت ما مصدرية فالتقدير: اتركهم وافتراءهم، وإن كانت موصولة فالتقدير: اتركهم والذي يفترونه.

تدبر: هل في الإنس شياطين كالجن؟ وأيهم أشد خطرًا؟

قال قتادة ومجاهد والحسن: إن من الإنس شياطين، كما أن من الجن شياطين ... وقال مالك بن دينار: إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن؛ وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا. تفسير البغوي (٥٦/٢).

تدبر: لماذا يهتم أهل الباطل بزخرفة أقوالهم وتجميلها؟

يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات؛ حتى يجعلوه في أحسن صورة؛ ليغتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلًا، والباطل حقًا. تفسير السعدي(٢٦٩-٢٧٠).

﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ ﴾ لتميل. ﴿ وَلِيَقۡتَرِفُواْ ﴾... ليكتسبوا.

قوله: ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ لتصغى [تميل إلى الباطل، وإلى زخرفة شياطين الإنس والجن، قلوب أهل الباطل وعشاق الدنيا]﴿ وَلِيَرۡضَوۡهُ ﴾ لأنفسهم بعد الإصغاء إليه ﴿ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ أي يكتسبوا ما هم مكتسبون من الآثام.

تدبر: مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان، بين ذلك؟

أخبر أن كلام أعداء الرسل تصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة. فعلم أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان؛ فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى إلى زخرف أعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود في أصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمة وغيرها. مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣/٩).

.....

الهداية بتوفيق من الله تعالى، ولا يجوز للمسلم أن يُكلِّم غير الله تعالى في أموره كافة (١١٤-١١٧).

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ ... الشاكين.

قوله: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾ أمَرَه الله سبحانه وتعالى أن ينكر عليهم ما طلبوه منه من أن يجعل بينه وبينهم حكمًا فيما اختلفوا فيه، وإن الله هو الحكم العدل بينه وبينهم. قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ أي: كيف أطلب حكمًا غير الله وهو الذي أنزل عليكم القرآن مفصلًا مبينًا واضحًا مستوفيًا لكل قضية على التفصيل.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أخبر الله نبيه ﷺ بأن أهل الكتاب وإن أظهروا الجحود والمكابرة، فإنهم يعلمون أن القرآن منزل من عند الله بما دلتهم عليه كتب الله المنزلة كالتوراة والإنجيل من أنه رسول الله وأنه خاتم و﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي: متلبسًا بالحق الذي لا شك فيه ولا شبهة. ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ أي: من الشاكين في أن أهل الكتاب يعلمون بأن القرآن منزل من عند الله بالحق، أو نهاه عن مطلق الشَّك ويكون ذلك تعريضًا لأمته عن أن يشكَّ أحد منهم.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ صِدْقًا ﴾ في الأخبار. ﴿ وَعَدْلًا ﴾ في الأحكام.

القراءات في قوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ قرأ أهل الكوفة: كلمةً، بالتوحيد، وقرأ الباقون: بالجمع، والمعنى: أن الله قد أتم وعده ووعيده، فظهر الحق وانطمس الباطل وقيل: المراد بالكلمة أو الكلمات: القرآن.

﴿ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ أي: صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأوامر والأحكام ﴿ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ لا خلف فيها ولا مغير لما حكم به، ولا تبديل لشيء قاله في الدنيا والآخرة لقوله: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴿٢٩﴾ ﴾ ق: ٢٩ وقيل: أن رسول الله ﷺ قالها يوم فتح مكة والأصنام تتهاوى بين يديه. ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لكل مسموع ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بكل معلوم.

تدبر: ما الأمور التي تحدد مقدار قربك مما جاء به الرسل عليهم السلام؟

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾: فالله تعالى بعث الرسل بالعلم والعدل؛ فكل من كان أتم علمًا وعدلًا كان أقرب إلى ما جاءت به الرسل. مجموع الفتاوى لابن تيمية(٣/٩٣).

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ يَخْرُصُونَ ﴾... يظنون ويكذبون.

قوله: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أخبره الله سبحانه بأن الحق لا يكون إلا بيد الأقلين، وهم الطائفة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[1]. وقيل: المراد بالأكثر: الكفار، والمراد بالأرض: مكة، أي: أكثر أهل مكة.

(١) صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، كتاب الإيمان (١/ ١٣٧).

قوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: الظن الذي لا أصل له، وهو ظنهم أن معبوداتهم تستحق العبادة وأنها تقربهم إلى الله ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ أي: يحدسون ويقدرون، وأصل الخرص: القطع، ومنه خرص النخل ليأخذ منه الزكاة، فالخارص يقطع بما لا يجوز القطع به.

تدبر: ما سبب كثرة أهل الضلال في الأرض؟

وسبب هذه الأكثرية: أن الحق والهدى يحتاج إلى عقول سليمة، ونفوس فاضلة، وتأمل في الصالح والضار، وتقديم الحق على الهوى، والرشد على الشهوة، ومحبة الخير للناس. وهذه صفات إذا اختل واحد منها تطرق الضلال إلى النفس بمقدار ما انثلم من هذه الصفات. التحرير والتنوير لابن عاشور(٨/٢٥).

تدبر: انتشر اليوم بين الناس الإيمان بالأكثرية، وتغليبها على الأقلية، فهل يستدل على الحق بكثرة أهله؟

دلت هذه الآية ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ على أنه لا يستدل على الحق بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع بخلاف ذلك؛ فإن أهل الحق هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا وأجرًا. تفسير السعدي(ص:٢٧٠).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: هو العالم بمن يضل عن سبيله ومن يهتدي إليه.

.....

التشريع الرباني في الذبائح، وتحريم ما ذُبح تعظيمًا لغير الله (١١٨-١٢١).

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

أسباب نزول الآية: عن ابن عباس قال: جاءت اليهود إلى النبيﷺ قالوا: إنا نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله فأنزل الله ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الأنعام إلى قوله: ﴿ وَإِنَّ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ الأنعام.

لما تقدم ذكر ما يصنعه الكفار في الأنعام من تلك السنن الجاهلية أمر الله المسلمين بأن يأكلوا مما ذُكر اسم الله عليه، فكل ما ذَكَر الذابح عليه اسم الله حل إن كان مما أباح الله أكله. ﴿ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ للتهييج والإلهاب: أي بأحكامه من الأوامر والنواهي.

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ الاستفهام للإنكار: أي: ما المانع لكم من أكل ما سميتم عليه بعد أن أذن الله لكم بذلك والحال أن ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: بين لكم بيانًا مفصلًا يدفع الشَك ويزيل الشبهة بقوله: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما إلى آخر الآية}، ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ أي: من جميع ما حرمه عليكم، من الميتة... فإن الضرورة تحلل الحرام.

القراءات:

١. قرأ نافع ويعقوب {وقد فصَّـــلَ لكم ما حرَّمَ عليكم} بفتح الفعلين على البناء للفاعل، وهو الله سبحانه.

٢. وقرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير بالضم فيهما على البناء للمفعول.

٣. وقرأ عطية العوفي {فصَّلَ} بالتخفيف: أي أبان وأظهر.

قوله: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ هم الكفار الذين كانوا يحرمون البحيرة والسائبة ونحوهما؛ ليضلوا الناس فيتبعونهم ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلالة لا يرجع إلى شيء من العلم.

﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥ ﴾ وفيها أقوال:

١. الظاهر: كأفعال الجوارح، والباطن: كأفعال القلب.

٢. وقيل: ما أعلنتم وما أسررتم.

٣. وقيل: الزنا الظاهر والزنا المكتوم.

وأضاف الظاهر والباطن إلى الإثم؛ لأنَّه يتسبب عنهما، قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ ثم توعد الله الكاسبين للإثم بالجزاء، بسبب افترائهم عليه.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

سبب نزول الآية:

عن ابن عباس قال: قال المشـــركون، وفي لفظ: قال اليهود: لا تأكلوا مما قتل الله وتأكلوا مما قتلتم أنتم! فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه. سنن البيهقي.

قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ ﴾ كالميتات، وما ذبح على اسم غير الله. وأما ما ذبحه المسلم: إن ترك التسمية عمدًا فما ذبحه فأكله حرام عند الجمهور، وإن كان ترك

التسمية نسيانًا لم يضر. وقال الشافعي ورواية عن مالك ورواية عن أحمد أن التسمية مستحبة لا واجبه.

حجة الجمهور في تحريم أكله ما لم يذكر اسم الله عمدًا:

١. قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ ﴾.

٢. قوله في آية الصيد: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴿٤﴾ ﴾ المائدة: ٤.

ويزيد هذا الاستدلال تأكيدًا قوله سبحانه في هذه الآية: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾.

وحجة الجمهور أن ترك التسمية نسيانًا لا يضر:

١. قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦.

٢. بقوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» وأما حديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن عدي: «أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي؟ فقال النبي ﷺ: «اسم الله على كل مسلم» هذا حديث ضعفه البيهقي وغيره.

قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ أي: وإن أكل ما لم يذكر لفسق. قوله: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ أي: يوسوسون لهم بالوساوس المخالفة للحق، قاصدين بذلك أن يجادلكم المشركون أو اليهود كقولهم: "أنتم لا تأكلون مما قتل الله وتأكلون مما قتلتم أنتم" ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه ﴿ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ مثلهم.

.....

ضرب المثل بين الطائع والعاصي، والتدبير السيئ حقّ يقع بها من حفرها (١٢٢-١٢٤).

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

سبب نزول الآية: قال زيد بن أسلم: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام كانا ميتين في ضلالتهما فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزه، وأقر أبا جهل في ضلالته وموته، وذلك أن رسول اللهﷺ دعا فقال: «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب».

قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾.

١. كان كافرًا فأحياه الله بالإسلام. وهو الراجح.
٢. وقيل معناه: كان ميتًا حين كان نطفةً فأحييناه بنفخ الروح فيه.

القراءات:

١. قرأ الجمهور بفتح الواو بعد همزة الاستفهام. {أَوَمَن}.
٢. وقرأ نافع وابن أبي نعيم بإسكانها. {أَوْمَن}.

ومعنى النور في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾: ١. قيل: الهداية والإيمان. ٢. قيل القرآن. ٣. قيل: الحكمة، ٤. قيل: النور المذكور في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ الحديد: ١٢ قوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: كمن صفته في الظلمات، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ لن يتاح له أن ينسلخ من الكفر والضلالة. ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: قد زين الشيطان للكافرين وحسّن في أعينهم ما يفعلونه من عبادة الأصنام وأكل الميتة وفعل المنكرات وهو أقبح القبائح لو يعقلون.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ هم الرؤساء والعظماء، وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد. ﴿لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ والمكر: الحيلة

في مخالفة الاستقامة، وأصله الفتل، فالماكر يفتل عن الاستقامة أي: يصرف عنه ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ أي: وبال مكرهم عائد عليهم ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك لفرط جهلهم وسيرهم مع أهوائهم.

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌۢ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ صَغَارٌ ﴾ ذل، وهوان.

قوله: ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ ﴾ إذا جاءت الأكابر آية قالوا ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٤ فأجاب الله عنهم بقوله: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ أي: إن الله أعلم بمن يستحق أن يجعله رسولًا ويكون موضعًا لها وأمينًا عليها، وقد اختار أن يجعل الرسالة في محمد صفيه وحبيبه، فدعوا طلب ما ليس من شأنكم، ثم توعدهم بقوله: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ ﴾ أي: ذل وهوان.

.....

الهداية من الله تعالى ودين الله واضح، والكفر عمى، وهو بلاءٌ على الخلق جميعًا (١٢٥-١٢٧).

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ حَرَجًا ﴾ شديد الضيق. ﴿ يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ يصعد في طبقات الجو. ﴿ ٱلرِّجْسَ ﴾ العذاب.

قوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾ من يرد الله هدايته للحق يوسع صدره حتى يقبله بصدر منشرح، ومن يرد إضلاله يجعل صدره ضيقًا حرجًا.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير **ضيّقًا** بالتخفيف مثل هَينٍ وَلينٍ.

٢. وقرأ الباقون بالتشديد وهما لغتان.

١. وقرأ نافع **حرِجا** بكسر الحاء، ومعناه الضيق، كرر المعنى تأكيدًا.

٢. وقرأ الباقون بالفتح: **حرَجًا** جمع حَرَجَةٍ وهي شدة الضيق.

قوله: ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾. إذا تكلَّف الإيمان فكأنما يتكلف صُعود السماء [والصواب في تفسيرها: أن من صعد في السماء يحس بأشد الضيق في صدره وقرب الاختناق لقلة الهواء، وهذا التشبيه من معجزات القرآن، فلم ينكشف معناه الصحيح إلَّا في هذه العصور المتأخرة]. وكذلك من يُدعى إلى الإسلام وقد قدر عليه الضلال، يجد أشد الضيق لذلك ﴿ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ ﴾ النتن وقيل: هو العذاب. وقيل: هو الشيطان يسلطه الله عليهم.

القراءات:

١. قرأ ابن كثير «يصعد» بالتخفيف من الصعود، شبه الكافر في ثقل الإيمان عليه بمن يتكلَّف ما لا يُطيقُه كصُعُود السماء.

٢. وقرأ النخعي «يصَّاعَد» وأصله يتصاعد.

٣. وقرأ الباقون «يصَّعَّد» بالتشديد وأصله يتصعد. ومعناه: يتكلَّف ما لا يطيق مرة بعد مرة كما يتكلف من يريد الصعود إلى السماء.

تدبر: تَقَبُل الإيمان صعب بل مستحيل على من كُتبت عليه الضلالة، وضح ذلك؟
شبه الله الكافر في نفوره عن الإيمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه؛ كما أن صعود السماء لا يُطاق. تفسير القرطبي(٩/٢٥).

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

الإشارة بقوله: ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ ﴾ قولان:

١. الإشـــارة إلى ما عليه النبيﷺ ومن معه من المؤمنين، أي: هذا طريق دين ربك لا اعوجاج فيه.
٢. الإشـارة إلى ما تقدم مما يدل على التوفيق والخذلان، أي: هذا هو عادة الله في عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

قوله: ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي بيناها وأوضـحناها ﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ما فيها ويتفهمون معانيها.

﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ دار السلامة والأمان وهي الجنة.

قوله: ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: لهؤلاء المتذكرين الجنة؛ لأنَّها دار السَّلامة من كل مكروه، أو دار الرب السَّلام مدخرة لهم عند ربهم يوصلهم إليها ﴿ وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ أي: ناصرهم، والباء في ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ للسببية: أي بسبب أعمالهم.

تدبر: ما المقصود بدار السلام؟ ولم سميت بذلك؟ يعني: الجنة، وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا. تفسير البغوي(٢/٦٣).

الكفر عهد بين شياطين الإنس والجن، ومخالفة شرع الله، ومحاربة الحق وأهله، ولا تقبل معذرة أحد بعد بعث الرُّسل (١٢٨-١٣١).

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ٱسْتَمْتَعَ ﴾ ... انتفع.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ والمراد حشر جميع الخلق في القيامة، ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ ﴾ المعشر: الجماعة، أي: يوم الحشر يقول الله لهم: يا جماعة الجن!

﴿ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ وفيها قولان:

١. قيل: يتلذذ الجن بطاعة الأنس لهم ودخولهم فيما يريدون منهم كقوله: ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾.
٢. وقيل: استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم حتى صاروا في حكم الأتباع لكم فحشرناهم معكم.

قوله: ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ الأقوال في استمتاع الأنس بالجن والعكس:

١. استمتاع الجن بالإنس تلذذهم باتباعهم لهم، وأما استمتاع الإنس بالجن فحيث قبلوا منهم تحسين المعاصي، فوقعوا فيها وتلذذوا بها، فذلك هو استمتاعهم بالجن.

٢. وقيل: استمتاع الإنس بالجن أنه كان إذا مر الرجل بوادٍ في سفره وخاف على نفسه قال: أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر، يعني ربه من الجن، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ الجن: ٦.

٣. وقيل: استمتاع الجن بالإنس أنهم كانوا يصدقونهم فيما يقولون من الأخبار الغيبية الباطلة، واستمتاع الإنس بالجن أنَّهم كانوا يتلذذون بما يلقونه إليهم من الأكاذيب وينالون بذلك شيئًا من حظوظ الدنيا كالكهان.

قوله: ﴿ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ﴾ أي: يوم القيامة اعترافًا منهم بالوصول إلى ما وعدهم الله به مما كانوا يكذبون به. ولما قالوا هذه المقالة أجاب الله عليهم فقال ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ ﴾ أي: موضع مقامكم. قوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أنهم يخلدون في النار في كل الأوقات إلا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارًا.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا ﴾ نسلط ظَلَمة الجن على ظلمة الإنس، ونسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله، فيكون في الآية على هذا تهديد للظلمة بأن من لم يمتنع من ظلمه منهم سلط الله عليه ظالمًا آخر.

والباء في ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ للسببية: أي: بسبب كسبهم للذنوب وَلَّيْنَا بعضهم بعضًا.

تدبر: بماذا يُعاقب الله تعالى الظالم في الدنيا؟

وقال فضيل بن عياض: إذا رأيت ظالمًا ينتقم من ظالم فقف وانظر متعجبًا. وهذا تهديد للظالم؛ إن لم يمتنع من ظلمه سلط الله عليه ظالمًا آخر. تفسير القرطبي: ٩/٣٠.

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾

قوله: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ أي يوم نحشرهم نقول لهم ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾

١. قيل: معنى منكم: ظاهره أن الله يبعث في الدنيا إلى الجن رسلًا منهم، كما يبعث إلى الإنس رسلًا منهم.

٢. وقيل: معنى منكم: أي ممن هو مجانس لكم في الخلق والتكليف.

٣. وقيل: إنه من باب تغليب الإنس على الجن كما يغلب الذكر على الأنثى.

٤. وقيل: المراد بالرسل إلى الجن ها هنا هم النذر منهم، كما في قوله: ﴿ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ ﴾ الأحقاف: ٢٩.

قوله: ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ أي: من الإنس يتلون كتب الله على الإنس والجن. قوله: ﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ هذه شهادة أخرى منهم على أنفسهم بـ ﴿ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾ في الدنيا بالرسل المرسلين إليهم والآيات التي جاءوا بها، وقد تقدم ما يفيد أن مثل هذه الآية المصرحة بإقرارهم بالكفر على أنفسهم، ومثل قولهم: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ﴾ الأنعام: ٢٣. محمول على أنهم يُقِرُون في بعض مواطن يوم القيامة وينكرون في بعض آخر لطول ذلك اليوم.

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١ ﴾

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ ﴾

١. الله يتعالى عن الظلم، بل إنما يهلكهم بعد أن يستحقوا ذلك، وترتفع الغفلة عنهم بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين.

٢. وقيل: أن الله لا يُهلك أهل القرى بسبب ظلم من يظلم منهم مع كون الآخرين غافلين عن ذلك، فهو مثل قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الأنعام: ١٦٤.

قوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ والحال أنهم غافلون عن الإعذار والإنذار بإرسال الرسل، وإنزال الكتب.

.....

الجزاء ناشئ عن العمل، والخلود والبقاء لله العلي القدير، والفناء متعاقب في بني البشر، والدنيا مهلة عمل، وفترة امتحان، والآخرة جزاء هذه المرحلة (١٣٢-١٣٥).

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

قوله: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي: لكل من الجن والإنس درجات متفاوتة مما عملوا فنجازيهم بأعمالهم، كما قال في آية أخرى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ الأحقاف: ١٩ وفيه دليل على أن المطيع من الجن في الجنة، والعاصي في النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من أعمال الخير والشر، والغفلة: ذهاب الشيء عنك لاشتغالك بغيره.

القراءات: ١. قرأ ابن عامر «تعملون» بالفوقية. ٢. قرأ الباقون بالتحتية.

تدبر: ما الفائدة العملية من معرفة أن أهل الجنة متفاوتون في الدرجات بحسب أعمالهم؟

الفائدة؛ حتى لا يُجعل قليل الشر منهم ككثيره، ولا التابع كالمتبوع، ولا الرئيس كالمرؤوس، كما أن أهل الثواب والجنة وإن اشتركوا في الربح، والفلاح، ودخول الجنة فإن بينهم من الفرق ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم قد رضوا بما آتاهم مولاهم. تفسير السعدي:(ص: ٢٧٤).

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ﴾ أي: عن خلقه لا يحتاج إليهم ولا إلى عبادتهم لا ينفعه إيمانهم ولا يضره كفرهم ومع كونه غنيًا عنهم، فهو ﴿ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ بهم لا يكون غناه عنهم مانعًا من رحمته لهم، وما أحسن هذا الكلام الرباني وأبلغه!

تدبر: ما الفائدة من اقتران الغنى والرحمة في هذا المقام؟

قال مُحمد بن علي الشوكاني: وما أقوى الاقتران بين الغنى والرحمن في هذا المقام! فإن الرحمة لهم مع الغنى عنهم هي غاية التفضل.

قوله: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾ أيها العباد العصاة فيستأصلكم بالعذاب المفضي إلى الهلاك ﴿ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم ﴾ أي: بعد إهلاككم ﴿ مَّا يَشَآءُ ﴾ من خلقه ممن هو أطوع له وأسرع إلى امتثال أحكامه منكم ﴿ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ قيل: هم أهل سفينة نوح، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك فلم يهلكهم ولا استخلف غيرهم؛ رحمة لهم ولطفًا بهم.

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من البعث والمجازاة ﴿ لَأٓتٍ ﴾ لا محالة، فإن الله لا يخلف الميعاد ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي بفائتين عمَّا هو نازل بكم من العذاب.

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

السراج: ﴿ مَكَانَتِكُمْ ﴾ طريقتكم. ﴿ عَقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ العاقبة، والمآل الحسن.

قوله: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي: اثبتوا على ما أنتم عليه، فإني غير مبال بكم ولا مكترث بكفركم، إني ثابت على ما أنا عليه. ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ أي: من له النصر في دار الدنيا، ومن له وراثة الأرض، ومن له الدار الآخرة.

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي: من يكون بالتحتية.

٢. وقرأ الباقون: بالفوقية.

والضمير في ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ للشأن، أي: لا يفلح من اتصف بصفة الظلم، وهو تعريض لهم بعدم فلاحهم لكونهم المتصفين بالظَّلم.

.....

الإخلاص سر القبول، وضرر الشرك في الدنيا ومن عادة الجاهليين وأد البنات الصغار (١٣٦-١٣٧).

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

السراج في غريب القرآن: ﴿ ذَرَأَ ﴾ خلق. ﴿ ٱلْحَرْثِ ﴾الزروع. {الزعم} الكذب.

قوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾

١. جعلوا لله سبحانه مما خلق من حرثهم ونتاج دوابهم نصيبًا ولآلهتهم نصيبًا من ذلك يصرفونه في سدنتها والقائمين بخدمتها، فإذا ذهب ما لآلهتهم بإنفاقه في ذلك عوضوا عنه ما جعلوه لله، وقالوا: الله غني عن ذلك.

٢. أنهم كانوا إذا ذبحوا ما جعلوه لله ذكروا عليه اسم أصنامهم، وإذا ذبحوا ما لأصنامهم لم يذكروا عليه اسم الله، فهذا معنى الوصول إلى الله، والوصول إلى شركائهم.

القراءات:

١. قرأ يحيى بن وثاب والسلمي والأعمش والكسائي **«بزُعمهم»** بضم الزاي.

٢. وقرأ الباقون **«بزَعمهم»** بفتحها، وهما لغتان.

قوله: ﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالصدقة وصلة الرحم، وقرى الضيف ﴿ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ﴾أي: يجعلونه لآلهتهم وينفقونه في مصالحها ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾أي: ساء الحكم حكمهم في إيثار آلهتهم على الله سبحانه.

وأخرج البيهقي في سننه عن ابن عباس ﷺ **في قوله:** وجعلوا لله الآية قال: جعلوا لله من ثمارهم ومائهم نصيبًا وللشيطان والأوثان نصيبًا، فإن سقط من ثمره ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشياطين في نصيب الله ردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله نزحوه، فهذا ما جعلوا لله من الحرث وسقي الماء، وأما ما جعلوه للشيطان من الأنعام **فهو قول الله:** ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ ﴾ المائدة: ١٠٣ .

تدبر: لماذا سمى الله تعالى الشياطين شركاء؟

وسمى الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله، فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم. تفسير القرطبي(٩/٣٩).

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ ليهلكوهم. ﴿وَلِيَلْبِسُواْ ﴾ ليخلطوا. ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ يختلقونه من الكذب.

قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾

كما زين الشيطان للمشركين قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم، زين لهم قتل أولادهم. ما هو المقصود بـ شركاؤهم في الآية:

١. هم الذين كانوا يخدمون الأوثان.

٢. الغواة من الناس.

٣. الشياطين، وأشار بهذا إلى الوأد، وهو دفن البنات مخافة السبي والحاجة.

٤. هو الرجل يحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن أحدهم كما فعله عبد المطلب.

قوله: ﴿ لِيُرْدُوهُمْ ﴾ أي: ليهلكوهم بقتل الأنفس البريئة المحرمة قوله: ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ﴾أي: فعلوا ذلك التزيين لإهلاكهم ولخلط دينهم عليهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ أي: لو شاء الله عدم فعلهم ما فعلوه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وإذا كان ذلك بمشيئة الله ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ فدعهم وافتراءهم فذلك لا يضرك.

تدبر: هل من زين المنكر، وحث عليه، ودعا له، يعتبر كالفاعل المقارف له؟

أضيف الفعل وهو القتل إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك؛ لأنهم زينوا ذلك، ودعوا إليه؛ فكأنهم فعلوه. تفسير القرطبي(٩/٣٩٣).

.....

شرع الجاهلية وضلالات المشركين بتحريم ما أحل الله (١٣٨-١٤٠).

﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَحَرْثٌ ﴾ زرع. ﴿ حِجْرٌ ﴾ مُحرمة.

قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾ قال ابن عباس: كانت الشاة إذا ولدت ذكرًا ذبحوه، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها فلم تذبح، وإن كانت ميتة كانوا فيها شركاء.

القراءات:

١. «الحِجْر» بكسر أوله وسكون ثانيه في قراءة الجمهور.
٢. وقرأ أبان بن عثمان «حُجُر» بضم الحاء والجيم.
٣. وقرأ الحسن وقتادة «حَجْر» بفتح الحاء وإسكان الجيم.
٤. وقرأ ابن عباس وابن الزبير «حرج» بتقديم الراء على الجيم.

والحجر: على اختلاف القراءات فيه هو مصدر بمعنى اسم المفعول، أي: محجور، وأصله المنع، فمعنى الآية: هذه أنعام وحرث ممنوعة، يعنون أنها لأصنامهم لا يطعمها إلا من يشاءون بزعمهم وهم خدام الأصنام. قوله: ﴿ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا ﴾ وهي

البحيرة والسائبة والحام وقيل: إنها مما جعلوه لآلهتهم أيضًا. قوله: ﴿ وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ وهي ما ذبحوا لآلهتهم فإنهم يذبحونها باسم أصنامهم لا باسم الله. وقيل: إن المراد لا يحجون عليها قوله: ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ﴾ أي: للافتراء عليه ﴿ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: بافترائهم أو بالذي يفترونه.

تدبر: بين الفائدة الجليلة التي يتعلمها طالب العلم من قول الله ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾؟

وفي الآية دليل على أن العالم ينبغي له أن يتعلم قول من خالفه، وإن لم يأخذ به؛ حتى يعرف فساد قوله، ويعلم كيف يرد عليه؛ لأن الله تعالى أعلم النبيﷺ وأصحابهﷺ قول من خالفهم من أهل زمانهم ليعرفوا فساد قولهم. تفسير القرطبي:(٩/٤٨).

﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَصْفَهُمْ ﴾ ... كذبهم على الله؛ بالتحليل والتحريم.

قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ يعنون البحائر والسوائب من الأجنة ﴿ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا ﴾ أي: حلال لهم ﴿ وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ وهن النساء فيدخل في ذلك البنات والأخوات ونحوهن وقيل: هو اللبن جعلوه حلالا للذكور محرمًا على الإناث. ﴿ وَإِن يَكُن ﴾ قرئ بالتحتية والفوقية، أي: وإن يكن الذي في بطون الأنعام ميتة ﴿ فَهُمْ فِيهِ ﴾ أي في الذي في البطون ﴿ شُرَكَآءُ ﴾ يأكل منه الذكور والإناث ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ أي: سيجزيهم بوصفهم الكذب على الله وقيل المعنى: سيجزيهم جزاء وصفهم.

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ سَفَهَۢا ﴾... جهلا، ونقص عقل.

ثم بين الله سبحانه نوعًا آخر من جهالاتهم فقال: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا ﴾ أي: قتلوا بناتهم بالوأد الذي كانوا يفعلونه ﴿ سَفَهَۢا ﴾ أي: لأجل السفه: وهو الطيش والخفة لا لحجة عقلية ولا شرعية ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ كائنًا ذلك منهم بغير علم يهتدون به. قوله: ﴿ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ من الأنعام التي سموها بحائر وسوائب ﴿ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: للافتراء عليه أو افتروا افتراء عليه ﴿ قَدْ ضَلُّواْ ﴾ عن طريق الصواب بهذه الأفعال ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ إلى الحق، ولا هم من أهل الاستعداد لذلك.

قال ابن عباس ﷺ: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم إلى قوله: وما كانوا مهتدين.

.....

من نِعم الله تعالى على العباد، وأمرٌ بإخراج الزكاة، والذي خلق هو المُشرِّع، والتحريم في التشريع لحكم تتفاوت المدارك بمعرفتها (١٤١-١٤٢).

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَنشَأَ ﴾ أوجد. ﴿ مَّعْرُوشَٰتٍ ﴾ محتاجة إلى العريش؛ كالعنب، والعريش: أعواد تنصب ليتمدد عليها الشجر، ويرتفع عن الأرض. ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ قائمة على ساقها؛ كالنخل.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ ﴾ أي: خلق البساتين، وفيه تذكير لهم ببديع قدرة الله وعظيم صنعه، ﴿ مَّعْرُوشَٰتٍ ﴾ مرفوعات على الأعمدة ﴿ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾ غير مرفوعات عليها وقيل: المعروشات ما انبسط على وجه الأرض مما يعرش مثل الكرم والزرع والبطيخ، وغير المعروشات: ما قام على ساق مثل النخل وسائر الأشجار وقيل: المعروشات: ما أنبته الناس وعرشوه، وغير المعروشات: ما نبت في البراري والجبال.

قوله: ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ ﴾ خصهما بالذكر مع دخولهما في الجنات لما فيهما من الفضيلة ﴿ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾ أي: مختلفًا أكله في الطعم والجودة والرداءة. وقال: مختلفًا أكله ولم يقل أكلهما: اكتفاء بإعادة الذكر على أحدهما كقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴿١١﴾ ﴾ الجمعة: ١١.

قوله: ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ ﴾ أي: وأنشأ الزيتون والرمان. ﴿ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ تقدم الكلام على تفسير هذا في الآية (٩٩) ﴿ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ ﴾ أي: من ثمر

كل واحد منهما، أو من ثمر ذلك ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أي: إذا حصل فيه الثمر وإن لم يدرك ويبلغ حد الحصاد.

قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ وأخرج أحمد وأبو داود في سننه من حديث جابر بن عبد الله: أن النبيﷺ أمر من كل حادي عشرة أوسق من التمر بقنو يعلق في المسجد للمساكين. وإسناده جيد.

وقد اختلف أهل العلم في هذه الآية ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾:

١. فذهب ابن عمر وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير إلى أن الآية محكمة، وأنه يجب على المالك يوم الحصاد أن يعطي من حضر من المساكين القبضة والضغث ونحوهما.

٢. وذهب ابن عباس ومحمد ابن الحنفية والحسن والنخعي وطاوس وأبو الشعثاء وقتادة والضحاك وابن جريج أن هذه الآية منسوخة بالزكاة. واختاره ابن جرير، ويؤيده أن هذه الآية مكية وآية الزكاة مدنية في السنة الثانية بعد الهجرة، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف.

٣. وقالت طائفة من العلماء: إن الآية محمولة على الندب لا على الوجوب. قوله: {ولا تسرفوا} أي في التصدق، وأصل الإسراف في اللغة: الخطأ، فيكون المعنى: لا تأخذوا الشيء بغير حقه وتضعونه في غير مستحقه.

عن أبي العالية قال: ما كانوا يعطون شيئًا سوى الزكاة، ثم إنهم تباذروا وأسرفوا، فأنزل الله ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين.

تدبر: لماذا أمر بزكاة الزروع يوم حصادها؟

أمرهم أن يعطوها يوم حصـــادها، وذلك... لأنه الوقت الذي تتشـــوف إليه نفوس الفقراء، ويســـهل حينئذ إخراجه على أهل الزروع، ويكون الأمر فيها ظاهرًا لمن أخرجها؛ حتى يتميز المخرج ممن لا يخرج. تفسير السعدي:(ص:٢٧٦).

تدبر: ما الإسراف المنهي عنه في الآية كما فسره مجاهد بن جبر؟

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد أنه قال: لو كان أبو قبيس (جبل قرب المســـجد الحرام) ذهبًا، فأنفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفًا، ولو أنفق درهمًا في معصية الله تعالى كان مسرفًا. تفسير الألوسي(٨/٣٩٢).

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ١٤٢ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ حَمُولَةً ﴾... ما هو مهيأ للحمل عليه؛ كالإبل.

﴿ وَفَرْشًا ﴾... ما هو مهيأ لغير الحمل لصغره، وقربه من الأرض؛ كالغنم.

﴿ خُطُوَاتِ ﴾... طرق الشيطان وأساليبه.

قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗا ﴾ أي: وأنشأ لكم من الأنعام حمولة وفرشًا، واختلفوا في الحمولة والفرش:

١. الحمولة: ما يحمل عليها من الإبل. والفرش: ما يتخذ من الوبر والصـــوف والشـــعر فراشًا يفترشه الناس.

٢. الحمولة: ما حُمِل عليه من الإبل، والفرش: صغار الإبل التي لا تحمل. وهذا ما صح عن ابن مسعود والحاكم، وروي عن ابن عباس.

٣. الحمولة: كل ما حُمِل عليه من الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، والفرش: الغنم، وهذا لا يتم إلا على فرض صحة إطلاق اسم الأنعام على جميع هذه المذكورات.

٤. الحمولة: ما تُركب، والفرش: ما يؤكل لحمه.

قوله: ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ من هذه الأشياء ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾كما فعل المشركون من تحريم ما لم يحرمه الله وتحليل ما لم يحلله إنه أي الشيطان لكم عدو مبين مظهر للعداوة ومكاشف بها.

.....

إبطال وتكذيب دعوى الجاهليين، فيما يُحلون ويُحرمون من غير شرع الله (١٤٣-١٤٤).

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۖ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ۖ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَزْوَاجٍ ﴾ ... أصناف.

قوله: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ يعني: ثمانية أفراد، وإنما سُمي الفرد زوجًا في هذه الآية؛ لأن كل واحد من الذكر والأنثى زوج بالنسبة إلى الآخر. **ومنه قوله تعالى:** ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) ﴾ القيامة: ٣٩ والحاصل أن الواحد إذا كان منفردًا سواء كان ذكرًا أو أنثى، قيل: له فرد، وإن كان الذكر مع أنثى من جنسه قيل لهما: زوج، ولكل واحد على انفراده منهما: زوج، ويقال لهما أيضا: زوجان.

قوله: ﴿ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ﴾ والضأن: ذوات الصوف من الغنم. قوله: ﴿ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو وابن كثير وأهل البصرة بفتح العين من المعَز. وقرأ الباقون بسكونها المعْز.

والمعز من الغنم خلاف الضأن، وهي ذوات الأشعار والأذناب القصار.

والمراد من هذه الآية: أن الله سبحانه بين حال الأنعام وتفاصيلها إلى الأقسام المذكورة توضيحًا للامتنان بها على عباده، ودفعًا لما كانت الجاهلية تزعمه من تحليل بعضها وتحريم بعضها تقولًا على الله سبحانه وافتراء عليه.

قوله: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ الهمزة للإنكار. والمراد بالذكرين الكبش والتيس، وبالأنثيين النعجة والعنز والمعنى: الإنكار على المشركين في أمر ما حرّموه منها.

وقوله: ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي: أخبروني بعلم لا بجهل إن كنتم صادقين. والمراد من هذا: التبكيت لهم وإلزام الحجة، لأنه يعلم أنه لا علم عندهم.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿شُهَدَآءَ﴾... شهودا حاضرين. ﴿وَصَّىٰكُمُ﴾... أمركم.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ...﴾.القول في هذه الآية في المعنى وترتيب التقسيم كالقول المتقدم في **قوله** ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] وكأنه قال: أنتم الذين تدعون أن الله حرم خصائص من هذه الأنعام لا يخلو تحريمه من أن يكون في الذكرين أو فيما اشتملت عليه أرحام الأنثيين لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا فلم يبق إلا أنه لم يقع تحريم.

قوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ﴾ الاستفهام للإنكار، والهمزة بمعنى بل أي: بل كنتم شهداء حاضرين مشاهدين إذ وصاكم الله بهذا التحريم. والمراد: التبكيت وإلزام الحجة كما سلف قبله.

قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا فحرم شيئًا لم يحرمه الله ونسب ذلك إليه افتراء عليه كما فعله كبراء المشركين، واللام في ﴿ لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ للعلة: أي لأجل أن يضل الناس بجهل وهو متعلق بافترى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ على العموم، وهؤلاء المذكورون في السياق داخلون في ذلك دخولًا أوليا.

تدبر: افتراء الكذب له دركات، فأيها أسوأ؟

بيّن تعالى سوء مقصدهم بالافتراء؛ لأنه لو افترى أحد فرية على الله لغير معنى لكان ظلما عظيما، فكيف إذا قصد بهما إضلال أمة؟! تفسير ابن عطية(٢/٣٥٥).

.....

بيان في المحرمات من الطعام، ومحرمات الذبائح عند اليهود، والتحريم بتشديد على قدر شدة التعنت تربية، وما يزال في حدود دفع الضرر عن البشر(١٤٥-١٤٧).

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٥

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ دمًا مراقًا وهو ما يخرج عند الذبح ﴿ رِجْسٌ ﴾ نجس. ﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ ذكر عند ذبحه اسم غير الله. ﴿ بَاغٍ ﴾ طالب بأكله منها التلذذ. ﴿ عَادٍ ﴾ متجاوز حد الضرورة.

قوله: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ أمره الله سبحانه بأن يخبرهم أنه لا يجد في شيء مما أوحي إليه محرمًا غير هذه المذكورات، فدل ذلك على انحصار المحرمات فيها لولا أنها مكية، وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة وزيد فيها على هذه المحرمات المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وصح عن رسول اللهﷺ في الصحيحين وغيرهما أنه: «حرَّم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وحرَّم الحُمُر الأهلية زمن خيبر» ونحو ذلك. وبالجملة فهذا العموم إن كان بالنسبة إلى ما يؤكل من الحيوانات كما يدل عليه السياق ويفيده الاستثناء، فيضم إليه كل ما ورد بعده في الكتاب أو السنة مما يدل على تحريم شيء من الحيوانات، وإن كان هذا العموم هو بالنسبة إلى كل شيء حرمه الله من حيوان وغيره فإنه يضم إليه كل ما ورد بعده مما فيه تحريم شيء من الأشياء.

روي عن ابن عباس وابن عمر وعائشة أنه لا حرام إلا ما ذكره الله في هذه الآية، وروي ذلك عن مالك. قال الشوكاني: وهذا قول ساقط، ومذهب في غاية الضعف لاستلزامه لإهمال غيرها مما نزل بعدها من القرآن، وإهمال ما صح عن النبيﷺ أنه قاله بعد نزول هذه الآية.

قوله: ﴿ مُحَرَّمًا ﴾ صفة لموصوف محذوف: أي طعامًا محرمًا. قوله: ﴿ عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ أي: طاعم يطعمه من المطاعم، وفي يطعمه زيادة تأكيد وتقرير لما قبله إلا أن يكون ميتة أي: ذلك الشيء أو ذلك الطعام أو العين أو الجثة أو النفس.

قوله: ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ الدم المسفوح هو الدم الجاري، وغير المسفوح معفو عنه كالدم الذي يبقى في العروق بعد الذبح، ومنه الكبد والطحال، وهكذا ما يتلطخ به اللحم من الدم. وقد حكى تفسير القرطبي الإجماع على هذا. وكان أهل الجاهلية إذا ذبحوا أودجوا الدابة، وأخذوا الدم فأكلوه، قال: هو دم مسفوح.

قوله: ﴿ أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ﴾ ظاهر تخصيص اللحم أنه لا يحرم الانتفاع منه بما عدا اللحم، والضمير في ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ راجع إلى اللحم أو إلى الخنزير. **(والرجس)**: النجس ﴿ أَوْ فِسْقًا ﴾ عطف على لحم الخنزير، ﴿ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ أي: ذبح على الأصنام ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ قد تقدم تفسيره في سورة البقرة في الآية ١٧٣. وقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذُّرًا، فبعث الله نبيه، وأنزل كتابه، وأحل حلاله، وحرمه حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، ثم تلا هذه الآية. ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: كثير المغفرة والرحمة، فلا يؤاخذ المضطر بما دعت إليه ضرورته.

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾... كل ما لم يكن مشقوق الأصابع؛ كالإبل والنَّعام. ﴿ ٱلْحَوَايَآ ﴾ الأمعاء. ﴿ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ كأالية الضان والجَنْب. ﴿ بِبَغْيِهِمْ ﴾ بسبب عملهم السيئ.

قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ ذكر الله ما حرَّم على اليهود عَقِب ذكر ما حرَّمَهُ على المسلمين. الذي حُرِّم في التوراة والقرآن هو ما ذُكر، فمن أين لأهل الجاهلية تحريم ما حرموه؟ قوله: ﴿ كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾ والظُّفر: ما له أصبع من دابة أو طائر. قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ ﴾ هو شحم الكلية **وقيل:** الثروب جمع ثرب، **وقيل:** الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش، ثم استثنى الله سبحانه من الشحوم ما حملت ظهورهما من الشحم فإنه لم يحرمه الله عليهم ﴿ أَوِ ٱلْحَوَايَآ ﴾ وفيها أقوال:

١. المباعر التي يجتمع البعر فيها، فما حملته من الشحم غير حرام عليهم.

٢. خزائن اللبن، وهي تتصل بالمباعر.

٣. الأمعاء التي عليها الشحوم.

قوله: ﴿أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٍ﴾ ما لصق بالعظام من الشحوم في جميع مواضع الحيوان، ومنه الإلية فإنها لاصقة بعجب الذنب، وعن ابن عباس ﷺ أو ما اختلط بعظم قال: الألية اختلط شحم الألية بالعصعص فهو حلال، وكُل شَحم القَوائم والجَنْب والرأس والعين والأذن يقولون قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم، وإنما حُرم عليهم الثرب وشحم الكلية، وكل شيء كان كذلك ليس في عظم.

والإشارة بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى التحريم ﴿جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ﴾ أي: بسبب بغيهم فهذه الطيبات حرمت على اليهود عقوبة لهم على بغيهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في كل ما نخبر به، ومن جملة ذلك هذا الخبر، وهو موجود عندهم في التوراة، ونصها: «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، وكل دابة ليست مشقوقة الحافر، وكل حوت ليس فيه سفاسف» أي بياض، انتهى.

تدبر: للمعصية شؤم على أهلها، بيّن ذلك من خلال قوله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ الأنعام: ١٤٦؟

ذلك التحريم عقوبة لهم. ﴿بِبَغۡيِهِمۡ﴾ أي: بظلمهم من: قتلهم الأنبياء، وصدهم عن سبيل الله، وأخذهم الربا، واستحلال أموال الناس بالباطل. تفسير البغوي(٢/٧٥).

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٤٧﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿بَأۡسُهُۥ﴾... عذابه.

قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾

١. الضمير يعود على اليهود، أي: فإن كذبك اليهود فيما وصفت من تحريم الله عليهم تلك الأشياء. وعن السدي قال: كانت اليهود يقولون: **إن ما حرمه إسرائيل فنحن نحرمه**، فذلك قوله: فإن كذبوك الآية.

٢. الضمير يعود إلى المشركين الذين قسّموا الأنعام إلى تلك الأقسام وحللوا بعضها وحرموا بعضها.

قوله: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ ومن رحمته حلمه عنكم وعدم معاجلته لكم بالعقوبة في الدنيا، وهو وإن أمهلكم ورحمكم فهو لا ﴿يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

١. إذا أنزله بهم واستحقوا المعاجلة بالعقوبة.

٢. لا يرد بأسه في الآخرة عن القوم المجرمين.

والأول أولى، فإنه سبحانه قد عاجلهم بعقوبات منها: تحريم الطيبات عليهم في الدنيا.

تدبر: لماذا ذُكِرَت رحمة الله بعد ذكر تكذيبهم للرسول **في قول الله**: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾؟

وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة، واتباع رسوله. تفسير ابن كثير(٢/١٧٧).

.....

الإنسان بين التسيير والتخيير، وتكذيب للمفترين على الله بغير علم (١٤٨-١٥٠).

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ تَخْرُصُونَ ﴾... تكذبون.

قوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ وهم كفار قريش أو جميع المشركين، يريدون أنه لو شاء الله عدم شركهم ما أشركوا هم ولا آباؤهم، ولا حرَّموا شيئًا من الأنعام كالبَحِيرة ونحوها، وظنوا أن هذا القول يخلصهم عن الحجة التي ألزمهم بها رسول اللهﷺ وأن ما فعلوه حق، ولو لم يكن حقًا لأرسل الله إلى آبائهم الذين ماتوا على الشرك، وعلى تحريم ما لم يحرمه الله رُسلًا يأمرونهم بترك الشرك، وبترك التحريم لِمَا لم يُحَرِمُه الله، والتَّحليل لما لم يحلله.

وأخرج الحاكم وصححه، عن ابن عباس أنه قيل له: إن ناسًا يقولون: ليس الشر بقدر، فقال ابن عباس: بيننا وبين أهل القدر هذه الآية ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ إلى قوله: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: مثل ما كذب هؤلاء كذب من قبلهم من المشركين أنبياءَ الله ﴿ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ﴾ أي: استمروا على التكذيب حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلناه بهم، ثم أمره الله أن يقول لهم: ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ ﴾ أي: هل عندكم دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به، وتحللوا وتحرموا من دونه، وأما وقوع الفساد منكم فلا يدل على رضاه عنكم ﴿ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ أي: إلينا لننظر فيه ونتدبره؟ والمقصود من هذا: التبكيت لهم، لأنَّه قد عُلم أنه لا علم عندهم يصلح للحجة ويقوم به البرهان، ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾ أوضح الله لهم أنهم ليسوا على شيء من العلم، وأنهم إنما يتبعون الظنون التي هي محل الخطأ ومكان الجهل ﴿ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ أي: تتوهمون مجرد توهم فقط كما يتوهم الخارص.

تدبر: بين في ضوء الآية ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ ﴾ خطورة الاستدلال بالقدر على نفي الأمر والنهي؟

فإن المشركين استدلوا بالقدر على نفي الأمر والنهي، والمحبوب والمكروه، والطاعة والمعصية، ومن سلك هذا المسلك فهو في نوع من الكفر البين. مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١٢/٣).

﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩ ﴾

قوله: ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ ﴾ أي: التي تنقطع عندها معاذيرهم وتبطل شبهُهُم وظنُونُهم وتوهماتُهم. والمراد بالحجة البالغة الكتب المُنزَّلة، والرُّسل المرسلة، وما جاءوا به من المعجزات ﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ أي: فلو شاء هدايتكم جميعًا لهداكم أجمعين ولكنه لم يشأ ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْ ﴾ الأنعام: ١٠٧ ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الأنعام: ١١١ .

﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشۡهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡۚ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١٥٠ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ هَلُمَّ ﴾ هاتوا. ﴿ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ شهودكم. ﴿ يَعۡدِلُونَ ﴾ يسوون به غيره ويشركون.

قوله: ﴿ قُلۡ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ﴾ أي: هاتوهم وأحضروهم، وهذا أيضًا من باب التبكيت لهم، حيث يأمرهم بإحضار الشهود، على أن الله حرَّم تلك الأشياء مع علمه أن لا شهود لهم ﴿ فَإِن شَهِدُواْ ﴾ لهم بغير علم بل مجازفة وتعصب ﴿ فَلَا تَشۡهَدۡ مَعَهُمۡ ﴾ أي: فلا

تصدقهم، ولا تسلم لهم، فإنهم كاذبون جاهلون، وشهادتهم باطلة ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ أي: ولا تتبع أهواءهم، فإنهم رأس المكذِّبين بآياتنا.

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ أي: لا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا، وأهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: يجعلون له عدلًا من مخلوقاته كالأوثان.

.....

الوصايا العشر في القرآن الكريم جاءت كما في الشرائع من قبل لكنها في شريعة محمدﷺ أثبت وأقوى (١٥١-١٥٣).

﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَتْلُ ﴾... أقرا. ... ﴿إِمْلَـٰقٍ ﴾... فقر.

قوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ ﴾ أي تقدموا. قوله: ﴿ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: أقرأ الذي حرَّمه ربكم عليكم. والمراد من تلاوة ما حرم الله تلاوة الآيات المشتملة عليه، ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: أتل تحريم ربكم. ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾: إن تعلق بأتل، فالمعنى: أتل عليكم الذي حرم ربكم، وإن تعلق بحرَّم، فالمعنى أتل الذي حرَّم ربكم عليكم، وهذا أولى؛ لأن المقام مقام بيان ما هو محرم عليكم لا مقام بيان ما هو محرم مطلقًا. قوله: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ ﴾ أي: لا تشركوا به شيئًا من الأشياء، أو شيئًا من الإشراك. قوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ أي: أحسنوا بهما إحسانًا، والإحسان إليهما: البر بهما، وامتثال أمرهما ونهيهما.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾ الإملاق: الفقر، فقد كانت الجاهلية تفعل ذلك بالذَّكر والإناث خشية الفقر، وتفعله بالإناث خاصة خشية العار. قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ المعاصي، ومنه ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً ﴾ الإسراء: ٣٢.

قوله: ﴿ مَا ظَهَرَ ﴾ ما أعلن به من الفواحش، ﴿ وَمَا بَطَنَ ﴾ ما أُسر من الفواحش. قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ﴾ أي: لا تقتلوا شيئًا من الأنفس التي حرمها الله إلا بسبب الحق، ومن الحق: قتلها قصاصًا وقتلها بسبب زنا المحصن، وقتلها بسبب الردة، ونحو ذلك من الأسباب التي ورد الشرع بها، بقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ فيه إشارة إلى ما تقدم مما تلاه عليهم. ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ أي: أمركم به، وأوجبه عليكم.

تدبر: ما هي الخاصية التي اختُصّت بها هذه الوصايا؟

ذُكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع، ولم تنسخ قط في ملة، وقال ابن عباس: هي الكلمات التي أنزل الله على موسى. تفسير ابن جزي (١/٢٩١).

تدبر: لماذا قدم رزق الآباء على رزق الأبناء في سورة الأنعام، وقُدِّم رزق الأبناء على رزق الآباء في سورة الإسراء؟

قال الله في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾ الإسراء: ٣١ أي: لا تقتلوهم خوفًا من الفقر في الآجل، ولهذا قال هناك: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ الإسراء: ٣١ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم؛ أي: لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم؛ فهو على الله، وأما في [الأنعام] فلما كان الفقر حاصلًا؛ قال: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ لأنه الأهم ههنا. تفسير ابن كثير(٢/١٨٠).

تدبر: لماذا نهى عن قربان الفواحش؟

النهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها؛ فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها. تفسير السعدي. (ص:٢٨٠).

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ يصل إلى سن البلوغ، ويكون راشدًا. ﴿ بِٱلْقِسْطِ ﴾... بالعدل.

قوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ أي: لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه إلا الخصلة ب ﴿ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ من غيرها، وهي ما فيه صلاحه وحفظه وتنميته، فيشمل كل وجه من الوجوه التي فيها نفع لليتيم وزيادة في ماله وقيل: المراد بالتي هي أحسن: التجارة حتى يبلغ أشده، فإن بلغ ذلك فادفعوا إليه ماله، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ النساء.

واختلف أهل العلم في الأشد:

١. فقال أهل المدينة: بلوغه وإيناس رشده.
٢. وقال أبو حنيفة: خمس وعشرون سنة.
٣. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو البلوغ.
٤. وقيل: إنه انتهاء الكهولة.

٥. قال الشوكاني: هو البلوغ إلى سن التكليف مع **إيناس الرشد**، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكًا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السفه والتبذير، ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ النساء: فجعل بلوغ النكاح، وهو بلوغ سن التكليف مقيدًا بإيناس الرشد.

قوله: ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ ﴾ أي: بالعدل في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ أي: إلا طاقتها في كل تكليف من التكاليف، ومنه التكليف بإيفاء الكيل والوزن، فلا يخاطب المتولي لهما بما لا يمكن الاحتراز عنه في الزيادة والنقصان ﴿ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ ﴾ أي: إذا قلتم بقول في خير أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحروا الصواب، ولا تتعصبوا في ذلك لقريب ولا على بعيد، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو، بل سووا بين الناس فإن ذلك من العدل الذي أمر الله به، ﴿ وَلَوۡ كَانَ ﴾ أي: ولو كان المقول فيه، أو المقول له ﴿ ذَا قُرۡبَىٰ ﴾ أي: صاحب قرابة لكم. كقوله: ﴿ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ النساء١٣٥.

قوله: ﴿ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ ﴾ أي: أوفوا بكل عهد عهده الله إليكم، ومنه هذه الآيات التي قرأت عليكم. وقيل: أوفوا بكل عهد ولو كان بين المخلوقين، لأن الله أمر به.

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ الإشارة إلى ما تقدم ذكره ﴿ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾ أمركم به أمرًا مؤكدًا ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ فتتعظون بذلك.

تدبر: كيف يكون إصلاح مال اليتيم؟

أي: بما فيه صلاحه وتثميره؛ وذلك بحفظ أصوله، وتثمير فروعه. تفسير القرطبي(٩/١١١).

تدبر: ما وجه تخصيص حق اليتيم في ماله بالحفظ في قوله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

ووجه تخصيص حق اليتيم في ماله بالحفظ: أن ذلك الحق مظنة الاعتداء عليه من الولي، وهو مظنة انعدام المدافع عنه. تفسير ابن عاشور(٨/١٦٤).

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ التقدير: الذي ذُكر في هذه الآيات صراطي. والصراط: الطريق، وهو طريق دين الإسلام، والمستقيم المستوي الذي لا اعوجاج فيه، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ﴾ السبل هو الدين أي: لا تتبعوا الأديان المتباينة طرقها، وقال ابن عباس السُّبل الضلالات. ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ ﴾ أي: تميل بكم ﴿عَن سَبِيلِهِ ﴾ أي: عن سبيل الله المستقيم الذي هو دين الإسلام. قال تفسير ابن عطية: وهذه السُّبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام. ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلى ما تقدم. ﴿ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ أي: أكد عليكم الوصية به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ما نهاكم عنه.

وقد أخرج الترمذي وحسنه، عن عبادة ابن الصامت قال: قال رسول اللهﷺ: «أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا قل تعالوا إلى ثلاث آيات، ثم قال: فمن وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه».

وأخرج ابن أبي شـــيبة عن كعب الأحبار قال: أول ما أنزل في التوراة عشـــر آيات، وهي العشر التي أنزلت من آخر الأنعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلى آخرها.

تدبر: لماذا جاء لفظ سبيل الله مفردًا، ولفظ سبل غير الله مجموعًا؟

إنما وحد سبيله؛ لأن الحق واحد، ولهذا جمع السُّبل؛ لتفرقِها، وتشعبِها. تفسير ابن كثير(٢/١٨٢).

.....

شريعة موسى عليه السلام من الشرائع الواسعة التعاليم، ونداء إلى أهل مكة باتباع شريعة الإسلام الناسخ لما قبلها، وقبول التوبة له حدود، ومن علامات الساعة الكبرى إغلاق باب التوبة (١٥٤-١٥٨).

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ استشكل العطف بثمَّ مع كون قصة موسى وإيتائه الكتاب قبل ما تقدم من قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾

١. ثم هاهنا بمعنى الواو.

٢. فيه تقدير: ثم كنا قد آتينا موسى الكتاب قبل إنزالنا القرآن على محمدﷺ.

٣. إن التوصية المعطوف عليها قديمة لم يزل كل نبي يوصي بها أمته.

قوله: ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾.

١. أي: على الذي هو أحسن.

٢. وقيل: تمامًا على إحسان موسى بطاعة الله عز وجل.

٣. وقيل: تمامًا على الذي أحسن به الله عز وجل إلى موسى من الرسالة وغيرها.

٤. وقيل: تمامًا على من أحسن قَبولَه والقيام به كائنًا من كان، ويؤيد هذا أن ابن مسعود قرأ «تماما على الذين أحسنوا» وقال الحسن: كان فيهم محسن وغير محسن، **فأنزل الله الكتاب تمامًا على المحسنين.**

٥. وقيل: أعطينا موسى التوراة زيادة على ما كان يحسنه موسى مما علمه الله قبل نزول التوراة عليه.

قوله: ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: ولأجل تفصيل كل شيء. ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ معطوفتان على تمامًا: أي: وللهدى والرحمة ﴿ لَّعَلَّهُم ﴾ الضمير راجع إلى بني إسرائيل المدلول عليه بذكر موسى، والباء في ﴿ بِلِقَآءِ ﴾ متعلقة بيؤمنون.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ الإشارة إلى القرآن، ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ المبارك: كثير البركة لما هو مشتمل عليه من المنافع الدنيوية والدينية ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ فإنه لما كان من عند الله وكان مشتملًا على البركة، كان اتباعه متحتمًا عليكم ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾ مخالفته والتكذيب بما فيه ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ إن قبلتموه ولم تخالفوه ﴿ تُرْحَمُونَ ﴾ برحمة الله سبحانه.

تدبر: قوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ تستخرج منه البركات؛ فما من خير إلا وقد دعا إليه، ورغَّب فيه، وذكر الحِكم والمصالح التي تحث عليه، وما من شر إلَّا وقد نهى عنه، وحَذَّر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله، وعواقبها الوخيمة. تفسير السعدي(ص:٢٨١).

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ دِرَاسَتِهِمۡ ﴾... قراءة كتبهم.

قوله: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ ﴾ قال الفراء والكسائي: المعنى: فاتقوا أن تقولوا يا أهل مكة إنما أنزل الكتاب: أي التوراة والإنجيل على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى ولم ينزل علينا كتاب ﴿ وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ ﴾ أي: عن تلاوة كتبهم بلغاتهم ﴿ لَغَٰفِلِينَ ﴾ أي: لا ندري ما فيها.

﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَصَدَفَ ﴾... أعرض.

قوله: ﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ ﴾ كما أنزل على الطائفتين من قبلنا ﴿ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡ ﴾ إلى الحق الذي طلبه الله، فإن هذه المقالة والمعذرة منهم مندفعة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، وإنزال القرآن عليه، ولهذا قال: ﴿ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ ﴾ أي: جاءكم البينة الواضحة والهدى الذي يهتدي به كل من له رغبة في الاهتداء، ورحمة من الله يدخل فيها كل من يطلبها ويريد حصولها، ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ظلمتم أنفسكم بالتكذيب بآيات الله ﴿ وَصَدَفَ عَنۡهَا ﴾

والصدوف عنها، أي: الانصراف عنها، وصرف من أراد الإقبال إليها. والاستفهام في ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ ﴾ للإنكار، أي: إنكار أن يكون أحد أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها، مع ما يفيده ذلك من التبكيت لهم.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ أي: لما أقمنا عليهم الحجة، وأنزلنا الكتاب على رسولنا، فلم ينفعهم ذلك، فما بقي بعد هذا إلا أنهم ينتظرون أن تأتيهم الملائكة أي: ملائكة الموت لقبض أرواحهم، وعند ذلك﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾. قوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ يا محمد كما اقترحوه بقوله: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ الفرقان: ٢١

وقيل: معناه:

١. يأتي ربك يوم القيامة لفصل القضاء بينهم. وهذا هو الأولى.

٢. يأتي أمر ربك بإهلاكهم.

٣. يأتي كل آيات ربك بدليل قوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ .

٤. وقيل: هو من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ قرأ ابن عمر وابن الزبير يوم **تأتي** بالفوقية، وقرأ الباقون بالتحتية.

ومعنى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ يوم يأتي الآيات التي اقترحوها، وهي التي تضطرهم إلى الإيمان كعلامات الساعة الكبرى كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدَّابة ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ فهذا الآيات الكبرى إذا جاءت لا ينفع نفسًا إيمانها.

ثبت في الصحيحين: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها، ثم قرأ الآية».

قوله: ﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إتيان بعض الآيات، فأما التي قد كانت آمنت من قبل مجيء بعض الآيات فإيمانها ينفعها. قوله: ﴿ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان من قبل مجيء بعض الآيات، مع كسب الخير في الإيمان، فمن آمن من قبل فقط ولم يكسب خيرًا في إيمانه أو كسب خيرًا ولم يؤمن فإن ذلك غير نافعه. ﴿ ٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ ما تريدون إتيانه ﴿ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ له، وهذا تهديد شديد ووعيد عظيم، وهو يقوي ما قيل في تفسير ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ أنها الآيات التي اقترحوها من إتيان الملائكة وإتيان العذاب لهم من قبل الله كما تقدم بيانه.

تدبر: من خلال الآية ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ متى يكون الإيمان نافعًا لصاحبه؟

والحكمة في هذا ظاهرة، فإنَّه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيمانًا بالغيب، وكان اختيارًا من العبد، فأما إذا وجدت الآياتُ صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة؛ لأنَّه يشبه الإيمان الضروري؛ كإيمان الغريق والحريق ونحوهما ممن إذا رأى الموتَ أقلع عَمَّا هو فيه. تفسير السعدي(ص:٢٨١).

.....

تحذير لعدم التفرق في الدين، وبيان لجزاء الأعمال في الأخرة (١٥٩-١٦٠).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ شِيَعًا ﴾... فرقًا، وأحزابًا.

سبب نزول الآية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اختلفت اليهود والنصارى قبل أن يبعث محمدﷺ فتفرقوا، فلما بعث محمد أنزل عليه إن الذين فرقوا دينهم الآية

القراءات:

١. قرأ حمزة والكسائي «**فارقوا** دينهم» أي: تركوا دينهم وخرجوا عنه.

٢. وقرأ الباقون: «**فَرَّقوا**» بالتشديد إلا النخعي فإنه قرأ بالتخفيف. والمعنى: أنهم جعلوا دينهم متفرقًا، فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه.

مَن هم الذين جعلوا دينهم متفرقين؟

١. اليهود والنصارى ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ البينة: ٤

٢. المشركون عبد بعضهم الصنم، وبعضهم الملائكة.

٣. الآية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله، وهذا هو الصواب؛ لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الإسلام.

قوله: ﴿ شِيَعًا ﴾ فرقًا وأحزابًا، فتصدق على كل قوم كان أمرهم في الدين واحدًا مجتمعًا، ثم اتبع كل جماعة منهم رأي كبير من كبرائهم يخالف الصواب، ويباين الحق

﴿ لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ أي: لست من تفرقهم، أو سبب تفرقهم وتحزبهم في شيء من الأشياء، فلا يلزمك من ذلك شيء ولا تخاطب به إنما عليك البلاغ. أي: لست من عقابهم في شيء، وإنما عليك الإنذار، ثم سلاه الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فهو مجاز لهم بما تقتضيه مشيئته. ﴿ ثُمَّ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ يُنَبِّئُهُم ﴾ أي: يخبرهم بما ينزله بهم من المجازاة بما كانوا يعملونه من الأعمال التي تخالف ما شرعه الله لهم وأوجبه عليهم، وهذه الآية من جملة ما هو منسوخ بآية السيف.

﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾ والتقدير: فله عشر حسنات أمثالها، فأقيمت الصفة مقام الموصوف. وقد ثبت هذا التضعيف في السنة بأحاديث كثيرة، وهذا التضعيف هو أقل ما يستحقه عامل الحسنة. وقد وردت الزيادة على هذا عمومًا وخصوصًا، ففي القرآن كقوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ ﴾البقرة: ٢٦١. وورد في بعض الحسنات أن فاعلها يجازى عليها بغير حساب، وورد في السنة المطهرة تضعيف الجزاء إلى ألوف مؤلفة. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ من الأعمال السيئة ﴿ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾ من دون زيادة عليها، على قدرها في الخفة والعظم، فالمشرك يجازى على سيئة الشرك بخلوده في النار، وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات، وهذا إن لم يتب، أما إذا تاب أو غلبت حسناته سيئاته، أو تغمده الله برحمته، وتفضل عليه بمغفرته، فلا مجازاة، وأدلة الكتاب والسنة مصرحة بهذا تصريحًا لا يبقى بعده ريب لمرتاب، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ أي: من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة ﴿ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ بنقص ثواب حسنات المحسنين، ولا بزيادة عقوبات المسيئين.

.....

الخطوط العامة لشريعة محمدﷺ، والتوحيد الخالص لله تعالى، وتعظيم الله تعالى (١٦١-١٦٣).

﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿قِيَمًا ﴾ قائما بأمر الدنيا والآخرة. ﴿حَنِيفًا ﴾... مائلًا عن الشرك إلى التوحيد.

لما بين سبحانه أن الكفار تفرقوا فرقًا وتحزبوا أحزابًا أمر رسوله ﷺ أن يقول لهم: ﴿ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ ﴾ أي: أرشدني بما أوحاه إلي ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو ملة إبراهيم عليه السلام ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ هو الدين المستقيم الذي لا عوج فيه.

القراءات:

١. «قِيَمًا» قرأه الكوفيون وابن عامر بكسر القاف، والتخفيف وفتح الياء.

٢. «قَيِّمًا» وقرأه الباقون بفتح القاف وكسر الياء المشددة.

﴿ حَنِيفًا ﴾ والحنيف: المائل إلى الحق.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَنُسُكِي ﴾... ذبحي.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ المراد بالصلاة: جنسها فيدخل فيه جميع أنواعها وقيل: المراد بها هنا: صلاة الليل، وقيل: صلاة العيد. ﴿ وَنُسُكِي ﴾ ذبيحتي في الحج والعمرة. وقال الحسن: ديني. وقال الزجاج: عبادتي.

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة! قومي فاشهدي أضحيتك فإنه يغفر لك بأول قطرة تقطر من دمها كل ذنب عملته، وقولي: {إن صلاتي} إلى {وأنا أول المسلمين}، قلت: يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة أم للمسلمين عامة؟ قال: لا، بل للمسلمين عامة».

قوله: ﴿ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ﴾ أي: ما أعمله في حياتي ومماتي من أعمال الخير، ومن أعمال الخير في الممات الوصية بالصدقات وأنواع القربات وقيل: نفس الحياة ونفس الموت لله.

القراءات:

١. قرأ الحسن «نسْكي» بسكون السين.

٢. وقرأ الباقون «نسُكي» بضمها.

٣. وقرأ أهل المدينة «محياْي» بسكون الياء.

٤. وقرأ الباقون «محياي» بفتحها.

قوله: ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: خالصًا له لا شريك له فيه.

تدبر: كيف يكون المحيا والممات لله رب العالمين؟

أي: حياتي ووفاتي ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: هو يحييني، ويميتني، وقيل: محياي بالعمل الصالح، ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين. تفسير البغوي (٨٦/٢).

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ أي: لا أشرك به شيئًا في صلاتي ولا نسكي ولا محيايي ولا مماتي. قوله: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

١. أول مسلمي أمته لحديث علي أن النبيﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين إلى قوله: ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ رواه مسلم.

٢. وقيل: أول المسلمين أجمعين؛ لأنه وإن كان متأخرًا في الرسالة فهو أولهم في الخلق، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ الأحزاب: ٧ والأول أولى.

وأصح التوجهات الذي كان يلازمه النبيﷺ ويرشد إليه هو «اللهم باعد بيني وبين خطاياي» إلى آخره.

خصوص الجزاء والمحاسبة من عدل الله تعالى بعباده، ولا يؤاخذ الإنسان بجريرة غيره (١٦٤-١٦٥).

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ تَكْسِبُ ﴾.تعمل سيئًا. ﴿ وَلَا تَزِرُ ﴾ لا تحمل. ﴿ وَازِرَةٌ ﴾ نفس آثمة. ﴿ وِزْرَ ﴾ ... إثم.

الاستفهام في ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ للإنكار، أي: كيف أبغي غير الله ربًا مستقلًا وأترك عبادة الله أو شريكًا لله فأعبدهما معًا، والحال أنه رب كل شيء، والذي تدعونني إلى عبادته هو من جملة من هو مربوب له مخلوق مثلي لا يقدر على نفع ولا ضر. قوله: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ أي لا يؤاخذ مما أتت من الذنب وارتكبت من المعصية سواها، فكل كسبها للشر عليها لا يتعداها إلى غيرها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ البقرة: ٢٨٦.

قوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أصل الوزر: الثقل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ الشرح: ٢ وهو هنا: الذنب كقوله ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ الأنعام: ٣١ **وقد قيل:** إن المراد بهذه الآية في الآخرة وكذلك التي قبلها **لقوله تعالى:** ﴿ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ الأنفال: ٢٥ ومثله قول زينب بنت جحش: «يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث».

قال الشوكاني: **الأولى** حمل الآية على ظاهرها، أعني: العموم وما ورد من المؤاخذة بذنب الغير كالدِّية التي تحملها العاقِلة ونحو ذلك، فيكون في حكم المُخصص بهذا العموم ويُقر في موضعه، ولا يُعارض هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ

أَثْقَالِهِمْ ﴾ العنكبوت: ١٣ فإن المراد بالأثقال التي مع أثقالهم هي أثقال الذين يضلونهم كما في الآية الأخرى ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ النحل: ٢٥

قوله: ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ في الدنيا، وعند ذلك يظهر حق المحقين وباطل المبطلين.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

السراج: ﴿ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ تخلفون من سبقكم. ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ ﴾... ليختبركم.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾

١. جعلكم خلفاء الأمم الماضية والقرون السالفة.

٢. وقيل: يخلف بعضهم بعضًا.

٣. وقيل: إن هذا النوع الإنساني خلفاء الله في أرضه.

قوله: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ في الخلق، والرزق، والقوة، والفضل، والعلم، ودرجات. ﴿ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ أي: ليختبركم فيما آتاكم من تلك الأمور، أو ليبتلي بعضكم ببعض كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ الفرقان: ٢٠ ثم خوفهم فقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾ فإنه وإن كان في الآخرة فكل آت قريب كما قال: ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ النحل: ٧٧ ثم رغب من يستحق الترغيب من المسلمين فقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: كثير الغفران والرحمة.

تدبر: لماذا تكون الدعوة مرة بالترهيب، ومرة بالترغيب، ومرة بهما؟

ترهيب وترغيب أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه، وخالف رسله، وإنه لغفور رحيم لمن والاه، واتبع رسله فيما جاؤوا به من خبر وطلب ... فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة، وصفة الجنة، والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة، وذكر النار وأنكالها وعذابها، والقيامة وأهوالها، وتارة بهما. تفسير ابن كثير(٢/١٩١).

تم بفضل الله تعالى تفسير سورة الأنعام

سورة الأعراف

بين يدي سورة الأعراف

١. التعريف بسورة الأعراف:

سورة الأعراف مكية إلا ثمان آيات، وهي قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ﴾ من الآية «١٦٣-١٧١»[١]. وهي السورة السابعة في الترتيب المصحفي وهي إحدى السور التي بدئت ببعض حروف التهجي ﴿ الٓمٓصٓ ۝١ ﴾ [الأعراف:١]. ولم يتقدم عليها، من هذا النوع، سوى ثلاث سور سبقتها في تاريخ النزول وهي: ن، ق، ص.

وعدد السور التي بدئت بحروف التهجي (٢٩) سورة، وكلها سور مكية ما عدا البقرة وآل عمران واختلفوا في سورة الرعد. وعدد آيات سورة الأعراف مائتان وست آيات، عدد كلماتها ٣٣١٥ كلمة[٢]. وقد ثبت أن النبيﷺ كان يقرأ بها في المغرب يفرقها في الركعتين.

٢. لماذا سميت سورة الأعراف بهذا الاسم؟

سميت هذه السورة بهذا الاسم لقوله تعالى ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨ ﴾

٣. تاريخ نزول السورة:

نزلت سورة الأعراف بعد سورة «ص» وقبل سورة «الجن»، وكان نزول سورة «الجن» مع رجوع النبيﷺ من الطائف، وكان قد سافر إليها سنة ١٠ من بعثته ليعرض الإسلام على أهلها، فيكون نزول سورة الأعراف فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء[٣].

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٢١٣).
(٢) الموسوعة القرآنية خصائص السور، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط:١ -١٤٢٠ه. (٣/ ٨٥).
(٣) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣/ ٩٥).

٤. مقاصد سورة الأعراف:

مهدت سورة الأعراف لمقاصدها ببيان عظمة الكتاب، وجلال هدايته، وقوة حجته في توضيح الدعوة، وإنذار المخالفين بها.

١. تناولت أهداف الدعوة في مكة، وبينت أصول تلك الدعوة وهي: توحيد الله في العبادة والتشريع، وتقرير البعث والجزاء، وتقرير الوحي والرسالة بوجه عام، وتقرير رسالة محمدﷺ بوجه خاص.

سلكت السورة، في طريقة عرض هذه الحقائق، أسلوبين بارزين:

أحدهما: أسلوب التذكير بالنِّعم، من نعمة خلقهم وتصويرهم، وتمتعهم بخيرات الله في هذا الكون.

والأخر: أسلوب التخويف من العذاب والنَّقم. فهو ظاهر في قصص الأنبياء فيها.

٢. ساقت لنا السورة ما دار بين الأنبياء وأقوامهم، وسجلت السورة جزاء المكذبين بأمر الله الخارجين على دعوة رسله وهدايتهم، وهي ظاهرة تكررت الإشارة إليها في سور القرآن المكية، تحذيرًا لأهل مكة أن يصيبهم ما أصاب الأمم من قبلهم.

٥. المناسبة بين سورة الأنعام والأعراف:

١. ذُكر في سورة الأعراف الإنذار والاعتبار بقصص الأولين وأحوالهم، وقد أخذ المشركون في هذا الترهيب والترغيب، بعد أن أخذوا في سورة الأنعام بطريق النظر والدليل، ولهذا ذكرت سورة الأعراف بعدها.

٢. تشبه سورة الأعراف الأنعام في الطول.

٣. فصَّل في سورة الأعراف من أخبار الأوَّلين ما أجمل في سورة الأنعام.

.....

مقدمة في اتباع القرآن الكريم والاهتداء بهديه، ولله على عبادة اتباعه وطاعته في كل شيء (١-٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ ﴾

ليس لهذه الفواتح في اللغة العربية معان مستقلة، ولم يرد من طريق صحيح عن النبيﷺ، بيان للمراد منها. بيد أن آراء السلف على كثرتها، ترجع إلى رأيين اثنين.

أحدهما: أنها جميعا مما استأثر الله به ولا يعلم معناه أحد سواه، وهذا رأي كثير من الصحابة والتابعين.

وثانيهما: أن لها معنى. وقد ذهبوا في معناها مذاهب شتى:

١. أنها أسماء للسور التي بدأت بها.
٢. أنها رموز لبعض أسماء الله تعالى وصفاته.
٣. المقصود منها تنبيه السامعين المعرضين عن القرآن للاستماع إليه.
٤. حروف ذكرت للتحدي وبيان إعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها[1].

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ حَرَجٌ ﴾... شك، وضيق من تبليغه.

قوله: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ قال الكسائي: أي: هذا كتاب، ﴿ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ صفة له ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾.

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور (٣/ ٨٥).

١. لا يكن في صدرك ضيق من إبلاغه إلى الناس مخافة أن يكذبوك ويؤذوك فإن الله حافظك وناصرك.

٢. لا يضق صدرك حيث لم يؤمنوا به ولم يستجيبوا لك فإنما عليك البلاغ.

٣. هذا النهي لهﷺ من باب التعريض، والمراد أمته، أي: لا يشك أحدٌ منهم في ذلك.

قوله: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ أي: لتنذر الناس بالكتاب الذي أنزلناه إليك. قوله: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: وذكر به ذكرى، وتخصيص الذكرى بالمؤمنين؛ لأنَّهم الذين ينجع فيهم ذلك، وفيه إشارة إلى تخصيص الإنذار بالكافرين.

تدبر: لماذا يأتي ذكر القرآن الكريم بعد ذكر الحروف المقطعة غالبًا؟

الحروف المقطعة في أوائل السور أعقبت بذكر القرآن، أو الوحي، أو ما في معنى ذلك؛ وذلك يرجح أن المقصود من هذه الحروف التهجي، إبلاغًا في التحدي للعرب بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن. التحرير والتنوير لابن عاشور(٨/١٠).

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ يعني: الكتاب ومثله السنة لقوله:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ الحشر: ٧ قيل: وهو أمر للنبيﷺ ولأمته، وقيل: هو أمر للأمة بعد أمرهﷺ بالتبليغ. قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ قيل: هو نهي للأمة عن أن يتبعوا أولياء من دون الله يعبدونهم، وقيل: لا تتبعوا من دون كتاب الله أولياء تقلدونهم في دينكم كما كان يفعله أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحللونه لهم ويحرمونه عليهم. قوله: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكرًا قليلًا.

تدبر: ما التوجيه القرآني لمن يترك النص ليتبع الأفكار والآراء؟

دلت الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص. تفسير القرطبي(٩/١٥١).

ضَربُ مثلٍ لسنة الله في خلقه، وإهلاكه للأمم الكافرة، والاعتراف لحظة العقاب لا قيمة له (٤-٧).

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

السراج: ﴿ بَأْسُنَا ﴾ عذابنا. ﴿ بَيَٰتًا ﴾ نائمين ليلًا. ﴿ قَآئِلُونَ ﴾ نائمون في نصف النهار.

قوله: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا ﴾ أي: أردنا إهلاكها. قوله: ﴿ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾ المعنى: أهلكناها وجاءها بأسنا، وقيل: إن الإهلاك واقع لبعض أهل القرية فيكون المعنى: وكم من قرية أهلكنا **بعض** أهلها فجاءها بأسنا فأهلكنا الجميع **وقيل** المعنى: وكم من قرية **حكمنا** بإهلاكها فجاءها بأسنا ﴿ بَيَٰتًا ﴾ أي: ليلًا وهم نائمون. قوله: ﴿ أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ والقيلولة: هي نوم نصف النهار. وقيل: هي مجرد الاستراحة في ذلك الوقت لشدة الحر من دون نوم.

تدبر: لماذا خُصَّ هذان الوقتان (وقت الليل ووقت القيلولة) بنُزول العذاب فيهما؟

خصَّ الوقتين؛ لأنهما وقت السكون والدعة فمجيء العذاب فيهما أشد وأفظع الشوكاني (٢/ ٢١٥)، وقيل: لأنهما وقت غفلة ولهو. تفسير ابن كثير (٢/١٩٢).

﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

الدعوى: الدعاء، أي: فما كان دعاؤهم ربهم عند نزول العذاب إلا اعترافهم بالظلم على أنفسهم.

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾

قوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ هذا وعيد شديد، والسؤال للقوم الذين أرسل الله إليهم الرُّسل من الأمم السالفة للتقريع والتوبيخ، أي: لنسألنهم عما أجابوا به رسلهم عند دعوتهم، ﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: الأنبياء الذين بعثهم الله، أي: نسألهم عما أجابَ به أممُهم عليهم ومن أطاع منهم ومن عصى وقيل: المعنى: فلنسألن الذين أُرسل إليهم: يعني: الأنبياء، ولنسألنَّ المرسلين: يعني الملائكة.

تدبر: هل يُعارض هذه الآية قولَ الله سبحانه: ﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾؟

الجواب: الآخرة مواطن، ففي موطن يسألون، وفي موطن لا يسألون، وهكذا سائر ما ورد مما ظاهره التعارض بأن أثبت تارة ونفى أخرى بالنسبة إلى يوم القيامة، **فإنه محمول على تعدد المواقف مع طول ذلك اليوم** طولًا عظيمًا.

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾

قوله {﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ أي: على الرسل والمرسل إليهم ما وقع بينهم عند الدعوة منهم لهم بعلم لا بجهل، أي: عالمين بما يُسِرُّون، وذلك أن الكتاب يوضع يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون. ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ عنهم في حال من الأحوال حتى يخفى علينا شيء مما وقع بينهم.

.....

الحساب العادل يوم القيامة، وجعل البشر في ساحة الاختبار وتسخير الأرض لهم (٨-١٠).

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَٱلْوَزْنُ ﴾... وزن أعمال العباد. ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾... العدل.

قوله: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: الوزن في هذا اليوم العدل الذي لا جور فيه.

واختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن الكائن في هذا اليوم:

١. وزن صحائف أعمال العباد بالميزان وزنًا حقيقيًا، وهذا هو الصحيح.
٢. توزن نفس الأعمال وإن كانت أعراضًا فإن الله يقلبها يوم القيامة أجسامًا كما جاء في الخبر الصحيح: «إن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف». وكذلك ثبت في الصحيح أنه يأتي القرآن في صورة شاب شاحب اللون ونحو ذلك.
٣. الميزان: الكتاب الذي فيه أعمال الخلق.
٤. الوزن والميزان: بمعنى العدل والقضاء، وذكرهما من باب ضرب المثل.

وقد ورد ذكر الوزن والموازين في مواضع من القرآن كقوله: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٤٧]. والفاء في ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ الأعراف: ٨ للتفصيل أي: فمن رجحت أعماله الصالحة الموزونة.

وظاهر جمع الموازين المضافة إلى العامل أن لكل واحد من العاملين موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله، **وقيل:** هو ميزان واحد عبر عنه بلفظ الجمع.

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ ﴾ وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل. والباء في ﴿ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ سببية، ومعنى يظلمون: يكذبون.

صح عند الترمذي والحاكم وصححه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون

سجلًا، كل سجل منها مد البصر، فيقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب! فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة».

تدبر: السؤال: ما الحكمة من وزن الأعمال مع علم الله تعالى بها؟

فإن قلت: أليس الله عز وجل يعلم مقادير أعمال العباد؟ فما الحكمة في وزنها؟ قلت: فيه حكم، منها: إظهار العدل، وأن الله عز وجل لا يظلم عباده ... ومنها: تعريف العباد ما لهم من خير وشر، وحسنة وسيئة. محاسن التأويل للقاسمي(١/٢٩٧).

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ مَكَّنَّٰكُمْ ﴾ مكنا لكم فيها، وجعلناها لكم قرارًا. ﴿ مَعَٰيِشَ ﴾... ما تعيشون به.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: جعلنا لكم فيها مكانًا، وهيأنا لكم فيها أسباب المعايش. ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ والمعايش: ما يتعايش به من المطعوم والمشروب وما تكون به الحياة.

قوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ فيما صنعت إليكم.

.....

قصة آدم عليه السلام وعداوة الشيطان لبني البشر، وخطر الكبر والحسد على الإنسان (١١-١٨).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾

١. خلقناكم نطفًا ثم صورناكم بعد ذلك.

٢. خلقنا آدم من تراب ثم صورناكم في ظهره.

٣. ﴿ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ يعني: آدم، ذُكر بلفظ الجمع؛ لأنَّه أبو البشر ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾راجع إليه، ويدل عليه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم.

٤. ولقد خلقنا الأرواح أولًا، ثم صورنا الأشباح، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، أي: أمرناهم بذلك فامتثلوا الأمر، وفعلوا السجود بعد الأمر.

قوله: ﴿ إِبْلِيسَ ﴾ قيل: الاستثناء متصل بتغليب الملائكة على إبليس؛ لأنَّه كان منفردًا بينهم، أو كما قيل: لأن من الملائكة جنسًا يقال لهم الجن. قوله: ﴿ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ لكن إبليس لم يكن من الساجدين.

تدبر: ما الذي يفيده المسلم من عدم سجود إبليس لأبيه آدم؟

ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس، وما هو منطوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم؛ ليحذروه، ولا يتبعوا طرائقه. تفسير ابن كثير(٢/١٩٣).

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ جملة مستأنفة جواب سؤال مقدر، كأنه قيل فماذا قال له الله؟ و{لا} في {ألَّا تسجد} زائدة للتوكيد بدليل قوله تعالى في سورة ص {ما منعك أن تسجد}. **قوله:** ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ **قيل:** ما دعاك إلى أن لا تسجد؟ **وقيل:** ما منعك من الطاعة وأحوجك إلى أن لا تسجد إذ أمرتك أي: وقت أمرتك، وقد استدل به على أن الأمر للفور.

وجملة ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر، **كأنه قيل:** فما قال إبليس؟ وإنما قال في الجواب: أنا خير منه، وهذا اعتقاده أنه أفضل منه. ثم علل ما ادعاه من الخيرية **بقوله:** ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ اعتقادًا منه أن عنصر النار أفضل من عنصر الطين. وقد أخطأ عدو الله فإن عنصر الطين أفضل من عنصر النار من جهة رزانته وسكونه وطول بقائه وهي خفيفة مضطربة سريعة النفاد، والطين موجود في الجنة دونها، والنار عذاب دون الطين.

وقد ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من نار، وخلق آدم مما وصفه لكم».

تدبر: وضح خطورة التعليل العقلي المعارض للأمر الرباني من واقع امتناع سجود إبليس لآدم ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ ؟

هذا تعليلٌ علَّلَ به إبليس امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس؛ إذ ليس كفره كفر جحود. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/٢٩٧).

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ ... الحقيرين، الذليلين.

وجملة ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا ﴾

١. اهبط من السماء التي هي محل المطيعين من الملائكة الذين لا يعصون الله فيما أمرهم إلى الأرض التي هي مقر من يعصي ويطيع.
٢. وقيل: المراد هبوطه من الجنة.
٣. وقيل: من زمرة الملائكة.

قوله: ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ أي: فإن السماء لا تصلح لمن يتكبر ويعصي أمر ربه مثلك.

وجملة ﴿ فَٱخۡرُجۡ ﴾ لتأكيد الأمر بالهبوط، وجملة ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ تعليل للأمر، أي: إنك من أهل الصِّغار والهوان على الله وعلى صالحي عباده، وهكذا كل من تردى برداء الاستكبار عوقب بِلُبس رِداء الهَوان والصَّغار، ومن لَبِس رداء التواضع ألبسه اللهُ رداءَ التَّرفع.

تدبر: ﴿ فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: الذليلين الحقيرين؛ معاملة له بنقيض قصده، مكافأة لمراده بضده. تفسير القرآن العظيم لابن كثير(٢/١٩٥).

﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَنظِرۡنِيٓ ﴾... أمهلني.

وجملة ﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ أي: أمهلني إلى يوم البعث، وكأنه طلب أن لا يموت؛ لأن يوم البعث لا موت بعده، والضمير في ﴿ يُبۡعَثُونَ ﴾ لآدم وذريته.

﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

فأجابه الله بقوله: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ أي: المُمهلين إلى ذلك اليوم، ثم تُعاقب بما قضاه الله لك، وأَنزله بكَ في دركات النار. قيل: الحكمة في إنظاره ابتلاء العباد ليعرف من يُطيعه ممن يَعصيه.

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ ﴾... لأترَصَّدنَّهم، وأصُدَنَّهم.

وجملة ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ أي: فبإغوائك إياي حتى تركت السجود لآدم، فعاقبتني العقوبة المهلكة لأجهدن في إغوائهم، حتى يفسدوا بسببي، كما فسدتُ بسبب تركي السجود لأبيهم. ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ واللام في لأقعدن لام القسم، والصراط المستقيم: هو الطريق الموصل إلى الجنة.

﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله: ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ ذكر الجهات الأربع؛ لأنها هي التي يأتي منها العدو عدوه، ولهذا ترك ذكر جهة الفوق والتحت؛ لأن الرحمة تنزل من فوقهم. **وقيل**: المراد من بين أيديهم من دنياهم، ومن خلفهم من آخرتهم، وعن أيمانهم من جهة حسناتهم، وعن شمائلهم من جهة سيئاتهم. قوله: ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ أي: وعندما أفعل ذلك لا تجد أكثرَهم شاكرين؛ لتأثير وسوستي فيهم، وإغوائي لهم. وعبر بالشكر عن الطاعة، أو هو على حقيقته وأنهم لم يشكروا الله بسبب الإغواء.

تدبر: لماذا لم يقل الله تعالى حكاية عن قول إبليس: «من فوقهم»؟

قال ابن عباس وعكرمة: في قوله تعالى عن إبليس: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ قال: ولم يقل من فوقهم؛ لأنه علم أن الله من فوقهم. مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٤٠).

﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿مَذۡءُومٗا ﴾ ممقوتًا، مذمومًا. ﴿مَّدۡحُورٗا ﴾... مطرودًا.

وجملة ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾ أي: من السماء أو الجنة أو من بين الملائكة ﴿مَذۡءُومٗا ﴾

أي مذمومًا، وقيل: المذءُوم: المنفي، ﴿مَّدۡحُورٗا ﴾ والمدحور: المطرود.

قوله: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ ﴾ قسم وإنذار منه تعالى لمن ترك طاعة الرحمن، واتبع سبيل الشيطان.

القراءات:

١. قرأ الجمهور {لَمن} بفتح اللام على أنها لام القسم، وجوابه لأملأن جهنم منكم أجمعين.
٢. وقرأ عاصم في رواية عنه {لِمن} تبعك بكسر اللام، وأنكره بعض النحويين. قال النحاس: وتقديره والله أعلم: من أجل من اتبعك.

.....

إغواء إبليس لآدم عليه السلام، وبيان أثر المعصية على البشر، وتزيين الشيطان للبشر أن المُحرَّم له اعتبار عند البشر، وفي اتباع الشيطان كشف العورات، وتشرع التوبة والدعاء والأرض مكان الامتحان (١٩-٢٥).

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ أي: وقلنا يا آدم. قال له هذا القول بعد إخراج إبليس من الجنة، أو من السماء، أو من بين الملائكة. قوله: ﴿ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ أي: من أي نوع من أنواع الجنة شئتما أكله. قوله: ﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ أباح لهم جميع شجر الجنة ما عدا هذه الواحدة، ولم يرد في تعيين نوعها خبر صحيح، ولا جدوى من البحث في ذلك.

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ مَا وُۥرِيَ ﴾ ما ستر، وأخفي. ﴿ سَوۡءَٰتِهِمَا ﴾ عوراتهما.

قوله: ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ الوَسْوَسة: الصوت الخفي، أي حدثهما بصوت خفي، ﴿ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا ﴾ أي: ليظهر لهما. قوله: ﴿ مَا وُۥرِيَ ﴾ أي: ما ستر وغطي عنهما من سوآتهما سَمَّى الفرج سوءة؛ لأن ظهوره يسوء صاحبه، أراد الشيطان أن يسوءهما بظهور ما كان مستورًا عنهما من عوراتهما، فإنهما كانا لا يريان عورة أنفسهما ولا يراها أحدهما من الآخر، وقيل: إنما بدت عورتهما لهما لا لغيرهما، وكان عليهما نور يمنع من رؤيتها ﴿ وَقَالَ ﴾ أي: الشيطان لهما ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا ﴾ عن أكل هذه الشجرة ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا

﴿ مَلَكَيْنِ ﴾ التقدير لئلا تكونا ملكين. ﴿ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ في الجنة أو من الذين لا يموتون.

اختلف الناس في هذه المسألة فضل الله الملائكة على جميع الخلق، اختلافًا كثيرًا وأطالوا الكلام في غير طائل، وليست هذه المسألة مما كلفنا الله بعلمه، فالكلام فيها لا يعنينا.

القراءات:

وقرأ ابن عباس ويحيى بن أبي كثير والضَّحاك «ملِكين» بكسر اللام، وأنكر أبو عمرو بن العلاء هذه القراءة وقال: لم يكن قبل آدم ملِك فيصيرا ملِكين. وهل يجوز أن يتوهم على آدم عليه السلام أن يصل إلى أكثر من ملك الجنة وهي غاية الطالبين، **وإنما معنى** ﴿ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ طه: ١٢٠ المُقام في ملك الجنة والخلود فيه.

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾... أقسم وحلف لهما.

قوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ أي: حلف لهما فقال: أقسم إقسامًا أي: حلف، والمراد بها هنا المبالغة في صدور الأقسام لهما من إبليس، **وقيل**: إنهما أقسما له بالقَبول كما أقسم لهما على المناصحة.

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ فجرأهما، وأغراهما. ﴿ وَطَفِقَا ﴾ شرعا، وأخذا. ﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ يلزقان.

قوله: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ التدلية والإدلاء: إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل، والمعنى: قيل: أنه أهبطهما بذلك من الرتبة العلية إلى الأكل من الشجرة **وقيل**: أوقعهما في الهلاك **وقيل**: خدعهما. وقيل: جرأهما على المعصية فخرجا من الجنة. **وقال محمد بن كعب**: مناهما بغرور.

قوله: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾ أي: لما طعماها ظهرت لهما عوراتهما بسبب زوال ما كان ساترا لها وهو تقلص النور الذي كان عليها. قوله: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ طفق يفعل كذا: بمعنى شرع يفعل كذا.

القراءات:

١. قرأ الحسن «**يخِصّفان**» بكسر الخاء وتشديد الصاد.

٢. وقرأ ابن بريدة ويعقوب «**يَخَصِفَانِ**» بفتح الخاء.

٣. وقرأ الزهري «**يُخْصِفَانِ**».

٤. وقرأ الجمهور «**يَخْصِفَانِ**».

والمعنى: أنهما أخذا يقطعان الورق قيل كانت أوراق التين ويلزقانها بعورتهما ليستراها، وعن مجاهد في قوله: ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾ قال: يرقعان كهيئة الثوب. وناداهما ربهما قائلًا لهما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ التي نهيتكما عن أكلها، وهذا عتاب من الله لهما وتوبيخ حيث لم يحذرا ما حذرهما منه ﴿ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي: مظهر للعداوة. **قال آدم: رب إنه حلف لي بك، ولم أكن أعلم أن أحدًا من خلقك يحلف بك إلا صادقًا.**

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ كأنه قيل: فماذا قالا؟ وهذا منهما اعتراف بالذنب، وأنهما ظلما أنفسهما مما وقع منهما من المخالفة، ثم قالا: ﴿ وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ قال الحسن البصري: ربنا ظلمنا... هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه.

تدبر: الفرق بين المغفرة والرحمة في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾. فالمغفرة إزالة السيئات، والرحمة إنزال الخيرات. مجموع فتاوى لابن تيمية:(١٤٢/٣).

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ الخطاب لآدم وحواء وذريتهما، أو لهما ولإبليس، وجملة ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ جعل العداوة نوعًا من العقوبة. ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي: موضع استقرار ﴿ وَمَتَٰعٌ ﴾ تتمتعون به في الدنيا وتنتفعون به من المطعم والمشرب ونحوهما ﴿ حِينٍ ﴾ أي: إلى وقت، وهو وقت موتكم.

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ أي: في الأرض تحيون، وفيها يأتيكم الموت، ومنها تخرجون إلى دار الآخرة. ومثله قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه:٥٥].

الابتلاء في الحياة الدنيا، ومعونة الله تعالى وتحذير الله للبشر، من اتباع الشيطان الذي قرر الحسد في صدره على آدام عليه السلام وبدء عداوته له (٢٦-٢٧).

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾.

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة. ﴿ وَرِيشٗا ﴾ لباس الزينة.

قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ عبر سبحانه بالإنزال عن الخلق: أي خلقنا لكم لباسًا ﴿ يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ يواري سوآتكم التي أظهرها إبليس من أبويكم، والسَّوءة: العورة.

القراءات في قوله: ﴿ وَرِيشٗا ﴾

١. قرأ الحسن وعاصم من رواية المفضل الضبي وأبو عمرو من رواية الحسن بن علي الجُعفي «وَرِياشًا».
٢. وقرأ الباقون «وَرِيشا».

والرياش جمع ريش: وهو اللباس. وقال ابن عباس: هو المال واللباس والعيش والنعيم، وقال القرطبي: والذي عليه أكثر أهل اللغة أن الريش ما ستر من لباس أو معيشة. وقيل المراد بالريش هنا: لباس الزينة لذكره بعد قوله: ﴿ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا ﴾ وعطفه عليه.

قوله: ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ قال ابن عباس: هو الإيمان والعمل الصالح ﴿ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ قال: الإيمان والعمل خير من الريش واللباس.

القراءات:

١. قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي بنصب «لباسَ». عطف على لباس الأول.

٢. وقرأ الباقون بالرفع «لباسُ». على أنه مبتدأ. وجملة ذلك خير خبره.

والمراد بلباس التقوى:

١. لباس الورع، واتقاء معاصي الله، وهو الورع نفسه والخشية من الله.

٢. الحياء.

٣. الإيمان والعمل الصالح.

٤. لباس الصوف والخشن من الثياب لما فيه من التواضع لله.

٥. هو الدِّرع والمِغْفَر الذي يلبسه من يجاهد في سبيل الله، والأول أولى.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي: ذلك الإنزال من آيات الله الدالة على أن له خالقًا.

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ يَفْتِنَنَّكُمُ ﴾... يضلنكم، ويخدعنكم.

ثم كرر الله سبحانه النداء لبني آدم تحذيرًا لهم من الشيطان، فقال: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: لا يوقعنكم في الفتنة، فالنهي وإن كان للشيطان فهو في الحقيقة لبني آدم بأن لا يُفتتنوا بفتنته ويتأثروا لذلك.

قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ أي: لا يفتننكم فتنة مثل إخراج أبويكم من الجنة، وجملة ﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [أوقعهما في المعصية التي كانت عقوبتها ظهور ما كان خافيًا عنهما من السَّوأة] واللام في ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾ لام كي، أي: لكي يريهما.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها مع ما تتضمنه من المبالغة في تحذيرهم منه؛ لأن من كان بهذه المثابة [يرى بني آدم من حيث لا يرونه] كان عظيم الكيد، وكان حقيقًا بأن يُحترس منه أبلغ احتراس ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ أعوانه من الشياطين وجنوده.

وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشياطين غير ممكنة، وليس في الآية ما يدل على ذلك، وغاية ما فيها أنه يرانا من حيث لا نراه، وليس فيها أنا لا نراه أبدًا، فإن انتفاء الرؤية منا له في وقت رؤيته لنا لا يستلزم انتفاءها مطلقًا.

تدبر: كيف تحفظ نفسك من مصائد الشيطان؟

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ٢٧﴾ قال مالك بن دينار: إن عدوًا يراك ولا تراه، لشديد الخصومة والمؤنة، إلَّا من عصم الله. معالم التنزيل للبغوي(٢/٩٧).

.....

تحذير من التقليد الأعمى للآباء في المعاصي، وأمر بالثبات على الاستقامة والعدل والصلاة (٢٨-٣٠).

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ **الفاحشة**: ما تبالغ في فحشه وقبحه من الذنوب. قال أكثر المفسرين: هي طواف المشركين بالبيت عراة. **وقيل**: هي الشرك. **والظاهر**: أنها تصدق على ما هو أعم من الأمرين جميعًا.

والمعنى: أنهم كانوا إذا فعلوا ذنبًا قبيحًا اعتذروا عن ذلك بعذرين: **الأول**: أنهم فعلوا ذلك اقتداء بآبائهم لما وجدوهم مستمرين على فعل تلك الفاحشة **والثاني**: أنهم مأمورون بذلك من جهة الله سبحانه.

وكلا العذرين في غاية البطلان والفساد؛ لأن وجود آبائهم على القبح لا يسوغ لهم فعله، والأمر من الله سبحانه لهم لم يكن بالفحشاء، بل أمرهم باتباع الأنبياء والعمل بالكتب المنزلة ونهاهم عن مخالفتهما.

قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ فكيف تدَّعون ذلك عليه سبحانه، ثم أنكر عليهم ما أضافوه إليه، فقال: ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فيه تقريع وتوبيخ لهم، فإن القول بالجهل إذا كان قبيحًا في كل شيء فكيف إذا كان في التَّقول على الله؟

وإن في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر وأبلغ واعظ للمقلدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق، فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق... وإن من أعجب الغفلة وأعظم الذهول عن الحق اختيار المقلدة لآراء الرجال مع وجود كتاب الله، ووجود سنة رسوله، ووجود من يأخذونَهُما عنه، ووجود آلة الفَهم لديهم وملكة العقل عندهم.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾... بالعدل.

قوله: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ فيه أن الله سبحانه يأمر بالعدل، لا كما زعموه من أن الله أمرهم بالفحشاء. قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ أي: توجهوا إليه في صلاتكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم، أو في كل وقت سجود، أو في كل مكان سجود، على أن المراد بالسجود الصلاة.

قوله: ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: ادعوه أو اعبدوه حال كونكم مخلصين الدعاء، أو العبادة له وقيل: وحدوه ولا تشركوا به.

قوله: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ قيل: كما أنشأكم في ابتداء الخلق يعيدكم. وقيل: كما أخرجكم من بطون أمهاتكم تعودون إليه كذلك ليس معكم شيء.

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ ﴾ أي: تَعُودُون فريقين: سعداء وأشقياء ويقويه قراءة أبي «فريقين فريقًا هدى»، والفريق الذي هداه الله هم المؤمنون بالله المتبعون لأنبيائه، والفريق الذي حقت عليه الضلالة: هم الكفار. قوله: ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: ذلك بسبب أنهم أطاعوا الشياطين في معصية الله، ومع هذا فإنهم ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ولم يعترفوا على أنفسهم بالضلالة، وهذا أشد في تمردهم وعنادهم.

.....

دعوة للالتزام بحسن المظهر، والتمتع بالطيب الحلال، والحياة البشرية مقيدة مقدرة لا ينفلت من أمدها أحد (٣١-٣٤).

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ ﴾ ساترين عوراتكم، متزينين.

سبب نزول الآية:

١. أخرج مسلم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النساء كن يطفن عراة إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

فنزلت خذوا زينتكم عند كل مسجد.

قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ هذا خطاب لجميع بني آدم وإن كان واردًا على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والزينة: ما يتزين به الناس من الملبوس، أمروا بالتزين عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف. وقد استدل **الجمهور** بالآية على وجوب ستر العورة في الصلاة، وفي كل حال من الأحوال وإن كان الرجل خاليًا كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة.

قوله: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ أمر الله سبحانه عباده بالأكل والشرب، ونهاهم عن الإسراف فلا زُهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه وهو من أهل النار، كما صح في الأحاديث الصحيحة، والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه مخالفًا لما أمر الله به وأرشد إليه. وهكذا من حَرَّم حلالًا أو حلل حرامًا، فإنه يدخل في المسرفين ويخرج عن المقتصدين. ومن الإسراف الأكل لا لحاجة، وفي وقت شبع.

تدبر: هل ثمَّ منافع طبية في هذه الآية الكريمة ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾؟

قال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية. التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٣٠٠/١).

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾

سبب نزول الآية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون، فأنزل الله ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾ فأمروا بالثياب أن يلبسوها.

قوله: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ الزينة: ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها والجواهر ونحوها. فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم يكن مما حرمه الله، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطًا بينًا.

قوله: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾ الطيبات من المطاعم والمشارب ونحوهما مما يأكله الناس فإنه لا زهد في ترك الطيب منها، وما أحسن ما قال ابن جرير الطبري: "ولقد أخطأ من آثر لباس الشَّعر والصُّوف على لباس القطن والكتان مع وجود السبيل إليه من حله، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفًا من عارض الشهوة..."[1].

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٢/ ٣٩٦).

قوله: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: أنها لهم بالأصالة وإن شاركهم الكفار فيها ما داموا في الحياة ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: مختصة بهم يوم القيامة لا يشاركهم فيها الكفار. وقال تفسير البغوي: هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين؛ فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم. معالم التنزيل للبغوي(٢/١٠٠).

١. قرأ نافع «**خالصةٌ**» بالرفع، وهي قراءة ابن عباس على أنها خبر بعد خبر.
٢. وقرأ الباقون «خالصةً» بالنصب على الحال.

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: مثل هذا التفصيل نفصل الآيات المشتملة على التحليل والتحريم.

تدبر: ما هو الشيء الذي تدل عليه الآية الكريمة ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ ؟

دلت الآية على لباس الرفيع من الثياب، والتجمل بها في الجمع والأعياد، وعند لقاء الناس، ومزاورة الإخوان. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(٩/٢٠٣).

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ الفواحش هي المعاصي التي اشتدت شناعتها، قوله: ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي: ما أعلن منها وما أسر، **وقيل**: هي خاصة بفواحش الزنا ولا وجه لذلك، ﴿ وَٱلْإِثْمَ ﴾ يتناول كل معصية يتسبب عنها العقاب. **وقيل:** هو الخمر خاصة، قال الشوكاني: ولا دليل على اختصاص الإثم بالخمر.

قوله: ﴿ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أن يظلم الناس بغير حق. والبغي هو المجاوز للحد، وأفرده بالذكر بعد دخوله فيما قبله لكونه ذنبًا عظيمًا كقوله: ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ النحل:٩٠

قوله: ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ أي: وأن تجعلوا الله شريكًا لم ينزل عليكم به حجة. والمراد التهكم بالمشركين؛ لأن الله لا ينزل برهانًا بأن يكون غيره شريكًا له ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بحقيقته وأن الله قاله، وهذا مثل ما كانوا ينسبون إلى الله سبحانه من التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها.

تدبر: ماهي أصول المحرمات من خلال الآية الكريمة؟

أصول المحرمات التي قال الله فيها: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ١٥٦).

تدبر: ما هو ضابط الحسن والقبح المؤثر في التحليل والتحريم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ؟

القبح والحسن في المعاني إنما يُتلقى من جهة الشرع، والفاحش كذلك؛ فقوله هنا: ﴿ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ إنما هي إشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه في مواضع أخرى؛ فكل ما حرمه الشَّرع فهو فاحش وإن كان العقل لا ينكره؛ كلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية:٢/٣٩٥.

تدبر: لماذا أردف الله بذكر الإثم بعد الفواحش في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴿٣٣﴾ ﴾ ؟

إن الفاحشة اسم للكبيرة، والإثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرًا أو صغيرًا. والفائدة فيه: أنه تعالى لما حرم الكبيرة أردفها بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم أن التحريم مقصود على الكبيرة. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٤/ ٢٣٢).

تدبر: من المحرمات ما تباح عند الضرورة إلا القول على الله بغير علم فلا يباح بحال وضح ذلك من خلال الآية الكريمة ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ؟

وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريمًا، وأعظمها إثمًا، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير، الذي يباح في حال دون حال. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية (١/ ٣٧٨).

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ أي: وقت معين محدود ينزل فيه عذابهم من الله أو يميتهم فيه. قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ أي: إذا جاء أجل كل أمة من الأمم كان ما قدره عليهم واقعًا في ذلك الأجل ﴿ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ عنه ﴿ سَاعَةً ﴾ ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ عنه ساعة. وخص السَّاعة بالذِّكر لأنها أقل أسماء الأوقات.

وقد استدل بالآية الجمهور على أن كل ميت يموت بأجله وإن كان موته بالقتل أو التردي أو نحو ذلك، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ المؤمنون: ٤٣.

.....

إرسال الرسل رحمة بالعباد وحجة عليهم، والخلود في جنهم حق لله، سيقضيه على الضالين من خلقه بحكمة (٣٥-٣٧).

﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ والمعنى: إن أتاكم رسل كائنون منكم يخبرونكم بأحكامي ويبينونها لكم ﴿ فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ ﴾ أي: اتقى معاصي الله وأصلح حال نفسه باتباع الرسل، وإجابتهم ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من ظلم أو عذاب ينالهم. ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يوم القيامة على ما أصابهم في الدنيا.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ التي يقصها عليهم رسلنا ﴿ وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا ﴾ عن إجابتها والعمل بما فيها ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ لا يخرجون منها بسبب كفرهم بتكذيب الآيات والرسل.

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ نَصِيبُهُم ﴾... حظهم. ﴿ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾... ما كتب عليهم في اللوح من العذاب.

قوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ﴾ أي: لا أحد أظلم ممن اقترف معصية الكذب على الله فشرع من الدين ما لم يأذن الله به، أو كذَّب بما جاءت به الرسل. والإشارة بقوله: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾ إلى المكذبين المستكبرين ﴿ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ أي: مما كتب الله لهم من خير وشر **وقيل:** ينالهم من العذاب بقدر كفرهم **وقيل:** الكتاب هنا القرآن؛ لأن عذاب الكفار مذكور فيها **وقيل:** هو اللوح المحفوظ.

قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا ﴾ أي: ملك الموت وأعوانه. **قوله:** ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ للتقريع والتوبيخ، أي: أين الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدونها، وجملة ﴿ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا ﴾ استئنافية بتقدير سؤال وقعت هي جوابًا عنه، أي: ذهبوا عنا وغابوا فلا ندري أين هم؟ ﴿ وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ أي: أقروا بالكفر على أنفسهم.

.....

صور من يوم القيامة، وبيانٌ في تلاعن الكافرين وخزيهم وإحاطة جهنم بهم من كل جهة (٣٨-٤١).

﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ أُخۡتَهَا ﴾ نظيرتها التي اقتدت بها. ﴿ ٱدَّارَكُواْ ﴾ تلاحقوا. ﴿ ضِعۡفٗا ﴾ مضاعفًا.

قوله: ﴿ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم ﴾ القائل: هو الله عز وجل، وفي بمعنى مع، أي: مع أمم. والمعنى: ادخلوا في جملتهم ﴿ مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾: هم الكفار من الطائفتين من الأمم الماضية ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ ﴾ من الأمم الماضية ﴿ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾ أي: الأمة الأخرى التي سبقتها إلى النار، وجعلت أختًا لها باعتبار الدين، أو الضلالة، أو الكون في النار، كلما دخل أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك، يلعن المشركون المشركين، واليهود اليهود، والنصارى النصارى، والصابئون الصابئين، والمجوس المجوس، تلعن الآخرة الأولى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا ﴾ أي: تداركوا، والتدارك: التلاحق والتتابع والاجتماع في النار. ﴿ قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ ﴾ وفيها قولان:

١. أي: أخراهم دخولًا لأولاهم دخولًا.

٢. قيل: أخراهم: أي: سفلتهم وأتباعهم لأولاهم لرؤسائهم وكبارهم، وهذا أولى.

قوله: ﴿ فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ الضَّعف: الزائد على مثله مرة أو مرات، ومثله قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨ ﴾ الأحزاب: ٦٨. وجملة ﴿ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ ﴾ استئنافية جوابًا لسؤال مقدر، والمعنى: لكل طائفة منكم

ضعف من العذاب، أي: الطائفة الأولى، والطائفة الأخرى ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ بما لكل نوع من العذاب.

تدبر: ماذا يفاد من حكاية محاورة القادة مع أتباعهم في الآية الكريمة ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾؟

فيما قص الله من محاورة قادة الأمم وأتباعهم ما فيه موعظة وتحذير لقادة المسلمين من الإيقاع بأتباعهم فيما يزج بهم في الضلالة، ويحسن لهم هواهم، وموعظة لعامتهم من الاسترسال في تأييد من يشايع هواهم، ولا يبلغهم النصيحة. التحرير والتنوير لابن عاشور(١٢٥/٨).

تدبر: لماذا أخفى الله تعالى عذاب أهل النار بعضهم عن بعض﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾؟

أخفى الله تعالى عذاب أهل النار بعضهم عن بعض أي: "لا يعلم كل فريق ما بالفريق الآخر؛ إذ لو علم بعض من في النار أن عذاب أحد فوق عذابه، لكان نوع سلوة له". الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢٢٢/٩).

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله: ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ﴾ أي: قال السابقون للاحقين، أو المتبوعون للتابعين ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ بل نحن سواء في الكفر بالله واستحقاق عذابه ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ عذاب النار كما ذقناه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من معاصي الله والكفر به.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ يَلِجَ ﴾... يدخل. ﴿ سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾... ثقب الإبرة.

قوله: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾

١. لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقد دل على هذا الحديث الصحيح «أن الملائكة إذا انتهوا بروح الكافر إلى السماء الدنيا يستفتحون فلا تفتح لهم أبواب السماء».

٢. وقيل: لا تفتح أبواب السماء لأدعيتهم إذا دعوا، قاله مجاهد والنخعي.

٣. وقيل لا تفتح أبواب السماء لأعمالهم، أي: لا تقبل، بل ترد عليهم.

قوله: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ أي: أن هؤلاء الكفار المكذبين المستكبرين لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال، ولهذا علقه بالمستحيل، فقال حتى يلج الجمل في سم الخياط وهو لا يلج أبدًا، وخص الجمل بالذِّكر؛ لكونه يضرب به المثل في كبر الذات، وخص سم الخياط، وهو ثقب الإبرة بالذِّكر؛ لكونه غاية في الضيق، والجمل الذكر من الإبل.

وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الكبير وأبو الشيخ عن ابن مسعود في قوله ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ ﴾ قال: زوج الناقة.

القراءات:

١. قرأ ابن عباس الجُمَّل وهو حبل السفينة. وقيل: الحبل الغليظ من القنب، وقيل: الحبل الذي يصعد به في النَّخل.

٢. وقرأ عبد الله بن مسعود «حتى يلج الجمل الأصغر في سم الخياط» والسَّم: كل ثقب لطيف، ومنه ثقب الإبرة، والخياط ما يخاط به، يقال خياط ومخيط ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أيَّ: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين، أي: جنس من أجرم.

تدبر: ما هو الشيء الذي لا تفتح له أبواب السماء من الكافر على ضوء الآية الكريمة ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ٤٠﴾؟

فلا دعاؤهم يُسمع، ولا بكاؤهم يَنفع، ولا بلاؤهم يُكشف، ولا عناؤهم يُرفع. لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ٥٣٤).

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾

﴿مِهَادٞ﴾ الفراش ﴿غَوَاشٖ﴾ جمع غاشية، أي: نيران تغشاهم من فوقهم كالأغطية {وكذلك نجزي الظالمين} أي: مثل ذلك الجزاء العظيم نجزي من اتصف بصفة الظلم.

تدبر: الجزاء من جنس العمل وضح هذه القاعدة من خلال الآية الكريمة ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ ٤١﴾؟

كما أحاطت العقوبات بهم في الدنيا فتدنّس بالغفلة باطنُهم، وتلوّث بالزّلة ظاهرهُم، فكذلك أحاطت العقوباتُ بجوانبهم، فمن فوقهم عذاب، ومن تحتهم عذاب. لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ٥٣٤).

تدبر: لماذا قال الحق جل جلاله في الآية الأولى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾. وفي الثانية قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾؟

"فكأن الإجرام كان سببًا في ألا يدخلوا الجنة، والظلم كان سببًا في أن يكون من فوقهم غواش، لهم من جهنم مهاد، وهم في النار يحيطهم سرداقها. تفسير الشعراوي (٧/ ٤١٣٩).

نعيم أصحاب الجنة، وإزالة الأحقاد من قلوب أصحاب الجنة، وشرط دخول الجنة شيء مقدور عليه بالعمل الصالح (٤٢-٤٣).

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله: ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ أي: لا نكلف العباد إلا بما يدخل تحت وسعهم ويقدرون عليه، ولا نكلفهم ما لا يدخل تحت وسعهم، ومثله ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ البقرة: ٢٨٦}.

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

سبب نزول الآية: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾.

قوله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ قيل: هذا من جملة ما ينعم الله به على أهل الجنة، أن ينزع الله ما في قلوبهم من الغل على بعضهم بعضًا حتى تصفو قلوبهم ويود بعضهم بعضًا، فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعيم الجنة، لأن المتشاحنين لا يطيب لأحدهم عيش مع وجود الآخر، والغل: الحقد الكامن في الصدور وقيل: نزع الغل في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضًا في تفاضل المنازل.

قوله: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ أي: لهذا الجزاء العظيم، وهو الخلود في الجنة ونزع الغل من صدورهم، والهداية لهذا هي الهداية لسببه من الإيمان والعمل

الصالح في الدنيا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ قرأ ابن عامر **بإسقاط الواو**، وقرأ الباقون **بإثباتها**، وما كنا نطيق أن نهتدي لهذا الأمر لولا هداية الله لنا.

قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ اللام لام القسم، قالوا هذا: لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الجزاء العظيم اغتباطًا بما صاروا فيه بسبب ما تقدم منهم، من تصديق الرسل وظهور صدق ما أخبروهم به في الدنيا من أن جزاء الإيمان والعمل الصالح هو هذا الذي صاروا فيه. **قوله:** ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: وقع النداء لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقيل لهم تلكم الجنة أورثتموها: أي: ورثتم منازلها بعملكم.

قال الزمخشري في **الكشاف**: بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقوله المبطلة انتهى.

أقول: [الكلام للشوكاني في رده على الزمخشري]: يا مسكين! هذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه «سددوا، وقاربوا، واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»، **والتصريح بسبب لا يستلزم نفي سبب آخر**، ولولا التفضل من الله سبحانه وتعالى على العامل بإقداره على العمل لم يكن عمل أصلًا، فلو لم يكن التفضل إلا بهذا الإقدار لكان القائلون به مُحقة لا مبطلة، وفي التنزيل ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ النساء: ٧٠ وفيه ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ النساء: ١٧٥.

أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبيﷺ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: «نودوا: أن صِحُّوا فلا تسقموا، وانعموا فلا تَبأسُوا، وشِبُّوا فلا تَهرَمُوا، واخلُدُوا فلا تموتوا».

تدبر: ما هو وجه التكريم لأهل الجنة في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴿٤٣﴾ ﴾؟

أن تطهير صدور المؤمنين فتولّاه بنفسه. فقال: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴿٤٣﴾ ﴾ لطائف الإشارات = تفسير القشيري (١/ ٥٣٥).

.....

حوار في الآخرة، ومحاورة أهل الجنة وأهل النار(٤٤-٤٥).

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾ مناداة أصحاب الجنة لأصحاب النار لم تكن لقصد الإخبار لهم بما نادوهم به، بل لقصد تبكيتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم، ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا ﴾ أي: إنا قد وصلنا إلى ما وعدنا الله به من النّعيم فهل وصلتم إلى ما وعدكم الله به من العذاب الأليم، ﴿ قَالُوا۟ نَعَمْ ﴾ أي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا. ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ ﴾ أي: فنادى مناد بينهم، أي: بين الفريقين قيل: هو من الملائكة ﴿ لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

القراءات:

١. قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي والبزي بتشديد «أنَّ» وهو الأصل.
٢. وقرأ الباقون بالتخفيف «أن» على أنها المخففة من الثقيلة أو المفسرة.
٣. وقرأ الأعمش بكسر همزة «إن».

تدبر: ما هو الاعتراف الذي لا ينفع صاحبه في ضوء الآية الكريمة؟

الاعتراف الذين لا ينفع صاحبه هو "اعترف أهل النار بحقيقة الدّين، وأقروا بسوء ما عملوا، ولكن حين لم ينفعهم إقرار بحال من الأحوال". وذلك في قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ ﴿٤٤﴾﴾. لطائف الإشارات تفسير القشيري (١/ ٥٣٦).

تدبر: لماذا عبر الله بالماضي بدل المستقبل في قول أهل الجنة أن وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا؟

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ ﴿٤٤﴾﴾ وعبَّر بالماضي عن المستقبل؛ لتحقق وقوعه. صفوة التفاسير، للصابوني. (١/ ٤١٤).

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ صفة للظالمين، والصد: المنع، أي: يمنعون الناس عن سلوك سبيل الحق قوله: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: يطلبون اعوجاجها، أي: ينفرون الناس عنها ويقدحون في استقامتها بقولهم: إنها غير حق وإن الحق ما هم فيه، والعِوج بالكسر في المعاني والأعيان ما لم يكن منتصبًا.

.....

محاورة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار، وعلى المسلم أن يتعوَّذ من بلاء الكافرين ومصيرهم (٤٦-٤٩).

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ حِجَابٌ ﴾ حاجز، وهو سور بينهما، يقال له: (الأعراف). ﴿ بِسِيمَىٰهُمْ ﴾ بعلاماتهم. ﴿ يَطْمَعُونَ ﴾ يرجون دخولها.

قوله: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي: بين الفريقين أو بين الجنة والنار. والحجاب: هو السور المذكور في قوله تعالى ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ [الحديد:١٣]. قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ الأعراف: جمع عُرفٍ، وهي شُرُفَاتُ السُّور المضروب بينهم، ومنه عرف الفرس وعرف الديك والأعراف في اللغة: المكان المرتفع، وهذا الكلام خارج مخرج المدح كما في قوله ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور:٣٧].

أقوال العلماء في أصحاب الأعراف من هم؟

١. الشهداء، ذكره القشيري وشرحبيل بن سعد.
٢. فضلاء المؤمنين فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس، ذكره مجاهد.
٣. قوم أنبياء، ذكره الزجاج.
٤. قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، قاله ابن مسعود وحذيفة بن اليمان وابن عباس والشَّعبي والضَّحاك وسعيد بن جبير.

قوله: ﴿ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾ السِّيما: العلامة أي: يعرفون كلا من أهل الجنة والنار بعلاماتهم كبياض الوجوه وسوادها، أو مواضع الوضوء من المؤمنين.

قوله: ﴿ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ أي: نادى رجال الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي: نادوهم بقولهم: سلام عليكم تحيةً وإكرامًا وتبشيرًا، أو أخبروهم بسلامتهم من العذاب.

قوله: ﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ أي: لم يدخل الجنة أصحاب الأعراف والحال أنهم يطمعون في دخولها وهذا القول مروي عن جماعة منهم ابن عباس وابن مسعود. وقال أبو مجلز: هم أهل الجنة، أي: أن أهل الأعراف قالوا لهم سلام عليكم حال كون أهل الجنة لم يدخلوها والحال أنهم يطمعون في دخولها.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف؟ فقال: «هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال: أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة، فأنتم عتقائي، فارعوا من الجنة حيث شئتم». قال ابن كثير: وهذا مرسل حسن.

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ ﴾

قوله: ﴿ صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ أي: إذا صرفت أبصار أهل الأعراف جهة أصحاب النار، أي: جهة أصحاب النار، ﴿ قَالُواْ ﴾ أي: قال أهل الأعراف ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سألوا الله أن لا يجعلهم منهم.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ ﴾... من استوت حسناتهم وسيئاتهم.

قوله: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا ﴾ من الكفار ﴿ يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ أي: بعلاماتهم ﴿ قَالُواْ ﴾ بدل من نادى ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾ الذي كنتم تجمعون للصد عن سبيل الله، والاستفهام: للتقريع والتوبيخ، قوله: ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾. ما مصدرية: أي وما أغنى عنكم استكباركم.

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ ﴾ هذا من كلام أصحاب الأعراف، أي: قالوا للكفار مشيرين إلى المسلمين الذي صاروا إلى الجنة هذه المقالة. وقد كان الكفار يقسمون في الدنيا عند رؤيتهم لضعفاء المسلمين بهذا القسم، وهذا تبكيت للكفار وتحسير لهم.

قوله: ﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ هذا تمام كلام أصحاب الأعراف، أي: قالوا للمسلمين ادخلوا الجنة، فقد انتفى عنكم الخوف والحزن بعد الدخول.

.....

استغاثة أهل النار بأهل الجنة والرد عليهم بالحرمان من النّعيم (٥٠-٥١).

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ﴾

قوله: ﴿ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾ الإفاضة: التوسعة يقال: أفاض عليه نعمه، طلبوا منهم أن يواسوهم بشيء من الماء أو بشيء مما رزقهم الله من غيره من الأشربة أو الأطعمة، فأجابوا بقولهم: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ أي: الماء وما رزقهم الله من غيره ﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ فلا نواسيكم بشيء مما حرمه الله عليكم وقيل: إن هذا النداء من أهل النار كان بعد دخول أهل الأعراف الجنة.

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ﴾ خدعتهم.

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا ﴾ في محل جر صفة الكافرين. قوله: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ ﴾ أي: نتركهم في النار ﴿ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا ﴾ أي: نسيانًا كنسيانهم لقاء يومهم هذا. قوله: ﴿ وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ أي: ينكرونها.

.....

شرع الله تعالى وكُتبه جاءت تبشيرًا وتحذيرًا ولقيام الحجة على الكافرين (٥٢-٥٣).

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ ﴾ المراد بالكتاب: الجنس، إن كان الضمير للكفار جميعًا، وإن كان للمعاصرين للنبيﷺ، فالمراد بالكتاب القرآن، ﴿فَصَّلْنَٰهُ ﴾{والتفصيل} التبيين، ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ أي: عالمين بما نفصّله ﴿ هُدًى ﴾ للمؤمنين ﴿فِي وَرَحْمَةً ﴾ لهم.

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا ۚ نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ يَنظُرُونَ ﴾ ينتظرون. ﴿ تَأْوِيلَهُۥ ﴾ ما وعدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم. ﴿ وَضَلَّ ﴾... ذهب، وضاع.

قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ هل ينتظرون إلا ما وعِدوا به في الكتاب من العقاب الذي يؤول الأمر إليه. وقيل تأويله: جزاؤه. وقيل: عاقبته. والمعنى متقارب. قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي: تركوه من قبل أن يأتي تأويله ﴿ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أقروا به حيث لا ينفعهم الإقرار برسالات الرسل ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾ استفهام منهم، ومعناه التمني ﴿ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ﴾عند ربنا فيعفينا من عذاب النار.

قوله: ﴿ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا ۚ نَعْمَلُ ﴾ أي: هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل.

ومعنى الآية: هل لنا شفعاء يخلصونا مما نحن فيه من العذاب، أو هل نرد إلى الدنيا فنعمل صالحًا ﴿ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ من المعاصي ﴿ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: لن ينتفعوا بها فكانت أنفسهم بلاء عليهم ومحنة، فكأنهم خسروها كما يخسر التاجر رأس ماله وقيل: خسروا النَّعيم وحظَ الأنفس. ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ أنه بطل كذبهم الذي كانوا يقولونه في الدنيا أو غاب عنهم ما كانوا يجعلونه شريكًا لله، فلم ينفعهم ولا حضر معهم.

.....

قدرة الله في الإنشاء، والكون مظهرٌ فيه دلالات واضحات على وجود الله، وحقه على عباده (٥٤-٥٦).

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ علا، وارتفع. ﴿ يُغْشِى ﴾ يغطي، ويدخل. ﴿ حَثِيثًا ﴾... سريعًا، دائما. ﴿ تَبَارَكَ ﴾ تعالى، وتعاظم، وتنزه.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾.

هذا نوع من بديع صنع الله وجليل قدرته وتفرده بالإيجاد الذي يوجب على العباد توحيده وعبادته. واليوم: من طلوع الشمس إلى غروبها. أقوال العلماء في الأيام:

١. قيل: هذه الأيام من أيام الدنيا.

٢. وقيل: من أيام الآخرة، وهذه الأيام الستة أولها: الأحد، وآخرها: الجمعة، وهو سبحانه قادر على خلقها بكلمة كوني فتكون.

ما هي الحكمة من خلق السماوات والأرض في ستة أيام؟ أراد الله أن يعلم عباده الرفق والتأني في الأمور.

قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾:

مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه، بلا كيف، على الوجه الذي يليق به، مع تنزهه عما لا يجوز عليه، والاستواء لغة: هو العلو والاستقرار.

وعن أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنهما قالت في قوله: ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر. وأخرج اللالكائي عن مالك أن رجلًا سأله كيف استوى على العرش؟ فقال: الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قوله: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ أي: يجعل الليل كالغشاء للنهار فيغطي بظلمته ضياءه.

القراءات:

١. قرأ عاصم وحمزة والكسائي «يُغَشِّي» بالتشديد.

٢. وقرأ الباقون بالتخفيف «يُغشي» وهما لغتان. ولم يذكر في هذه الآية ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ اكتفاء بأحد الأمرين عن الآخر كقوله تعالى ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١].

٣. وقرأ حميد بن قيس: «يُغْشِي» الليلَ النهارَ على إسناد الفعل إلى الليل.

قوله: ﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ أي: حال كون الليل طالبًا للنهار طلبًا حثيثًا لا يفتر عنه بحال، فيقال: ولى حثيثًا، أي: مسرعًا. قوله: ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ قيل: وخلق الشمس والقمر والنجوم حال كونها مسخرات. وقيل: تسير طبقًا لما أراده الله منها دون تخلف.

قوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ إخبار منه سبحانه لعباده بأنهما له، والخلق: المخلوق، والأمر: كلامه. وقيل: الأمر ما يأمر به على التفصيل، أو التصرف في مخلوقاته.

ولما ذكر سبحانه في هذه الآية خلق السماوات والأرض في ذلك الأمد اليسير، ثم ذكره استواءه على عرشه، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، وأن له الخلق والأمر. قال: ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: كثرت بركته واتسعت، وقال الأزهري في تبارك معناه: تعالى وتعاظم.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ تَضَرُّعًا ﴾ متذللين. ﴿ وَخُفْيَةً ﴾... سرًا.

قوله: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ أمرهم الله سبحانه بالدعاء، وقيد ذلك بكون الداعي متضرعًا بدعائه مخفيًا له، والتضرع: من الضراعة، وهي الذلة والخشوع والاستكانة، والخِفية: الإسرار به، فإن ذلك أقطع لعرق الرياء، وأحسم لباب ما يخالف الإخلاص، ثم علل ذلك بقوله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: المجاوزين لما أُمروا به في الدعاء وفي كل شيء. ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل الداعي ما ليس له، كالخلود في الدنيا، أو إدراك ما هو محال في نفسه، أو يطلب الوصول إلى منازل الأنبياء في الآخرة، أو يرفع صوته بالدعاء صارخًا به.

قال الحسن البصري: لقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضي قوله فقال ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [مريم: ٣].

تدبر: هل عبادة السر أفضل أم عبادة العلانية في ضوء قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ؟

والشريعة مقررة أن السر فيما لم يفترض من أعمال البر أعظم أجرًا من الجهر ... قال الحسن بن أبي الحسن: لقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سرًا فيكون جهرًا أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم. تفسير القرطبي (٩/٢٤٤-٢٤٥).

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ نهاهم الله سبحانه عن الفساد في الأرض بوجه من الوجوه، قليلًا كان أو كثيرًا، ومنه قتل الناس، وتخريب منازلهم، وقطع أشجارهم وتغوير أنهارهم. ومن الفساد في الأرض: الكفر بالله والوقوع في معاصيه، ومعنى: ﴿ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ : بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الشرائع. قوله: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ فيه: أنه يُشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفًا وجلًا طامعًا في إجابة الله لدعائه، فإنه إذا كان عند الدعاء جامعًا بين الخوف والرجاء ظفر بمطلوبه. والخوف: الانزعاج من المضار التي لا يُؤمن من وقوعها، والطَّمع: توقع حصول الأمور المحبوبة.

قوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ في هذا ترغيب للعباد إلى الخير وتنشيط لهم، فإن قرب هذه الرحمة التي يكون بها الفوز بكل مطلب مقصود لكل عبد من عباد الله.

تدبر: كيف يسير المسلم في طريق الاستقامة في ضوء الآية؟

﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي وادعو الله خائفين من عقابه، طامعين في ثوابه. فهما كجناحى الطائر، يحملانه في طريق استقامته. فإن انفرد أحدهما هلك الإنسان. التفسير الوسيط -مجمع البحوث (٣/ ١٤٤٢).

تدبر: لماذا اختص أهل الإحسان بالرحمة في قوله: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾؟

اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة، لأنها إحسان من الله أرحم الراحمين، وإحسانه «تبارك وتعالى» إنما يكون لأهل الإحسان؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته. مجموع الفتاوى لابن تيمية(١٥/٢٧).

.....

أدلة على بعث الموتى، وضرب مثل من الأرض الطيبة والخبيثة شبهًا للناس من مؤمن وكافر (٥٧-٥٨).

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ بُشْرًۢا ﴾ مبشرات بالغيث. ﴿ أَقَلَّتْ ﴾ حملت. ﴿ ثِقَالًا ﴾ محملة بالماء.﴿ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ لبلد مجدب.

قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ يتضمن ذكر نعمة من النَّعم التي أنعم بها على عباده مع ما في ذلك من الدلالة على وحدانيته وثبوت إلاهيته.

القراءات:

١. قرأ أهل الحرمين وأبو عمرو «**نُشُرًا**» بضم النون والشين أي: ذات نشر.

٢. وقرأ الحسن وقتادة وابن عامر «**نُشْرًا**» بضم النون وإسكان الشين من نشر.

٣. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي «**نَشْرًا**» على المصدر.

ومعنى هذه القراءات: يرجع إلى النَّشر الذي هو خلاف الطي فكأن الريح مع سُكونَها كانت مطوية ثم ترسل من طيها فتصير كالمنفتحة ننشرها هاهنا وهاهنا.

٤. وقرأ عاصم بشْرا بالباء الموحدة وإسكان الشين جمع بشير، أي: الرياح تبشر بالمطر، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ الروم: ٤٦.

قوله: ﴿ بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ أراد بالرحمة هنا الغيث، والمعنى: أنه سبحانه يُرسل الرياح ناشرات أو مبشرات بين يدي المطر. قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ والمعنى: حتى إذا حملت الرياح سحابًا ثقالًا بالماء الذي صارت تحمله ﴿ سُقْنَٰهُ ﴾ أي: السَّحاب لبلد ميت أي: مُجدب ليس فيه نبات، ﴿ لِبَلَدٍ ﴾ والبلد: هو الموضع العامر من الأرض.

قوله: ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ أي: بالبلد الذي سقناه لأجله أو بالسحاب، أي: أنزلنا بالسحاب الماء الذي تحمله أو بالريح، أي: فأنزلنا بالريح المرسلة بين يدي المطر الماء وقيل إن الباء هنا بمعنى من، أي: فأنزلنا منه الماء ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ﴾ أي: بالماء من كل الثمرات أي: من جميع أنواعها. قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي: مثل ذلك الإخراج، وهو إخراج الثمرات نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي:

تتذكرون فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صـــنعته، وأنه قادر على بعثكم كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها.

﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ نَكِدًا ﴾... عَسِرًا، رديئًا. ﴿ نُصَرِّفُ ﴾ ... نُنَوِّع.

قوله: ﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ ﴾ أي: التربة الطيبة يخرج نباتها بإذن الله وتيسيره إخراجًا حسنًا تامًا وافيًا ﴿ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ أي: والتُّربة الخبيثة لا يخرج نباتها إلا نكدًا، أي: لا خير فيه.

القراءات:

١. وقرأ طلحة بن مصرف «نَكْدًا» بسكون الكاف.
٢. وقرأ ابن القعقاع «نَكَدًا» بفتح الكاف: أي ذا نكد.
٣. وقرأ الباقون «نَكِدًا» بفتح النون وكسر الكاف.

معنى الآية:

١. التشبيه، شبه الله السريع الفهم بالبلد الطيب، والبليد بالبلد الخبيث، ذكره النحاس
٢. وقيل: هذا مَثَلٌ للقلوب، فشبه القلب القابل للوعظ بالبلد الطيب، والنائي عنه بالبلد الخبيث، قاله الحسن.
٣. وقيل: هو مَثَلٌ لقلب المؤمن والمنافق، قاله قتادة.
٤. وقيل: هو مَثَلٌ للطيب والخبيث من بني آدم، قاله مجاهد.

قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ أي: مثل ذلك التصريف ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ ويعترفون بنعمته.

.....

رسالة نوح عليه السلام إلى قومه، ورسالة الأنبياء جميعًا أولها التوحيد، ونهايتها الإيمان بالآخرة وجواب الكافرين للأنبياء يخرج عن المعقول (٥٩-٦٤).

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ ﴾

قوله: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ نوح وهو أول الرسل إلى أهل الأرض بعد آدم، وقد تقدم ذكر نوح في آل عمران فأغنى عن الإعادة هنا، وما قيل من أن إدريس قبل نوح، فقال ابن العربي المالكي: إنه وهم. قال المازري: فإن صح ما ذكره المؤرخون كان محمولًا على أن إدريس كان نبيًا غير مرسل. وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق.

قوله: ﴿ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ استئنافية، جواب سؤال مقدر. قوله: ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ هذه الجملة في حكم العلة لقوله ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: اعبدوه؛ لأنه لم يكن لكم إله غيره، حتى يستحق منكم أن يكون معبودًا.

القراءات:

١. قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وحمزة وابن كثير وابن عامر برفع «**غيرُه**» على أنه نعت لإله على الموضع.

٢. وقرأ الكسائي بالخفض «**غيرِه**» في جميع القرآن على أنه نعت على اللفظ.

وجملة: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ أي: إن لم تعبدوه فإني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، أو عذاب يوم الطوفان.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ ﴾ جملة استئنافية جواب سؤال مقدر، ﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾: أشرافُ القوم ورؤســاؤُهم وقيل: هم الرجال، ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾: العدول عن طريق الحق والذهاب عنه، أي: إنا لنراك في دعائك إلى عبادة الله وحده في ضــلال عن طريق الحق.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

وجملة: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ﴾استئنافية أيضًا جواب سؤال مقدر ﴿ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ كما تزعمون ﴿ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أرسلني إليكم لسوق الخير إليكم ودفع الشر عنكم، نفى عن نفسه الضلالة، وأثبت لها ما هو أعلى منصبًا وأشرف رفعة وهو أنه رسول الله إليهم.

تدبر: في جواب نوح عليه السلام لقومة بقوله ﴿ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ منهج للدعاة وضح ذلك؟

في جواب نوح عليه السلام لقومه منهج للدعاة، ذكره تفســير ابن عطية في قوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ مبالغة في حســن الأدب، والإعراض عن الجفاء منهم، وتناول رفيق، وسعة صدر حسبما يقتضيه خلق النبوة. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(٢/٤١٥).؟

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

وجملة: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى ﴾ ما أرســله الله به إليهم مما أوحاه إليه ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ أخلص النية لكم عن شوائب الفساد، وجملة: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بإخبار الله له بذلك.

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ ﴾ كأنه قيل: استبعدتم وعجبتم أو أكذبتم وعجبتم أو أنكرتم وعجبتم ﴿ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾أي: وحي وموعظة ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾أي: على لسان رجل منكم تعرفونه، ولم يكن ذلك على لسان من لا تعرفونه أو لا تعرفون لغته، **وقيل:** على بمعنى مع، أي: مع رجل منكم لأجل أن ينذركم به ولتتقوا ما يخالفه.

﴿ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ بسبب ما يفيده الإنذار لكم والتقوى منكم من التعرض لرحمة الله سبحانه لكم ورضوانه عنكم.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ عَمِينَ ﴾ عمي القلوب عن رؤية الحق.

قوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾ أي: فبعد ذلك كذبوه ولم يعملوا بما جاء به من الإنذار ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ من المؤمنين به المستقرين معه في الفلك ﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ واستمروا على ذلك ولم يرجعوا إلى التوبة، وجملة ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ علة لقوله ﴿ وَأَغْرَقْنَا ﴾أي: أغرقنا المكذبين لكونهم عمي القلوب لا تنجح فيهم الموعظة ولا يفيدهم التذكير.

تدبر: لماذا قدم الله الإنجاء للمؤمنين على الإغراق للكافرين في قوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾؟ "فقدم الإنجاء للاهتمام بإنجاء المؤمنين، وتعجيلًا لمسرة السامعين من المؤمنين بأن عادة الله إذا أهلك المشركين أن ينجي الرسول والمؤمنين". التحرير والتنوير لابن عاشور(٨/١٩٧).

رسالة هود عليه السلام ومهمة الأنبياء أنهم يُبلغون رسالة الله، وينصحون أقوامهم والتذكير بالأمم السابقة فيه عبرة للعقلاء (٦٥-٧٢).

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾أي: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم، أي: واحدًا من قبيلتهم أو صاحبهم، وسماه أخًا؛ لكونه ابن آدم مثلهم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ قال: ليس بأخيهم في الدين، ولكنه أخوهم في النسب لأنه منهم فلذلك جُعِلَ أخاهم. وعاد هو من ولد سام بن نوح، وهودًا عطف بيان. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان عُمرُ هود أربعمائة سنة واثنتين وسبعين سنة. [وقبيلة عاد تقيم في الأحقاف في حضرموت باليمن]. وأخرج البخاري في تاريخه وابن جرير وابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قبر هود بحضرموت في كثيب أحمر عند رأسه سدرة. وأخرج ابن عساكر عن عثمان بن أبي العاتكة قال: قبلة مسجد دمشق قبر هود.

والاستفهام في ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ للإنكار.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ سَفَاهَةٍ ﴾ خفة عقل.

﴿ سَفَاهَةٍ ﴾ السفاهة: الخفة والحمق، نسبوه إلى الخفة والطيش، ولم يكتفوا بذلك حتى قالوا ﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ مؤكدين لظنهم كذبه فيما ادعاه من الرسالة.

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الأعراف: ٦٧

أجاب عليهم بنفي السفاهة عنه، واستدرك من ذلك بأنه رسول رب العالمين.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

سبق تفسير الآية في قصة نوح عليه السلام

تدبر: صفات يجب أن يتحلى بها الداعية في دعوته في ضوء قوله: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ ؟

"وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل: البلاغ، والنصح، والأمانة". تفسير القرآن العظيم. لابن كثير(٢/٢١٥).

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ بَصْۜطَةً ﴾ ... قُوَّةً، وَضَخَامَةً. ﴿ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾... نِعَمَ اللهِ.

قوله: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾

تقدم تفسيرها في قصة نوح التي قبل هذه القصة. قوله: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ أُذكرهم نعْمةً من نِعم الله عليهم، وهي: أنه ﴿ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾، أي: جعلهم سكان الأرض التي كانوا فيها، أو جعلهم ملوكًا.

قوله: ﴿ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ أي: طولًا في الخلق، وعظم جسم، زيادة على ما كان عليه آباؤهم في الأبدان. وأخرج ابن عساكر عن وهب قال: كان الرجل من عاد ستين ذراعًا بذراعهم، وكان هامة الرجل مثل القبة العظيمة، وكان عين الرجل لتفرخ فيها السباع، وكذلك مناخرهم... إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصـــراع من الحجارة لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يقلوه.

قوله: ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ الآلاء: هي النِّعم ومنها نِعمة الاستخلاف في الأرض، والبسطة في الخلق وغير ذلك مما أنعم به عليهم، وكرر التذكير؛ لزيادة التقرير، ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ إن تذكرتم ذلك؛ لأن الذكر للنعمة سبب باعث على شكرها، ومن شكر فقد أفلح.

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ ﴾استنكروا عبادة الله وحده دون معبوداتهم التي جعلوها شركاء لله، وإنما كان هذا مستنكرًا عندهم؛ لأنهم وجدوا آباءهم على خلاف ما دعاهم إليه ﴿ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾أي: نترك الذي كانوا يعبدونه.

قوله:﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾هذا استعجال منهم للعذاب الذي كان هود يعدهم به، لشدة تمردهم على الله ونكوصهم عن طريق الحق.

﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ رِجْسٌ ﴾عَذَابٌ.

قوله: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾أي: استحققتم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، جعل ما هو متوقع كالواقع تنبيهًا على تحقق وقوعه، كما ذكره أئمة المعاني والبيان، **وقيل:** معنى وقع وجب.

والرجس: العذاب، **وقيل:** هو هنا الرين على القلب بزيادة الكفر، ثم استنكر عليهم ما وقع منهم من المجادلة، فقال: ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ ﴾ يعني: أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها جعلها أسماء، لأن مسمياتها لا حقيقة لها بل تسميتها بالآلهة باطلة، فكأنها معدومة لم توجد بل الموجود أسماؤها فقط ﴿ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾أي: سميتم بها معبوداتكم من جهة أنفسكم أنتم وآباؤكم ولا حقيقة لذلك ﴿ مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾أي: من حجة تحتجون بها على ما تدعونه لها من الدعاوى الباطلة ثم توعدهم بأشد وعيد فقال ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾أي: فانتظروا ما طلبتموه من العذاب فإني معكم من المنتظرين له، وهو واقع بكم لا محالة ونازل عليكم بلا شك. وأخرج ابن عساكر قال: لما أرسل الله الريح على عاد اعتزل هود ومن معه من المؤمنين من الريح إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ به الأنفس، وإنها لتمر بالعادي فتحمله بين السماء والأرض وتدمغه بالحجارة.

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ .. ﴾ أَهْلَكْنَاهُمْ جَمِيعًا.

قوله: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ثم أخبر الله سبحانه أنه نجى هودًا ومن معه من المؤمنين به من العذاب النازل بمن كفر به ولم يقبل رسالته، وأنه قطع دابر القوم المكذبين، أي: استأصلهم جميعًا. قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ

﴿مُؤْمِنِينَ﴾ معطوفة على كذبوا، أي: استأصلنا هؤلاء القوم الجامعين بين التكذيب بآياتنا وعدم الإيمان.

رسالة صالح عليه السلام والتذكير بالآيات والنّعم طريقٌ من طرق الدعوة إلى الله تعالى (٧٣-٧٩).

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ أي: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم، وثمود: قبيلة [كانت تسكن الحِجر من بلاد العرب شمال المدينة المنورة، بين الحجاز والشام ووادي أم القرى] وسموا باسم أبيهم، وهو ثمود بن عاد بن إرم بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، {وصالح} عطف بيان، وهو صالح بن عبيد بن أسف بن ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود.

قوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ قد تقدم تفسيره في قصة نوح ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي: معجزة ظاهرة، وهي إخراج الناقة من الحجر الصلد، وجملة ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ في إضافة الناقة إلى الله؛ تشريف لها وتكريم. التسهيل لعلوم التنزيل. لابن جزي (١/٣٦٠).

قوله: ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ﴾ أي: دعوها تأكل في أرض الله، فهي ناقة الله، والأرض أرضه فلا تمنعوها مما ليس لكم ولا تملكونه ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ ولا تمسوها بشيء من السوء، أي: لا تتعرضوا لها بوجه من الوجوه التي تسوؤها. **قوله:** ﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ هو جواب النهي: أي إذا لم تتركوا مسها بشيء من السوء أخذكم عذاب أليم، أي: شديد الألم.

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ وَبَوَّأَكُمْ ﴾ أَسْكَنَكُمْ وَمَكَّنَ لَكُمْ. ﴿ وَلَا تَعْثَوْا ﴾ لَا تَسْعَوْا.

قوله: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ ﴾ أي: استخلفكم في الأرض أو جعلكم ملوكًا فيها، كما تقدم في قصة هود ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: جعل لكم فيها مباءة، وهي المنزل الذي تسكنونه. ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ أي: تتخذون من سهولة الأرض [اللبن والآجُرّ] قصورًا، أو هذه الجملة مُبينة لجملة: ﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ قد كانوا لقوتهم، وصلابة أبدانهم ينحتون الجبال، فيتخذون فيها كهوفًا يسكنون فيها؛ لأن الأبنية والسقوف كانت تفنى قبل فناء أعمارهم. **قوله:** ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ تقدم تفسيره في القصة التي قبل هذه. **قوله:** ﴿ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ لا تكثروا فيها من الفساد.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

قوله: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾ أي: قال الرؤساء المستكبرون من قوم صالح ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ ﴾ أي: للمستضعفين الذين استضعَفَهم المستكبرون، ﴿ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ إنْ عاد الضمير ﴿ مِنْهُمْ ﴾ إلى الذين استضعفوا، كان بدل البعض من الكل؛ لأن في المستضعفين من ليس بمؤمن. فإن عاد الضمير إلى ﴿ قَوْمِهِۦ ﴾ كان بدل كل من المستضعفين.

قوله: ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾قالوا هذا على طريق الاستهزاء والسخرية. قوله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ أجابوهم بأنهم مؤمنون برسالته، مع كون سؤال المستكبرين لهم إنما هو عن العلم منهم، هل تعلمون برسالته أم لا؟ وفي هذا مسارعة من المؤمنين إلى إظهار ما لهم من الإيمان، وتنبيها على أن كونه مرسلًا أمر واضح مكشوف لا يحتاج إلى السؤال عنه.

فائدة: عدل الملأ الذين استكبروا عن مجادلة صالح عليه السلام إلى اختبار تصلُّب الذين آمنوا به في إيمانهم، ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم. التحرير والتنوير لابن عاشور(٨/٢٢٢).

أجابوا تمردًا وعنادًا بقولهم ﴿ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الأعراف: ٧٦ .

﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ فَعَقَرُواْ ﴾... فقتلوا. ﴿وَعَتَوْاْ ﴾... استكبروا.

قوله: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾العقر: الجرح، وقيل: قطع عضو يؤثر في تلف النفس، ثم قيل للنحر عقر؛ لأن العقر سبب النحر في الغالب، وأسند العقر إلى الجميع مع كون العاقر واحدًا منهم؛ لأنهم راضون بذلك موافقون عليه... وينظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي (١/٣٦٠).

وقد اختلف في عاقر الناقة ما كان اسمه، فقيل قدار بن سالف، وقيل غير ذلك ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾أي: استكبروا، وقال مجاهد: غلوا في الباطل فأخذتهم الرجفة أي: الصيحة.﴿ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ﴾من العذاب إن كنت من المرسلين هذا استعجال منهم للنقمة وطلب منهم لنزول العذاب وحلول البلية بهم.

وقال عاقر الناقة: لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين، فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، والصبي، حتى رضوا أجمعون، فعقرها.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

السراج في بيان غريب القرآن:

﴿ ٱلرَّجْفَةُ ﴾الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ. ﴿ جَٰثِمِينَ ﴾ هَالِكِينَ، لَاصِقِينَ بِالأَرْضِ عَلَى رُكَبِهِمْ، وَوُجُوهِهِمْ.

قوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾أي: الزلزلة، وأصل الرجفة: حركة مع صوت، ومنه ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ ﴾ النازعات: ٦ وقيل: كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ ﴾ أي: بلدهم ﴿ جَٰثِمِينَ ﴾ لاصقين بالأرض على ركبهم ووجوههم كما يجثم الطائر، وأصل الجثوم للأرنب وشبهها، والمراد أنهم أصبحوا في دورهم ميتين لا حراك بهم.

وعن قتادة: أن صالحًا قال لهم حين عقروا الناقة: تمتعوا ثلاثة أيام ثم قال لهم: آية هلاككم أن تصبح وجوهكم غدًا مصفرة، وتصبح اليوم الثاني محمرة، ثم تصبح اليوم الثالث مسودة، فأصبحت كذلك، فلما كان اليوم الثالث أيقنوا بالهلاك فتكفنوا وتحنطوا، ثم أخذتهم الصيحة فأخمدتهم.

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

قوله: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ ﴾أي: نبي الله صالح عند اليأس من إجابتهم وقال لهم: ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ويحتمل أنه قال لهم هذه المقالة بعد موتهم على طريق الحكاية لحالهم الماضية، كما وقع من النبي صلى الله عليه

وسلم من التكليم لأهل قليب بدر بعد موتهم، أو قالها لهم عند نزول العذاب بهم، وكأنه كان مشاهدًا لذلك فتحسر على ما فاتهم من الإيمان والسلامة من العذاب، ثم أبان عن نفسه أنه لم يأل جهدًا في إبلاغهم الرسالة ومحض النصح، لكن أبوا ذلك فلم يقبلوا منه فحق عليهم العذاب، ونزل بهم ما كذبوا به واستعجلوه.

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن جابر بن عبد اللهﷺ أن رسول اللهﷺ لما نزل الحِجر قام فخطب فقال: «يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم عن الآيات. فإن قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث إليهم آية فبعث الله لهم الناقة، فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحتلبون من لبنها مثل الذي كانوا يأخذون من مائها يوم غبها وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام، وكان وعد من الله غير مكذوب، ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان منهم تحت مشارق الأرض ومغاربها، إلا رجلًا كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله، فقيل: يا رسول الله! من هو؟ فقال: أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه». قال ابن كثير: هذا الحديث على شرط مسلم.

وأخرج أحمد من حديث ابن عمر قال: قال رسول اللهﷺ وهو بالحجر: «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم» وأصل الحديث في الصحيحين من غير وجه، وفي لفظ لأحمد من هذا الحديث قال: لما نزل رسول اللهﷺ على تبوك نزل بهم الحِجر عند بيوت ثمود.

.....

قصة لوط عليه السلام وقومه (٨٠-٨٤).

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَلُوطًا ﴾أي: وأرسلنا لوطًا، وقيل: واذكر لوطًا، وهو منصوب بفعل مقدر، أي: واذكر لوطًا وقت قال لقومه.

اختلافهم في اشتقاق اسم لوط:

١. قال الفراء: لوط مشتق من قولهم: هذا أليط بقلبي أي: ألصق. ومنه قولهم: «الولد أَلْوَطُ- أي: ألصق- بالكبد»(١).
٢. قال الزجاج: زعم بعض النحويين أن لوطًا يجوز أن يكون مشتقًا من لطت الحوض إذا ملسته بالطين، وهذا غلط. لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق.
٣. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية إلا أنها خفيفة، فلذلك صرفت.
٤. ولوط هو ابن هاران بن تارخ، فهو ابن أخي إبراهيم، هاجر مع عمه إبراهيم من أرض العراق إلى أرض بيت المقدس، فأرسله الله إلى أمة تسمى سدوم، قرب بيت المقدس.

قوله:﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ أي: الخصلة الفاحشة المتمادية في الفحش والقبح، قال ذلك إنكارًا عليهم وتوبيخًا لهم قوله: ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: لم يفعلها أحد قبلكم، فإن اللواط لم يكن في أمة من الأمم قبلهم. و«من» مزيدة للتوكيد للعموم في النفي، وإنه مستغرق لما دخل عليه، والجملة مسوقة لتأكيد النكير عليهم والتوبيخ لهم.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص: ٧٥٠).

﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

القراءات في قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً ﴾.

١. قرأ نافع وحفص على الخبر بهمزة واحدة مكسورة «**إنكم**». واختار هذه القراءة أبو عبيد والكسائي وغيرهما، فتكون هذه الجملة مبينة لقوله ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ النمل: ٥٤.

٢. وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام المقتضي للتوبيخ والتقريع «**أإنكم**». وهذا اختيار الخليل وسيبويه، فتكون هذه الجملة مبينة لقوله ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾ مع مزيد الاستفهام، وتكريره المفيد للمبالغة في التقريع والتوبيخ.

﴿ شَهْوَةً ﴾ وفيه أنه لا غرض لهم بإتيان هذه الفاحشة إلا مجرد قضاء الشهوة من غير أن يكون لهم في ذلك غرض يوافق العقل، فهم في هذا كالبهائم التي تنزو بعضها على بعض لما يتقاضاها من الشهوة ﴿ مِّن ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: متجاوزين في فعلكم هذا للنساء اللاتي هن محل لقضاء الشهوة وموضع لطلب اللذة. ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ هذا إخبار لهم بأن هذا الخروج عن مقتضى الفطرة، إنما سببه الإسراف والخروج عن حدَّ الاعتدال البشري.

﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴾ الواقعين في هذه الفاحشة على ما أنكره عليهم منها ﴿ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم ﴾ أي: لوطًا وأتباعه ﴿ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾أي: ما كان لهم

جواب إلَّا هذا القول المباين للإنصـــاف المخالف لما طلبه منهم وأنكره عليهم، **وجملة** ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ تعليل لما أمروا به من الإخراج.

لماذا وصفوهم بالتطهر؟

١. يمكن أن يكون على حقيقته، وأنهم أرادوا أن هؤلاء يتنزهون عن الوقوع في هذه الفاحشة فلا يساكنونا في قريتنا.
٢. يحتمل أنهم قالوا ذلك على طريق السخرية والاستهزاء.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾

السراج في بيان غريب القرآن: ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ... الهَالِكِينَ، البَاقِينَ فِي العَذَابِ.

قوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ ثم أخبر الله سـبحانه أنه أنجى لوطًا وأهله المؤمنين له، واسـتثنى امرأته من الأهل؛ لكونها لم تؤمن له، ومعنى ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أنها كانت من الباقين في عذاب الله، وقال أبو عبيد: المعنى من الغابرين أي: من المعمرين وكانت قد هرمت، وأكثر أهل اللغة على أن الغابر: الباقي.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أن الله أمطر عليهم مطرًا غير ما يعتادونه وهو رميهم بالحجارة كما في قوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحجر:٧٤]. قوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ هذا خطاب لكل من يصلح له، أو لمحمدﷺ، وسيأتي في هود قصة لوط بأبين مما هنا.

تم بفضل الله تعالى تفسير سورة الأعراف حسب المقرر

جدول المحتويات

مقدمة ٢
خطة سير مادة التفسير ـ قسم التفسير ـ مستوى رابع ـ الفصل الأول. ٤
أهداف المقرر الدراسي ٥
تدوين علم التفسير وطبقاته ٦
طبقات المفسِّرين : ٧
بين يدي سورة المائدة ٨
عداوة اليهود والذين أشركوا للذين آمنوا، وإسلام بعض النصارى (٨٢-٨٦)..... ١١
حكم اليمين، وأن الحلف لا يكون إلَّا بأسماء الله تعالى (٨٩) ١٧
نداء بتحريم الخمر وكل أسباب العداوة بين المؤمنين محرمة في شرع الله (٩٠-٩٣) ٢١
تشريعات تتعلق بالحَرَم وحُرمة الصيد فيه (٩٤-٩٥) ٢٧
تشريعات تتعلق بالحج، وعدم استواء الخبيث والطيب (٩٦-١٠٠) ٣٢
النهي عن اتباع أساليب الأمم السابقة في الاختلاف على أنبيائهم والتَّكلف بما لا يعنيهم (١٠١-١٠٢)..... ٣٧
بطلان دعوة مشركي مكة في هدايا أضاحي الحَرَم، ودعوة لترك التقليد الأعمى (١٠٣-١٠٥) ٣٩
سؤال الخلق أجمعين عن علمهم وعن عملهم بشرع الله تعالى (١٠٩) ٤٩
إكرام الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام وتأييده بالمعجزات (١١٠-١١١) ٤٩
قصة المائدة وبعد ظهور المعجزات لا يُعذر أصحاب الشك بشكهم (١١٢-١١٥) ٥٢
بطلان دعوى المشركين، وبراءة عيسى عليه السلام مما نسب له، والمغفرة من الله عن عزة ورفعة (١١٦-١٢٠) ٥٤
سورة الأنعام ٦٢
تعريف الناس بربهم وآياته الناطقة في إبداع الخلق (١-٣) ٦٢
إنذار الخلق بالآيات وإعراض الكافرين (٤-٧) ٦٥
شروط الكافرين للإيمان بالرسل وتعنتهم ومعارضتهم للحق الواضح (٨-١١)..... ٦٨
سعة رحمة الله بعباده، والتخويف بقدرته، ولله الحق في ابتلاء خلقه بما شاء (١٢-١٨) ٧٠

علاقة الأنبياء بالبشر، وإشهادُ على الرسالة، وإنزال القرآن، ومعرفة أهل الكتاب بصدق محمدﷺ وإنكارهم له (١٩-٢١) ٧٥

موقف الكافرين من آيات الله وكتبه، وأن الحق لا يتضح لمن أصر على الكبر (٢٢-٢٦)..... ٧٧

حسرة الكافرين وندمهم في الأخرة، وصورة من يوم القيامة، وبيان لقيمة الدنيا (٢٧-٣٢) ٨٠

مواساة الرسولﷺ مما لقيه من قومه، وصبر الرسل وثباتهم في سبيل تبليغ الدعوة (٣٣-٣٥)..... ٨٤

حوارٌ مع مشركي قريش، وادعاء أكثر البشر التشكيك بالأنبياء عندما يدعونهم إلى ما يُخالف أهواءهم، وجدال الكافر بالباطل كبرًا وفسادًا (٣٦-٤١) ٨٦

مثالٌ من الأمم السابقة، وحكمة الابتلاء بالشر والخير (٤٢-٤٥)..... ٩٠

تذكير بنعم الله وتهديد، وتوجيه لتوحيد الله جل جلاله (٤٦-٥٠) ٩٣

توجيه الله إلى رسولهﷺ في الدعوة، وإيضاح الله لعباده أن رسله بشر، وبيان كيفية معاملة الضعفاء والفقراء من المسلمين (٥١-٥٢)..... ٩٥

هداية الرسل لجميع الخلق من أوامر الرسالة، والحكم والأمر لله تعالى (٥٣-٥٨) ٩٧

علم الله تعالى وإحاطته بمخلوقاته، وعنده علوم الغيب وحده سبحانه (٥٩) ١٠٢

بيان لقدرة الله على عباده، وقهره لهم، ورحمته وحفظه لهم (٦٠-٦٢) ١٠٣

طبيعة الأنفس الجاحدة، وما بنا من خير فمن الله، وإن الله قادر على عقابنا (٦٣-٦٧)..... ١٠٥

لا يجوز للمسلم أن يجلس مع المستهزئين بالدين، وليس له السكوت على الباطل ما استطاع (٦٨-٧٠) ١٠٨

صفات الله تعالى تدفع العاقل إلى عبادة الله طوعًا (٧١-٧٣) ١١١

منهج إبراهيمعليه السلام في إقامة الحجة والبرهان على قومه، واستخدام طريق العقل لإثبات معتقده (٧٤-٧٩) ١١٣

الحوار مع الأخرين وعدم خوض المسلم إلَّا لله وللحق سلطان وقوة (٨٠-٨٣) ١١٧

مكافأة الله لإبراهيمعليه السلام أن جعل جمع الأنبياء بعده من ذريته إكرامًا من الله لإخلاصه (٨٤-٩٠) ١٢٠

كُتب الله تعالى والقرآن هداية للبشر، والرد على منكري الرسالات (٩١-٩٢) ١٢٣

خسران الكافرين والموت هو أول باب من أبواب الحساب، وتبرؤ الخلق من بعضهم بعضًا لشدة الحساب وهوله (٩٣-٩٤)..... ١٢٥

كل ما في الكون دلالات واضحات على قدرة الله تعالى وأن الإنسان محور أحداث الحياة الدنيا، وهو مكلف ومختبر (٩٥-٩٩)..... ١٢٨

وحدانية الله تعالى وحقه على خلقه، وخطورة الشرك، ومن خلق هو من يستحق العبادة وله المُلك (١٠٠-١٠٥)..... ١٣٥

مقدمة في حوار مع المشركين، ولا حجة للخلق على ربهم بعد البلاغ، ومن اهتدى فلنفسه (١٠٦-١٠٨).... ١٣٩

ادعاءات المشركين للتهرب من الحق، ولا يحل للمسلم أن يكون سببًا لانتقاص شعائر الله من قِبل الكافرين (١٠٩-١١١)..... ١٤١

أهل الباطل أعداء أصحاب الحق (١١٢-١١٣)..... ١٤٤

الهداية بتوفيق من الله تعالى، ولا يجوز للمسلم أن يُحكِّم غير الله تعالى في أموره كافة (١١٤-١١٧)..... ١٤٧

التشريع الرباني في الذبائح، وتحريم ما ذُبح تعظيمًا لغير الله (١١٨-١٢١)..... ١٥٠

ضرب المثل بين الطائع والعاصي، والتدبير السيئ حفرٌ يقع بها من حفرها (١٢٢-١٢٤)..... ١٥٢

الهداية من الله تعالى ودين الله واضح، والكفر عمى، وهو بلاءٌ على الخلق جميعًا (١٢٥-١٢٧)..... ١٥٤

الكفر عهد بين شياطين الإنس والجن، ومخالفة شرع الله، ومحاربة الحق وأهله، ولا تُقبل معذرة أحد بعد بعث الرُّسل (١٢٨-١٣١)..... ١٥٧

الجزاء ناشئ عن العمل، والخلود والبقاء لله العلي القدير، والفناء متعاقب في بني البشر، والدنيا مهلة عمل، وفترة امتحان، والآخرة جزاء هذه المرحلة (١٣٢-١٣٥)..... ١٦٠

الإخلاص سر القبول، وضرر الشرك في الدنيا ومن عادة الجاهليين وأد البنات الصغار (١٣٦-١٣٧)..... ١٦٢

شرع الجاهلية وضلالات المشركين بتحريم ما أحل الله (١٣٨-١٤٠)..... ١٦٥

من نِعم الله تعالى على العباد، وأمرٌ بإخراج الزكاة، والذي خلق هو المُشرِّع، والتحريم في التشريع لحكم تتفاوت المدارك بمعرفتها (١٤١-١٤٢)..... ١٦٨

إبطال وتكذيب دعوى الجاهليين، فيما يُحلون ويُحرمون من غير شرع الله (١٤٣-١٤٤)..... ١٧١

بيان في المُحرمات من الطعام، ومُحرمات الذبائح عند اليهود، والتحريم بتشديد على قدر شدة التعنت تربية، وما يزال في حدود دفع الضرر عن البشر (١٤٥-١٤٧)..... ١٧٣

الإنسان بين التسيير والتخيير، وتكذيب للمفترين على الله بغير علم (١٤٨-١٥٠)..... ١٧٧

الوصايا العشر في القرآن الكريم جاءت كما في الشرائع من قبل لكنها في شرعية محمدﷺ أثبت وأقوى (١٥١-١٥٣). ١٨٠

شريعة موسىعليه السلام من الشرائع الواسعة التعاليم، ونداء إلى أهل مكة باتباع شريعة الإسلام الناسخ لما قبلها، وقبول التوبة له حدود، ومن علامات الساعة الكبرى إغلاق باب التوبة (١٥٤-١٥٨)..... ١٨٥

تحذير لعدم التفرق في الدين، وبيان لجزاء الأعمال في الأخرة (١٥٩-١٦٠)..... ١٨٩

الخطوط العامة لشريعة محمدﷺ، والتوحيد الخالص لله تعالى، وتعظيم الله تعالى (١٦١-١٦٣). ١٩١

خصوص الجزاء والمحاسبة من عدل الله تعالى بعباده، ولا يؤاخذ الإنسان بجريرة غيره (١٦٤-١٦٥)..... ١٩٤

بين يدي سورة الأعراف ١٩٧

مقدمة في اتباع القرآن الكريم والاهتداء بهديه، ولله على عبادة اتباعه وطاعته في كل شيء (١-٣)..... ١٩٩

ضَربُ مثلٍ لسنة الله في خلقه، وإهلاكه للأمم الكافرة، والاعتراف لحظة العقاب لا قيمة له (٤-٧). ٢٠١

الحساب العادل يوم القيامة، وجعل البشر في ساحة الاختبار وتسخير الأرض لهم (٨-١٠)..... ٢٠٢

قصة آدمعليه السلام وعداوة الشيطان لبني البشر، وخطر الكبروالحسد على الإنسان (١١-١٨). ٢٠٥

إغواء إبليس لآدمعليه السلام، وبيان أثر المعصية على البشر، وتزيين الشيطان للبشر أن المُحرَّم له اعتبار عند البشر، وفي اتباع الشيطان كشف العورات، وتشرع التوبة والدعاء والأرض مكان الامتحان (١٩-٢٥)..... ٢١٠

الابتلاء في الحياة الدنيا، ومعونة الله تعالى وتحذير الله للبشر، من اتباع الشيطان الذي قرر الحسد في صدره على آدامعليه السلام وبدء عداوته له (٢٦-٢٧)..... ٢١٤

تحذير من التقليد الأعمى للآباء في المعاصي، وأمر بالثبات على الاستقامة والعدل والصلاة (٢٨-٣٠)..... ٢١٧

دعوة للالتزام بحسن المظهر، والتمتع بالطيب الحلال، والحياة البشرية مقيدة مقدرة لا ينفلت من أمدها أحد (٣١-٣٤). ٢١٩

إرسال الرسل رحمة بالعباد وحجة عليهم، والخلود في جنهم حق لله، سيقضيه على الضالين من خلقه بحكمة (٣٥-٣٧)..... ٢٢٤

صور من يوم القيامة، وبيانٌ في تلاعن الكافرين وخزيهم وإحاطة جهنم بهم من كل جهة (٣٨-٤١)..... ٢٢٦

نعيم أصحاب الجنة، وإزالة الأحقاد من قلوب أصحاب الجنة، وشرط دخول الجنة شيء مقدور عليه بالعمل الصالح (٤٢-٤٣)..... ٢٣٠

حوار في الآخرة، ومحاورة أهل الجنة وأهل النار(٤٤-٤٥). ٢٣٢

محاورة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار، وعلى المسلم أن يتعوَّذ من بلاء الكافرين ومصيرهم (٤٦-٤٩). ٢٣٤

استغاثة أهل النار بأهل الجنة والرد عليهم بالحرمان من النَّعيم (٥٠-٥١). ٢٣٧

شرع الله تعالى وكُتبه جاءت تبشيرًا وتحذيرًا ولقيام الحجة على الكافرين (٥٢-٥٣). ٢٣٨

قدرة الله في الإنشاء، والكون مظهرٌ فيه دلالات واضحات على وجود الله، وحقه على عباده (٥٤-٥٦). ٢٣٩

أدلة على بعث الموتى، وضرب مثل من الأرض الطيبة والخبيثة شبهًا للناس من مؤمن وكافر (٥٧-٥٨). ٢٤٣

رسالة نوح عليه السلام إلى قومه، ورسالة الأنبياء جميعًا أولها التوحيد، ونهايتها الإيمان بالآخرة وجواب الكافرين للأنبياء يخرج عن المعقول (٥٩-٦٤). ٢٤٧

رسالة هود عليه السلام ومهمة الأنبياء أنهم يُبلغون رسالة الله، وينصحون أقوامهم والتذكير بالأمم السابقة فيه عبرة للعقلاء (٦٥-٧٢). ٢٥٠

رسالة صالح عليه السلام والتذكير بالآيات والنِّعم طريقٌ من طرق الدعوة إلى الله تعالى (٧٣-٧٩). ٢٥٤

قصة لوط عليه السلام وقومه (٨٠-٨٤). ٢٥٩

إصدارات المؤلف

1. الأحكام الدائرة مع العلة وأثرها في العبادات (دراسة مقارنة) رسالة دكتوراه. نشرها موقع صيد الفوائد.
2. تعليل الأحكام عند فقهاء الصحابة. (دراسة تطبيقية). نشر في مجلة القلم العدد (8) العام 2018م.
3. كيف تحفظ القرآن الكريم (خماسية التكرار في ثمان). الطبعة الثانية.
4. أسرار الحج خطوة بخطوة (235 درسًا تربويًا).
5. رتل وردك. أكثر من (365) قصة وعبرة وفائدة.
6. فتح القدير في ثوبه الجديد الجزء السابع والثامن.
7. فتح القدير في ثوبه الجديد الجزء التاسع والعاشر.
8. هذا الحبيب يا محب (الجزء الأول).
9. هكذا عاشوا مع القرآن الكريم (30 درسًا). الطبعة الأولى.
10. صفحات مشرقة في بر الوالدين.
11. زبدة الأحكام من آيات الأحكام. (تفسير آيات الأحكام (2)).
12. مذكرة في علوم القرآن (2).
13. صيد الفوائد (1000) فائدة متفرقة في عدة موضوعات).
14. الممتع في أصول الفقه.
15. فقه الموازنات عند تعارض الضروريات بحث محكم بالاشتراك مع د بلال الهمداني نشر في مجلة الجزيرة - اليمن- إب- العدد (6) السنة (3) يوليو 2020 - 1441هـ.
16. بحث العبادات الأولى بالتقديم عند التزاحم نشر في مجلة القلم - اليمن- إب- العدد (18) السنة السابعة يوليو-سبتمبر 2020م- 1442هـ.

ترقبوا جديدنا بحول الله تعالى

17. وغرد قلبي بالقرآن (3 آلاف وقفة تدبرية تربوية).

البريد الإلكتروني للمؤلف slfe605@gmail.com